الوجود لا عقدة فيه

*



ما عبرت هذه الكلمة في خاطري ، او سنحتُ في عبابها مرة الا وتصوّرتُ ريشة في مهبّ الريح : لأن المفهوم الكلي يدعو الى تفسيره ، او شرحه المفهوم الجزئي في كثير من المناسبات ؛ ويمكن أن نتخذ هذا المبدأ عكسياً عندما يشرح الكلي بعض جزئياته .

على انني مولع منذ دراستي في « الأزهر » أن استعين بالمفاهيم المجردة لكل كلمة أداور بحثي عنها ، وبعبارة أوضح ، ارجع الى القاموس كما يريد الثعالبي ومن بعده « لا بروبار » و« ديدارو » وهنا لم اجد لمعنى كلمة وَجدَ الا «وُجد من العدم» وذلك يشير الى أن الحضارة العربية لم تعرف مدلول هذه الكلمة من الناحية الفكرية ، كمذهب للوجود متقابل للعدم ، مقابلة واعية متعددة ، بل ادركت معنى النقيض متقابل نقيضه جذرياً وهذا يكفي ، لان كل كلمة عبر بها القديم عن مشاعره ، او مدركاته انما هي حياة الآخرين منقولة الينا في حروف ، او قطعة من تاريخ طافر في بحر الزمان ، اعتورته شتى الصروف والظروف ، امتد الى زماننا .

على ذكر الزمان ، افهمه كبيراً دائرياً يتلاقى فيه الماضي والحاضر والمستقبل ، او يفنيان فيه ، فهو زمان ، وهو حركة دائمة زئبقية ، وهو عتل يحيط بالحياة ، والحياة تسبح فيه ، ويخيل الي ان الوجود الحقيقي للزمان ، وهنالك وجود آخر للمادة او الماهوية يشرحه ، ويفيض من هذا الشرح معنى آخر .

*

في هذا الشكل الدائري ، تفسير للعنوان الذي الحت اليه ، ومتى ادركنا أن للزمان عقلاً ، وأننا نسبح في عبابه البعيد ، عندئذ تهون الصعاب ، ويخف أثر الصدمات التي تحدثها ظروف الموت ، والاخفاق ، والصراع .

على ان هنالك لزوماً هاماً لتربية بشرية خاصة ، تعوّد الناس على ان يعيشوا وجودهم بطواعية تنبع من الداخل ، وان يقترنوا بعجلة النشاط ، والكدح في مضامير الحياة ، جواداً آخر مرحاً ، يتراقص في مشيه ، ويصهل كلما مر على مرج او ظل ، كما يصهل في العقبات الكأداء ، وتحت سياط السائق ، وعند لدغ المهماز الحاد

ليس معنى هذا أن نعمل على تبليد الشعور ، بل على اذكائه ، ولا أن ندفع الى اليأس ، بل الى طفحة البشرى ، وانما جئنا هنا لنجعل قوى الانسان ، بتربية خاصة ، وبالأحرى برياضة عامرة ، تتحد ، وتتساعد ، كي تجتاز بالانسان فيناكل طريق ، ونكتشف كل مجهول ، كما نغنم – اكثر مما غنم السالفون – اطيب وانبل متع الحياة .

نحنُ انما نعمل على تعبئة جو الزمان ، ومسح هنيهاته بذرور إنساني عجيب ، يترك في الفضاء عطر الشمائل الغارسة ، التي تغني بهذا الالتزام الشريف عن اغنيات نيتشه ، وبيكون ، وافلاطون من الحكماء الحالمين ، أيها الانسان ، جئناك لنصوغ من كل لون وردة ، ورقصة ، ونغماً .

علي شلق

جماجم فارغة

بقلم رضوان ابراهيم

لا أحسبنا إلا ذاكرين قصة ذلك الحكيم الذي اعتزل الناس في كوخ جبلي يشرف على المقبرة العتيقة الموحشة القابعة هناك في بطن الوادي فكان اذا جنه المساء ، وقام في كوخه يحاسب ربه على تجارة يومه، سمع في هدأة الليل وغفوة الطبيعة دوياً مزعجاً، وصفيراً متواصلا ، ولجباً متعالياً ، وكلما أوغل الليل اشتد الدوي ، حتى ليكاد يقطع عليه عزلته ، وينغص خلوته ، ويزعج افكاره الوادعة ، فيفزعها عن افنانها ، ويشردها عن مستقرها ، وقد خيل اليه أنه عزيف الجن يحتل الوادي في غفلة من الحياة والاحياء، وخشي إن هو استمر واقعاً تحت هذه الحالة القلقة أن تتخلى عنه حكمته ،وتنفر منه فلسفته ،وقد رأى في هذا الضجيج الصاخب عدواً قاسياً يلتهم هدوءه المتأمل الحكيم فماذا يصنع ؟

نزل الوادي ليلة يسترق الخطو مع تلك الخيوط السود التي نسجها المساء سربالاً للكائنات ، وراح يجيل البصر ، ويرصد الحركة ، ويرقب مولد الصخب المفزع الذي حسبه من عمل الجنة ، وأصوات المردة .

وكان كلما أوغل في دروب الوادي احس قلبه يرتجف ، ونفسه تضطرب مخافة أن تتخطفه الجن أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

وظل يرقب ، ويترصد ، ويتحسس ، فلم يصادفه شيء غريب على هذا الوادي . ودلف الى المقبرة العتيقة المهجورة ، وقبع في ركن من أركانها ، واستند الى جدار قديم متداع ، يستجمع شتات فكره ، ويستعيد طمأنينة نفسه ، ويجدد نشاط قواه ، وسبحت افكاره فلم يشعر إلا والصوت الرتيب يولد في مسامعه، واتجه بصره صوب مصدر هذا الصوت ، واتخذ سمته اليه حذرا ، والصدى يتعالى رويداً رويداً ، وهو يدلف اليه خطوة خطوة حتى أشرف على قبر في طرف المقبرة ، تميزه قبة ترتفع في الهواء قليلا ، وعلى جوانبه ركام من الجماجم الفارغة، تعصف الرياح بمنافذها من هنا وهناك فيتعالى دويها متصايحاً لجب الصدى ، يفزع هدوء الليـــل ، ويزعج سكون الكون !!

وحدثته نفسه أن يهوي بما يقع في يديه من حجارة المقبرة على تلك العظام الجوفاء فيهشم فيها ما يهشم ، ويستريح من جلبتها، لولا أن طبيعته المتأملة ردته الى شيء من هدوء ورزانة، فأخذ يجيل فكره في ثنايا هذا الحقل ، ناسياً نفسه ومخاوفه ، مقلباً بصره بين الدهشة والعبرة والفكرة، تاركاً برجه ومتعبده، فما هو الا الصباح .. وما هو الا سكون الرياح وحركة الناس ، وإلا هذه الجماجم المركومة على ركام المقبرة ، يظهر بياضها الكالح في بياض النهار الوضاء !!

عند هذا الحد من القصة تنقطع أخبار الحكيم وأخبار الجماجم لتبدأ اخبار ادبنا العربي اليتيم الحائر ، فأن في حياته الكثير والكثير مما يشبه هذا الصخب المجلجل المنبعث من جماجم القبور، وأما اكثرها ، وما اشد ضجيجها الفارغ ، وما اقل جدواها على الادب واللغة !!

فاللغة العربية والادب الحديث حقل ما زال رحب الجنبات، خصب التربة ، مواتي الري، واسع المحصد ، مثقل القطوف .. لكن الاعمال العشوائية المتخبطة على حواشيه لا تروي ولا تنبت ولا تحصد ولا تجني، بل تنبعث دائماً الى الجانب الجديب لأنه الجانب السهل !!

فالتيار الثقافي المندفع ، والاحداث الجارية من حولنا ، والنهضات العربية المتقدمة ، والتيارات العالمية المتشابكة ، ومركز الامة العربية في تلك الدوامات الكونية ، والنظريات الفلسفية والتربوية والصناعية ، وخطواتنا المسايرة التي تريد أن تلحقنا بركب الحضارة الحديثة، والملاءمة بين كل هذه المقومات وبين امكانيات اللغة والادب لتتسع للحياة ، وتعبر عنها ، وتدفعها الى الامام ...

.. كل هذا يلح علينا ان ننظر نظرة جدية عميقة في اللغة والادب من جديد .. نظرة مجدية على النشء العربي في ضوء حياتنا الواقعية الجديدة لنجعل اللغة العربية عاملا مسايراً – ان لم يكن رائداً – في بناء نهضتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

واذا كان الادب العربي ولغته قد سد الحاجات المختلفة لهذه الامة في اطوار حياتها المختلفة ، فلا يفسر عجزه الآن الا بعجز رواده ، وتخلف كفاياتهم وتخاذلهم عما فعله اسلافهم الذين لا نذكرهم الآن إلا زارين لائمين .

وذلك الحقل يعوزه الكثير من الرؤوس المفكرة، والقلوب المؤمنة ، والسواعد العاملة ، يعوزه ان نهب افراداً وجماعات للعمل المثمر ، وإرساء الاساس المتين لهذا البناء الشامخ، يعوزه ان نبدأ من جديد لبنة لبنة حتى يشتد البناء ويتعالى.. فالمعاجم العربية العتيقة التي التخمت جرذان الخزانات لم تعد صالحة الا

طعاماً لهذه الفئران . ودوائر المعارف تنتظرها رفوف واسعة عريضة في المكتبات العامة والمدارس والمنازل ومكاتب الطلاب . ومكتبة الشباب فارغة فراغاً موحشاً مقبضاً ينعكس على نفوس الشباب ظلمات وأشباحاً وضياعاً ويأساً وانحرافاً وجرائم !!

وتقريب الاثار الادبية الرفيعة الى مستوى النشء ، واغراؤه بالاطلاع المتواصل المنتج ، مشكلة تضج بهـــا دور التعليم والمؤسسات الثقافية في البلاد العربية .

وطرق التربية الحديثة ، والنظرة الاجتماعية التي تحاول سد الفراغ في نفوس الشباب لا تجد استجابة من الكتاب العربي لانه قديم موغل في القدم وان تجدد غلافه . والعقلية التأليفية التجارية السطحية لا تستجيب لهذه الركضة المتسارعة الى المجد الفكري الذي تنشده التربية الصالحة ، ولا تسعف هذه المبادىء ولا تغذي هذه المواهب المتفتحة .

والبلاد تتصنع وتتحضر وتتجيش وتسبح وتطير ، واللغة العربية ما زال طابع البداوة الجافية يغلب على اطفالها وعباراتها واساليبها وأخيلتها ويسمها بالجمود والتخلف عن كل نهضة وكل طفرة ، فهي غريبة لم تتغلغل – بعد – في المصنع والمعمل والمدرج والمستشفى ، ومن عجب أننا نريد ان نتحكم في طبائع الاشياء ونعوقها لتتمشى وطبيعتنا الجامدة المتخلفة .

واخيراً لم يسأل كتابنا ومفكرونا ومؤلفونا انفسهم وهم يؤلفون لجمهور يقرأ او يريدون منه ان يقرأ ، واذا لم يستهلك كتبهم ولم يقرأ ما كتبوا اتهموه بالخمول والبلادة ، وذهبوا يوازنون بينهم وبين كتاب اوربا ، وبين جمهورنا والجمهور هناك حيث تنفد ملايين النسخ من كتاب يطبع لاي من ادبائهم ، ومع ذلك لم يحاولوا ان يسألوا انفسهم هذه الاسئلة : لمن نكتب ؟ وماذا يقرأ القارىء العربي ؟ ماذا يقرأ الصبي والشاب والطالب ماذا يقرأ الصانع والعامل ؟

بل ماذا ينبغي ان نقرأ في المدرسة والمنزل والشارع والحديقة ؟ في فراغنا في نزهاتنا في رحلاتنا ؟ كيف نتخذ من الكتاب صديقاً يمتع ويسلي ويؤنس ويثقف ويرشد ؟

لم يتساءلوا فلم يتحدد لهم الهدف ، فالفوا كما يشتهون ، وتركهم القارىء الى ما يشتهي ، فبارت تجارتهم ، ولو كان هناك اتفاق في الهدف بين هؤلاء المنتجين وهذا المستهلك لما خسرت تجارتهم ولما خسر الجمهور هذه السوق الثقافية الرابحة .

ودعونا من الاعمال التجارية التي ظهرت في فترات متفاوتة ، فانها حركات متخلفة لم تحلق ولم تتقدم ولم تساير ، الا قليلاً جداً يقتضي الانصاف ان نعترف به ، فما من شك ان هنـاك جهوداً فردية ادت ضريبة الفكر في حدود امكانياتها المتواضعة .

لكن الهيئات التي كلفت العمل الجدي والانتاج الخصب الذي يدفع الثقافة خطوات سريعة تساير اندفاع الحضارة العالمية المتقدمة – هذه الهيئات لم تعمل ، بل نكلت عن مهمتهـا ، فوصمت لغتنا وادبنا بالتخلف والرجعية ، وافكارنا بالضعـة ، وشخصيتنـا بالتميـع والتهـافت . لا استثني من ذلك الجامعات والمعاهد ، ولا المجامـــع ولا دور النشر ولا الكتاب والمفكرين .

فالجامعات اصبحت حصوناً ترد عن سدنتها سهام النقد وتسم من يقترب من حرمها بالعداوة ، او تصمه بالجهل والغبـاء . والمجامع عادت مصالح حكومية ، تنفق الايام في موازنـــة الميزانيات ورصد الحسابات ، ومناقشة الدرجات التي ظفرت بها من الدولة ، واصبحت صلتها بديوان المحاسبة وديوان الموظفين ومجلس الدولة ووزارة المالية اقوى من صلتها بدور التعليم والجمهور والصحافة والاذاعة ، وانها لتحاسب صيارفها على القرش والمليم ولا تحاسب رجالها على ما يفرطون في جنب الامانـة المنوطة باعناقهم ، امانة بعث اللغة واحياء الادب . وعملها رغم ضآلته لا يمثل حاله الا قول الشـــاعر : « لدوا للموت وابنوا للخراب » !

فكل جهودها طي الاضابير ووديعة الخزائن ومسلاة للحشرات وليس ينهض عذراً لها مـــا نسمع من نقص الاعتمادات ، او تعويق « الروتين » فما رأيناها صنعت صنيعاً ، او اشاعت في الناس عملاً جليـــلاً تنفض امامه مغاليق الروتين من تلقاء نفسها .

واما الكتاب والمفكرون – افراداً – فقد غلبتهم التجارة ، فنزلوا سوقها يتملقون شهوات الناس ، ويجيلون فيهم نظرات ذكية ترصد هذه الرغائب فتستجيب لها استجابة خبيثة تلعب من خلفها شهوة الكسب والشهرة دوراً دنيئاً سافلاً .

واما الجماعات الادبية فمن الخجل أن لا وجود لها وأكاد اقول .. مطلقاً !!

والتشكيلات الموسومة بهذا الاسم ليس لها من القوة ولا المال ولا الكفاية – وأحب ان اكتب كلمة (الكفاية) بالخط العريض – ما يتيح لها التفكير الجدي في عمل نافع ، فالحزبية

والحزازات والجدل الفارغ يأكل كل وقتها .

ومما يؤلم ويؤسف ان كل هذه الطوائف لا هدف لها .

ولا شك ان مسرح الحياة الادبية في مصر لا يختلف كثيراً عنه في لبنان او سوريا او العراق او الحجاز او المهاجر، فأنها عدوى سرت في الاوصال العربية فتركت الادب يرزح في قيود ثقال. أفنظلم الواقع بعد هذا إن وصفنا الادب واللغة في العالم العربي باليتم ؟!!

وإني لاذكر مثلاً للجهود التي ننفقها في هذا المجال على غير كبير جدوى .. ليلة احتشد حشدنا متسمعين لمناقشة رسالة الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، فان كثيراً من الذين ضاقت بهم (دار الحكمة) عاليها وسافلها، وضاقوا بها ذرعاً وهم يحشرون في قاعتها حشراً — قد ندموا لقضاء ليلة تشبه ان تكون كاملة في الاستماع الى مناقشة حامية الوطيس حول ماذا ؟ حول « قدامة بن جعفر » .

وانا في شك من ان الدكتور الفاضل الذي انفق سنوات طوالاً يجد جده، ويبذل من كده ووقته حول موضوع فقهي صرف — اشك في انه قد سأل نفسه قبل ان يقدم عليه، وبعد ان دبجه في رسالة : ماذا يفيد المجتمع من هذا البحث ؟ ماذا تفيد اللغة والادب والفكر والفن والثقافة من جهودي التي ابذلها لقدامة بن جعفر هذا ؟

فانه لو تساءل لالفى نفسه ترده الى شيء مجد ينفع الناس ويمكث في الارض .

واذا كنت قد اسفت كما اسف الناس على ساعات انفقتها استمع له ويشرح ويلخص، ولهؤلاء السادة ذوي الاردية السوداء يكرون ويصولون ويداورون حول الالفاظ والشكليات ولا شيء بعد. فاجدر به ان يأسف كثيراً على جهوده التي ستغيب في خزانة مكتبة الكلية، او تنشر في آحاد وعشرات من الناس ثم ينقطع صداها .

ويبقى مدى الفائدة الجماعية التي يحتاجها المجتمع المتطلع الى الثقافة والى تيسير السبل لهذه الثقافة .. لا شيء !!

ولو ان هذا المجهود انفق في كتاب او طائفة من الكتب لتعليم الاميين او لفتح المجاهل الموحشة والدروب الملتوية الى الثقافة العربية لكان اجدى على الناس وعلى الجامعة .

وبقدر احترامي العميق لاسلافنا الامجاد، وتوقيري لمناهج البحث الجامعي واهدافه، فانني مع الجماهير في تقدير الرسالة التي كتبت عن « نجيب الريحاني » الممثل الهزلي كما ينعتونه، او الفيلسوف الهازل كما هو في الواقع، وفي جدواها على جمهورنا المتطلع الى الثقافة الفنية، وان رسالة تكتب عن توفيق الحكيم ومسرحياته او عن طه حسين واسلوبه او ابي شادي وشعره ونقده، او عن المازني او الرافعي او مطران من اعلام الادب المعاصر لاجدى على اللغة والادب والمجتمع من هذه الرجعية المبهمة الغارقة في ظلال القرون .

ثم ان هذا الصدى الاخرس المكبوت لا يفيدنا بقدر ما يفيد الامة بحث ينهض به دكتور شاب عن محمد عبده او جمال الدين الافغاني او مصطفى كامل او اي من هؤلاء الاعلام الذين ما زالت تربتهم تغذي اصولنا القومية او الادبية .

ثم ماذا يضير الجامعة ان تعنى بأمثال البستاني واليازجي وحمزة فتح الله والبارودي وناصف وصبري ومحرم وغيرهم وغيرهم؟ ان ذلك لاجدى على العلم وانفع للجماهير المتعطشة الحائرة التي تتطلع الى القيادة الرشيدة .

لنكن واقعيين .. لنعش مع الجمهور، فان الابراج الجامعية المتعالية على زحمة الحياة قد اثمرت هذه الصلة الفاترة — ان لم اقل : المعادية — بين العلم والجمهور .. بين الجامعة والحياة العامة، وان العلوم والفنون قد اصبحت في خدمة الشعب اكثر مما هي لنفسها .

ورجال الجامعة اولى الناس بالصفوف الاولى لقيادة الامة قيادة رشيدة فاضلة واعية بعد ان قادها المشعوذون والمتاجرون فاوردوها الهوان، فلينظر هؤلاء مكانهم من هذه الصفوف، وليحققوا ظن افلاطون فيهم ان كان لا بد ان يجيئهم هذا الظن من وراء القرون ومن خلف الحدود، اولاً .. فان من اسلافهم من قال :

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

اقول هذا ضنيناً بهذه القوى القادرة المهيأة الموجهة ان تضيع في تضاعيف الرياح، آسفاً ان تبقى هذه المحركات الضخمة راكدة، او يكون جل دورانها اصداء مترددة ونفثاً لركام هائل من دخان ليس تحته نار، وتبقى الحركة الادبية في العالم العربي يقودها اولئك الهواة الذين لم تتوفر لهم الامكانيات الادبية والثقافية والفنية الكافية، وهي مضطرة الى ان تنقاد لهم اذا فقدت توجيه القادة الموفقين .

القاهرة — رضوان ابراهيم

الشعـور بـالنقـص

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
مدير معهد علم النفس بالقاهرة

✷

ان اخطر ضرر نلحقه بالاطفال في معظم عائلاتنا هو الايحاء بالشعور بالنقص الذي نغرسه غرساً في نفوس اطفالنا . اننا منذ الطفولة المبكرة نحاول دائماً ان نحمي الطفل من الامراض ونعبر امامه عن الخوف عليه من اشياء لا يفهمها ونمنعه من ان يقوم بكثير من الاعمال خوفاً عليه من ان يتعرض الى خطر ما . والامهات يحاولن منع اطفالهن من بعض حركات اللعب بدعوى انها متعبة وانها قد تعرض الطفل الى المرض او الارهاق ، ويشاهد الطفل نفسه مقيداً محروماً من اللعب في الوقت الذي يقبل فيه زملاؤه على نفس الالعاب التي حرمه منها اهله . وبهذا يتكوّن في ذهنه اتجاه ذهني يجعله يعتقد انه مخالف للآخرين وانه ناقص بالنسبة اليهم .

ويضاف الى هذا الايحاء عن طريق توجيه السلوك والحرمان ايحاء لفظي يجعل الطفل يعتقد اعتقاداً جازماً انه ناقص ، وذلك لان اغلب الامهات يحاولن دائماً مجاملة الضيوف بمدح اطفالهم وتفضيلهم في مقارنتهم باطفالهن . وكل منا سمع بعض الامهات يقلن لأحد اولادهن « انظر فلاناً فانه اذكى منك ؛ واما انت فكسول لا تعرف شيئاً » وتكون الام غير جادة في كلامها ولا تكون منصفة في مقارنتها ، بل يكون الدافع اكرام ام الولد الآخر بصفته ضيفاً زائراً ، ويكون الكلام موجهاً للام الضيفة اكثر من ان يكون موجهاً للطفلين . ولا تدرك الام ، الموحية بالنقص لابنها ، انها تغرس في نفس طفلها بذور شعور هدام هو الشعور بالنقص الذي يمكنه ان يقضي على شخصية الطفل ويعرضها للاضمحلال الخطير ويكون من الصعب بعد ذلك تخليصه من شعوره بالنقص .

ويكون الشعور بالنقص في اغلب الاحيان راجعاً الى شعور بضعف حقيقي ناشيء عن نقص جسمي او مرض عضوي . ويكون الشعور بالنقص في مثل هذه الحالة قائماً على اساس ثابت ويكون من الممكن التنبؤ بظهوره ، ويستحسن توجيه الطفل الى تعويض معقول حتى لا يطغى الشعور بالنقص ويصير مركب نقص . والفرق بين الشعور بالنقص ومركب النقص هو ان الاول مجرد شعور يتم في داخل النفس ، واما المركب فهو سلوك الشخص الشاعر بالنقص ؛ ويكون مركب النقص في الغالب سلوكا شاذاً فيه اسراف يتعب من يعيشون بجواره .

ومن علامات الشعور بالنقص انطواء الطفل على نفسه وابتعاده عن الاطفال الآخرين . ويمكننا ان نشاهد هذا السلوك عند الاطفال الذين اصيبوا بشلل الاطفال في احدى الساقين او كليهما ووجدوا انفسهم في حالة تختلف عن الاطفال الآخرين في القدرة على الجري . اننا نشاهد ظاهرة التوقف تبدو واضحة حتى في الاعمال الذهنية ، كما ان الشعور بالنقص يظهر في التردد العام في كل مظاهر النشاط ، واغلب الاطفال يصابون بالتأتأة نتيجة الشعور بالنقص .

واننا في ميدان التحليل النفسي نشاهد ان اعوص العقد النفسية قائمة على شعور بالنقص موجود منذ الطفولة الاولى . ويتولد الخجل عن الشعور بالنقص ، وهو الخوف من الناس افراداً او مجتمعين . والخجل شبيه بالشلل لانه يعوق الافعال كلها عن الظهور في الوقت الذي يكون فيه الشخص قادراً على القيام بها كاملة لو لم يكن الخوف والشعور بالنقص ناشئاً عن الاسراف في التدليل لان الاهل يسهلون كل شيء امام الطفل ، ويحرمونه من القدرة على بذل المجهود المطلوب للنجاح في الحياة . بذلك يشعر الطفل بصدمة كلما وجد نفسه في موقف يخالف موقف اهله ، لانه تعود ان تسهل له الامور ، وتعرض هذه الصدمة الطفل الى الفشل في تكيفه ، وتكون النتيجة انه يبدأ يخشى الفشل ويتوقعه في كل موقف خارج الاسرة . ويظهر نوع من التعارض الغريب في سلوكه : سيطرة فائقة في المنزل ، وشعور بالنقص في الخارج . ولذلك يبدو الشخص في كبره

بشخصيتين مزدوجتين احداهما عنيفة والاخرى ضعيفة .

ومن اوضح نتائج الشعور بالنقص بعد الانطواء على النفس هو البحث عن اللذة في داخل الذات في صورة ما يسمى بالعادة السرية . كما ان الشعور بالنقص يؤثر على النمو الذهني بشكل واضح ويبدو الطفل بليداً ناقص الفهم في الوقت الذي يكون فيه ذهنه طبيعياً قادراً على الفهم المطلوب بالنسبة لسنه. ونشاهد القسوة الزائدة تولد عند الطفل الخوف الذي يشعره بالضعف والنقص . ويمكننا ان نذهب بعيداً في ايجاد علاقة جسمية بين القسوة والشعور بالنقص . لأن القسوة تجعل الطفل الضعيف يشعر بالرعب والانزعاج اللذين يحدثان انفعالاً شديداً لدى الطفل. و« الانفعال » الذي يعبر عنه اخواننا السوريون «بالتهيج» يهز الجهاز العصبي هزاً عنيفاً . وكثرة هذه الهزات تولد شدة في الحساسية وتجعل الطفل ميالاً الى الحياة الخيالية البعيدة عن الواقع وبذلك نجد انفسنا امام سبب آخر للعزلة والانفراد وما يتبعها من شعور بالدونية او شعور نقص تعويضي في صورة شعور بالعظمة .

ولهذا يجب على الام البصيرة ان تلاحظ جيداً طفلها فيما يرجع للشعور بالنقص وتحارب اسبابه قبل الاضطرار الى محاربته بعد ظهوره ، وان شاهدت الام بوادره فعليها ان تستشير اهل العلم لتقضي عليه قبل نموه مع الطفل وتغلغله في اعماق نفسه .

ويجب على الام ان تلاحظ الحالة العصبية لدى طفلها لان الحالة العصبية قد تعبر تعبيراً واضحاً عن الكبت الذي يعانيه الطفل في ميدان الشعور بالنقص ويكون التعويض في الغالب عن طريق الحركات الطائشة والاضطرابات السلوكية .

ويمكنني ان اذكر حالة طفل كان والداه على خلاف ، واراد الاب ان يؤلم زوجته فقال لابنه وهو طفل في الخامسة من عمره « اسأل امك اين ابوك » فلم يفهم الطفل طبعاً مغزى السؤال ولا القصد منه وانما فهم ان اباه يثير ابنه وانه غير راض عنه لان الطفل متعود سماع الانتقادات الموجهة اليه رأساً ولم يدرك ذهنه الطفلي التفصيلات الراجعة للخلاف بين الوالدين . وكانت النتيجة ان الطفل كتم حقداً ضد ابيه وبدأ يربي هذا الحقد في نفسه ، واظهره في عصيان مستمر ليثبت شخصيته وقوته في كفاحه ضد والده . وكان دائماً — كما عرفنا من بعد — يتساءل عن السبب الذي دفع اباه الى ان يقول له : اسأل امك اين ابوك . وهذا الطعن في شرف الام لم يظهر واضحاً في ذهن الابن لان كل ما يتعلق بالسلوك الجنسي وما يختص به في الميدان الاجتماعي والعلاقات الزوجية ، كل ذلك طبعاً لم يكن له اي دخل في تفكير الطفل .

ولم يلبث هذا الطفل ان استطاع ان يقضي على شعوره بالنقص على اساس الفهم الاولي الخاص بالانتقاد الغامض في الطفولة حتى ادرك الشاب المعنى الحقيقي لجملة الاب وبدا يدخله الشك في سلوك امه . وكان هذا الشعور قاتلاً لكل مواهبه اذ جعله ينزوي ويبتعد عن اصحابه ظاناً ان غيره يعلم شيئاً مما يفعله ابوه . ولاحظ الاب والام والمدرسون ان العصبية الزائدة انقلبت الى هبوط شديد واصبح التفكير مسيطراً عليه الى ان درست حالته النفسية وظهر اصل العقدة النفسية التي اوحت بالشعور بالنقص الى درجة ان انقلب الى مركب .

ولا ننس ان الغيرة اكبر منبع من منابع الشعور بالنقص واغلب الاطفال يتعرضون الى الغيرة لانها تنشأ عن تعدد الاولاد والسابق يغار دائماً من اللاحق لأن الاهل يفضلون دائماً الاصغر وتشتد العناية به لضعفه ولحاجته اليهم اكثر من الاكبر الذي اخذ حقه من العناية. والغريب ان بعض الاطفال الصغار يغارون من الكبار لأنهم اكبر منهم ويرون في صغر سنهم نقصاً .

وهذا الاصل للشعور بالنقص يكاد يكون عاماً ويصعب على الآباء التحكم في سلوكهم وعدم اثارة الغيرة بين الاولاد ولكنه يحسن ان نعلم جيداً هذه الحقيقة ونحاول قدر المستطاع التغلب على عواطفنا لكي لا نؤذي الاطفال ونعقد نفوسهم بايحاء الشعور بالنقص . والخطر أن الشعور بالنقص يظهر في ضعف الشخصية ، بل قد تتلاشى بتاتاً اذا لازم مركب النقص الشخص مدة طويلة من الزمان .

فلا بد من أن نقصد الايحاء بالثقة ويجب ان يكون هذا الايحاء عملياً ، اي باتخاذ مواقف معينة نعامل فيها الطفل معاملة الواثقين منه المؤمنين بمواهبه واستعداداته . ويجب دائماً ان نبدأ بالمعاملة القائمة على حسن النية متفادين النقد والتحقير والشك. ويجب ان نفهم اهمية هذه النقطة في تربية اطفالنا فانها الاساس في التوجيه العام في كل حياة الفرد. فالشعور بالنقص وما يتبعه من مركبات يعوق الشخص عن النجاح في الحياة كعضو في الاسرة وكعضو في المجتمع كما انه يحرم الشخص من السعادة الزوجية : فالاب الضعيف يتسبب في وجود اطفال ضعاف ، وهكذا تستمر السلسلة الفاسدة ان لم نواجه الشعور بالنقص ونكافحه بالوسائل السريعة في الطفولة الاولى .

القاهرة ابو مدين الشافعي

أوهامنا

✱

لماذا نحن هنا ؟
وما قيل لنا ؟
من كان قبلنا ؟
وحنا هناك يسألني
وقفنا معاً
هربنا من صمتنا
إلى شطّ عمرنا
نلعب كالاطفال
بالحصى
لعلّ الحصى تقول
ما بنا
بالحصى انحني
يرسم الحروف بزهونا
يرسم ويرسم
امواجنا تتمدّ
تضحك من جهلنا
تمحو على رمالنا
حتى قلوبنا
تهرب بنا

من شطّنا
تعود الحروف
وحدها لنا
حصا .. حصا
نبعد الامواج
عن بالنا
نغرس حروفنا
بآمالنا
لماذا نحن هنا ؟
وما قيل لنا ؟
من كان قبلنا ؟
وأحنو هناك أساله
ننسى كلّ ذا
ونعود إلى شطّنا
نعدّ الحصى
علّنا نبني قصرنا
من حصى شطّنا

ثريا ملحس

شخصية التيجاني

بقلم مصطفى السحرتي

لم يترك لنا التيجاني يوسف بشير معلماً للتعرف على شخصيته الا ديوانه « إشراقة » وصورة فوتوغرافية يتيمة تتوج هذا الديوان.

ونظرة فاحصة لهذه الصورة، ورجعة متبصرة الى شعر هذا الديوان، تؤكد لنا اننا نواجه رجلاً شابا، جمع الى قوة الشخصية نباغة شعرية، عقل وفكر، وشعور دافق صاف، وارادة قوية وفنان نابغ شق طريقه السابلة وسط ركام من الجمود والتعصب والجفاف والاستبداد بغزارة حيويته، وبفيض حماسته، وعاش كالزهرة الناضرة في الصخرة العابسة.

عينان مثبتتان بعمق في وجه مستطيل ينادي ابتعادهما بالذكاء والنبوغ، يعلوهما حاجبان مستقيمان كثا الشعر، ينمان على الرجولة والاستقامة الخلقية، ووجنتان عاليتان تنطقان بالاقدام والجرأة، يحيطان بأنف طويل أبيّ حذر، يدانيه فم حي حازم يتصل به ذقن عريض يكمن فيه العزم والاصرار، والارادة القوية.

ومن التعبير العام لهذا الوجه يتجمع الى الذكاء والنبوغ العزم والتصميم والجرأة في اكثر من ملمح.

ومن شعره المتنوع نجد اثراً قوياً من فكره وقلبه، وظلاً رقيقاً من ظلال روحه المعجز، وقبساً من حياته القصيرة الجميلة.

كما نجد ذلك منعكساً دائماً في آثار الموهوبين الصادقين المخلصين، من امثال ابن الرومي والمتنبي وابي العلاء وغيرهم، ومن شعراء الغرب امثال وردزوورث وبرواننج ولامارتين ودي موسيه واشباههم.

ذلك لان الشاعر اذا كان صادقاً اصيلا لا بد — كما يقول كيلر كوتس — ان يضع اثراً من نفسه في عمله، وان يكون شعره مرآة لشخصيته.

ولهذا سموا الشاعر الانجليزي العظيم شكسبير بالمرآة.

والملحوظ في شعر التيجاني انه شعر مستقل، بعيد كل البعد عن شعر اهل الصنعة، المغرمين بالصياغة البراقة، وهو وإن تزود بقراءة الشعراء القدامى وشعراء مصر من المحدثين من امثال شوقي، او الصيرفي، او علي طه، او محمود حسن اسماعيل، او شعراء المهجر من امثال رشيد ايوب، فقد استقل بفنه، وعاش في شعره، وابدع في التعبير عن نفسه وعن آرائه وحياته، تعبيراً رفافاً قوياً، والتعبير عن النفس في استقلال هو الدعامة الاولى للشخصية القوية.

فعندما نقرأ كبار الكتاب والشعراء من امثال المعري او الجاحظ او المتنبي او ابن المقفع او عبد الحميد الكاتب، نجد في ادبهم وشعرهم طريقة سامية للتعبير الادبي تكشف عن خصائصهم المتفردة، ونجد لاساليبهم ميزاتها المتنوعة المختلفة دقة او قوة، رقة او دسامة وتركيزاً.

وتعبير التيجاني الادبي يمدنا باكثر من خصيصة من خصائص شخصيته، فهو تعبير حي رفاف، فيه طلاقة واقتصاد في العبارة وهذا يحمل الادلة الصادقة على حيويته، وحريته، واعتداده بكرامته، فحيوية التعبير هي ظل للحيوية الفائضة لديه، هي الكهرباء الدفاقة التي يمتاز بها الشاعر على العاديين من الناس. وطلاقته البيانية هي اثر من آثار تحرره وجرأته، اما عبارته المقتصدة الخالية من المبالغة او المغالاة.. عبارته التي تأنف من النزوع الى التشبيهات والمجازات.. عبارته المنتقاة هذه، هي الشهادة الاكيدة على بساطته العميقة، واعتداده بكرامته، بل على مقدرته العقلية وقوة تركيزه.

هذه هي المفاتيح الاساسية لهذه الشخصية وهي مستمدة من تعبيره الادبي الرصين.

وهناك سمات اخرى نتلمسها كامنة وراء هذا التعبير، هي اصالته وميله الى الابتكار، ونفاسة معدنه النفسي، وخلو هذه النفس من اي جوهر وضيع، وهذا يبدو جلياً من وحدة تجربته الشعرية، واستواء ابياته في القصيد الواحد، وانسجام موسيقاه؛ فالوحدة الشعورية لديه لا تتخلخل في الغالب، وابيات القصيد تسير في مستوى واحد، فلا يرتفع بيت ويتخاذل قرينه القريب او البعيد، ويقول السيكولوجيون: ان هذه السوية امارة استواء الخلق، والتجرد من الانحرافات والعقد النفسية، وكوارث الاعصاب.

والتيجاني صادق.. صادق عندما يفسر نفسه الشفيفة بقوله في قصيدته « نفس » ص ٤١ من ديوانه « اشراقة ».

هي نفس من الندى قطرات ... لم تنلها يد الزمان بخلط

وتتأكد هذه السوية من مطالعة شعره الغزلي او الوجداني او الوصفي، فتراه في هذه الانواع لا يشط انفعاله، ولا يشطح شعوره، ولا يهوم تهويمات بعيدة كما يفعل شعراء

الرومانتيك المنحرفون امثال الشاعر الانجليزي شيلي او بليك او الشاعر الفرنسي بودلـــير ، ممن كابدوا العقد النفسية والانحرافات والأنية .

من هذه الانواع من الشعر كان التيجاني يوازن بين شعوره الباطن وعقله الواعي ، فلم يكن يجري لاهثاً وراء العاطفة ، بل كان عقله يقوده الى واقع الدنيا .

وتناول على سبيل المثال قصيدته الوجدانية «لوعة الغريب» فانك لتراه في غربته لا يبكي ، ولا تهوله الغربة ، ولكنـه في غربته يذكر قيثارته ، ويذكر اخته وهي تعزف عليها ، ويصف جمال ما حوله اذ يقول :

يا غريباً عن ربعه قم تلمس   بـــين قيثارة الهوى اثاره
وتعقب معاهد المرح الطيب   واقطف من الهوى ازهاره
ههنا حيث يشرق الامل الغض   وتمشي عـــلى الزمان الغضاره
ههنا الحب والهوى وهنا الاحلام سكرى ، والروضة المعطاره
الجمال الحبيب ، والساحر المحبوب ، والزهر ، والشذى ، والنضاره

ابيات القصيد قوية اللبنات ، متساوية القـوة ، وانفعالات القصيد منوعة ، فما تكاد انفعالات الحزن تلون بعض الابيات حتى تشرق عليها انفعالات الفرح والامل ، وموسيقى القصيد متوسطة النغم ، وبحرها وهو الخفيف متوسط في عدم مقاطعه ، وهو البحر الذي احبه واستخدمه في اكثر قصائده ، وهو الذي اغرم به طائفة من الشعراء المصريين المتزنين في انفعالاتهم ، وعلى رأسهم رامي ، فاغلب شعره من البحر الخفيف كما جـاء في كتاب موسيقى الشعر (ص ٢٠٢) .

واذا رجعنا الى شعره الغزلي نجد هذه الظاهرات بارزة فيه ومن آيات ذلك قصيدته « نعيم الحب » ص ٨٩ التي يقـول في قدتها الثانية :

ان لي من وراء عينيك هاتين مصلى ، وفيهما لي مخدع
فيهما لوعـــة القلوب ونعما   ها ، وكم فيهما حديث موقع
نفس هائم يصعـده الحب   نديا ، كأنما هـو مدمع
مر بي عابراً ، فأوردته نفساً أصابت من سحر عينيك مشرع
فيه من لوعتي أحاديث يغلي   في حواشيها فؤاد مفزع

فهو في هذا القصيد وغيره من القصائد الغزلية يسير في ابياته على استواء ، لا يندفع وراء العاطفة كما يفعل الرومانتيكيون الهائمون ، ولكنه يكبح العاطفة بالفكر ويستخدم البحر الخفيف في تعبيره الموسيقي كما اسلفنا ، وعلى هذا الغرار سار في شعره الوصفي ، وشاهد ذلك في مثل قصيدته « تونس في الصباح » ص ٣٥ ، وهي قصيدة يكمن فيها شعوره ، ويمسحها بالحقيقة فكره يصف فيها هذه الجزيرة وصفاً واقعياً ، لا يترك فيها طيراً او حيواناً او شجرة او نبتاً وقع عليه بصره ، او حدثاً حدث بها او زارعاً فلح فيها الا وصفه وصفاً خفيفاً خاطفاً ، استمع اليه وهو يصف الجرار والفتيات يملأنها من بئر في الجزيرة ..يقول:

إن الجرار وقد ضا   ق بالقليب الممـــر
تكسرت وهي تهوي   .فمـــا تلاءم كسر
فتلك معصوبة الرأ   س ، كم تئن وتخر
وتلـــك مرضى وهاتيـــك للخواطـــر قـــبر

فهذا القصيد قد اشترك فيه الفكر والشعور والخيال ، وقد اختار له بحراً قصيراً هو « المجتث » ، وهو يكشف عن طربه وفرحه في اللحظات التي ابدع فيها القصيد . ولم يخالف التيجاني طبيعته المعاودة المراجعة الا في بعض قصائده الصوفية حيث نجد شعوره طاغياً على فكره ، وحيث نجد هذا الشعر ينبع من عقله الباطن في تلقائية ظاهرة ، وشاهد ذلـــك قصيدته « الصوفي المعذب » ص ٧ ، التي يقول في قدتها الثالثة :

الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه
والسكون المحض ما اوثق بالروح عراه
كل ما في الكون يمشي في حناياه الاله
هذه النمـــلة في رقتهـــا رجع صداه
هو يحيا في حواشيها وتحيـــا في ثراه

فمثل هذا القصيد ان كان يتوج شعره كفنان فانه يكشف عن حالة نفسه في فترة من فترات حياته خرج فيها عن طبيعته المتوازنة ، وافرغ من عقله الباطن حمولته الثقيلة من الآلام المضنية ، والهموم الكابية ، والتوترات النفسية البالغة ، وهي تدل على حالات عارضة له ، كادت تهدم كيانه وشخصيته ، ولولا الاعراب عنها لتأثرت شخصيته تأثراً فادحاً .

والى جانب هذه المفاتيح الكبيرة التي تفتح لنا بعض خصائص شخصيته فهناك مفاتيح سرية صغيرة تكشف لنا خصائص اخرى ليست اقل اهمية مما ذكرنا ، هي كلماته الغريبة الصعبة ، التي كان يقوم بها ، وبعض الفاظه التي طاب له ترديدهـا ، ووفرة قاموسه اللفظي وتنوعه ، فلا تكاد تقرأ قصيداً له ، حتى تواجهك لفظة غريبة . ففي قصيدة « قطرات » تقع على كلمة : رهام ، ومعناها المطر الخفيف المستمر ، وفي قصيدة «الزاهد» يفجؤك بكلمتي رجوجي اي مظلم ، ومقفقف اي مرتعد من البـرد ، وفي قصيدة « ودعت امس يقيني » تبهرك كلمتي يُوح ، اي الشمس ومودأة اي صحراء ، ومن قصيدة « يؤلمني شكي » تعثر على كلمتي صيخود وهي الصخرة الشديدة الحر ، وصيهود

اي الفلاة التي لا ماء فيها ، وفي قصيدة « توتي في الصباح » يلقاك هذا البيت الملتف على نفسه :

ورب قنواء للعصم والانوق مقر

ويقصد به وصف نخلة تلوذ اليها العصافير ، وتقر بها العقاب وفي قصيدة « على قبر حبيب » كلمة اشوى اي اصاب الاطراف برمحه ، وفي قصيدة « دمعة على طفل » كلمة خفيفة النطق ولكنها قليلة الاستعمال هي كلمة مَرَّى (مرى) اي استخراج .

ومريت من عيني آخر دمعة حمراء ...

وفي قصيدة « الصوفي المعذب » كلمة ربْـذ ومشى الدهر ربذ الخطو ، اي خفيف الخطو وفي قصيدته « فجر في صحراء » يصدمنا بكلمة الكَنَهوَر وهي قطع من السحاب المتراكم ، وفي قصيدة « الخلوة » يأتينـــا بكلمتي ارجَحَنَّ وهينم ، ويقصد بالاولى اهتز ، وبالثانية اخرج صوتاً خفياً .

وهو في استعمال امثال هذه الالفاظ واشباهها يحدث لدى القارئ ، دهشة جمالية ، ويكشف في الوقت ذاته عن خصيصة من خصائص الاناس غير العاديين وهي الغرابة ، ومن اقوال « روسو » وهو يتحدث عن نفسه : كل ما اعرفه عن نفسي اني مختلف عن الناس .

اما الفاظه الكثيرة الدوران في شعره ، والتي ملأت ديوانه فهي كثيرة ، وقد وردت على غير وعي منه ، ولها دلالاتها النفسية ، وليس من المستطاع ذكرها جميعاً ، ولكنا نكتفي بهذه الالفاظ : فالفعل يزحم – وقد استعمله اكثر من ست مرات – ينم عن الطموح ، وكلمة مرحى – وقد استعملها اكثر من اربع مرات – تكشف عن حسن لقائه للناس ، وانسه بهم ، ولفظة همس ومشتقاتها ، وهينمة ومشتقاتها ، وجرس وهي دالة على قواه السمعية المرهفة ، وعلى انه كان اذناً ، كما يقولون .

وهذا بحث طريف يمكن ان نخرج منه بطرائف نامة على سمات هذا الشاعر ، لان الالفاظ المرددة المكرورة هي من نبع العقل الباطن ، وهو مصبـــاح نفسي كشاف لأسرار النفوس ودواخلها .

والتيجاني في استعمال هذه الالفاظ يبعث الكلمات من سباتها العميق ، وهو لا يستعملها لعرض نفسه ومظهريته ، وانما يستعملها لانها كلمات لا يؤدى المعنى الا بها .

ولا يفوتنا التنبيه الى ان محصول الكلمات المختلفة المتنوعة وفير ، وهذا معيار لدى السيكولوجيين على الذكاء والنبوغ ، وقد كان للشاعر الانجليزي شكسبير قاموس خاص من الكلمات بل كانت له كلمات مبتدعة ، وهذا ما كان يفعله التيجاني احياناً كاستعماله كلمة ناجس مثلاً بمعنى نجس ، ناجس عظمه ، وناجس في اللغة تعني ما لا يبرأ منه .

ولا يقتصر شعر التيجاني وتعبيره الادبي على هذا ، بل ان شعره وعى فترات حاسمة من حياته ، كما يتجلى ذلك من قصائده « الصوفي المعذب » ص ٧ ، و « ثورة » ص ١٥٢ ، و « الخلوة » ص ٥٨ ، و « فجر من صحراء » ص ٨٥ ، وهي جواهر غالية مكنونة في ديوانه ، وهي شعلة خلوده على مر الزمن .

ففي تضاعيف قصيدة « ثورة » ابيات لخص فيها مرحلة صباه ونزوعه الى الخلق الفني ، وهيامه بالموسيقى والغناء ، انها صفحة بالغة الاهمية ، نامة على حياته وهوايته ، سجل فيها غرامه بصنع التماثيل والعرائس من الطين ، سجل فيها محبته للغناء وكيف كان يصنع من الغاب مزماره ، سجل فيها كيف كان يعيش مع نفسه ، ومع احلامه ومحبته لصحبه الصغار ، وانه ليقول في ابداع :

يفرح الطين في يدي فألهو ... جاهداً أهدم الحياة وأبني
كم اشيد الحصا قصوراً وكم اكبر من شأنها واقدر شأني
وطني في الصبا الدمى والتماثيل ، ونفسي ، ومن احب ، وخدني

ثلاثة ابيات معبرة عن ميوله الفنية في لعبه ، ومؤكدة نزوعه للخلق الفني . اما توقه للغناء ، واصراره على عملية الخلق وفرحته بهذا الخلق فهي ماثلة في ابيات تالية في القصيدذاته سجلها الشاعر عند ما ألفى اباه ينهاه عن هذه الالاعيب الشيطانية ، وهو يقص هذه الواقعة من ذاكرته الخصبة :

قل لهذا الصبي ماذا يكفيك ... اذا لم تكن ألاعيب جن ؟
هذه يا أبي تصاوير مـــا تبرح دنياي أو ترايـــل كوني
يصنع الغاب مزهري ، ويشيد الرمل عرشي ، ويبعث اللهو أمني
تلك عرسي ، وإنما صنع نفسي ، بيدي صبغتها ، وذياك ابني

اما قصيدته « الخلوة » فهي تقص مرحلة يفوعته عندما ترك تماثيله ودماه ومزماره والتحق بالكتاب ، او مـــا يسمى في السودان بالخلوة ، وهذه القصيدة هي خلاصة حياته في الكتاب وتأثراته بهذه البيئة الجديدة ، وتفسير لانفعالاته المنوعة في هذه الفترة ، وهو يروي فيها فرحته الممزوجة بالألم ، فرحته بهـــذه الدنيا الجديدة ، فرحته بلداته الصغار الذين يحفظون معه القرآن واله من سلوك معلم الخلوة ، وغلظته وقسوته ، التي كرهته في ارتياد الخلوة ، وهو يستهلها بقوله :

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحاً بوجهه في الصباح

ساخطاً يلعن السماء وما في الارض من عالم ومن أشباح
حنقت نفسه، وضاقت به الحيلة، واهتاجه بفيض الرواح

ثم يختتمها بقوله :

صور للصبا الأغر موشاة بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مفاتن دنياها ، وتفتر عن سنا وضاح

واغلب الظن ان هذا القصيد دبج في نضوجه ، فقد جمع ذخيرة من الصور البصرية والحركية، والنفسية ووشاها بموسيقى هادئة نبيلة ، دبجها في لحظة مشرقة من لحظات جذله الروحي ، في لحظة مضيئة من لحظات الالهام .

وفيها تتجلى اكثر من سمة من سمات شخصيته ، فان تزاحم الصور المنوعة فيها تدل على مقدرته الفكرية ، وقوة ذاكرته السمعية والبصرية هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اسلوبها الحي ، والفاظها الدقيقة ، وموسيقاها الطليقة تدل دلالة صريحة على تحرره وحيويته الدفاقة والحيوية – كما قلنا – اكبر ميزة للشخصية البارزة – كما تقول الكاتبة « جريني » في كتابها « الشخصية » وتتمثل هذه الحيوية في طائفة من قصائده. وتظهر امارات هذه الحيوية في ارتكازه على استعمال الافعال بكثرة دون الصفات او الظروف ، ومن انتقاء الافعال الدالة :

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحاً بوجهه في الصباح
حنقت نفسه وضاقت به الحياة واهتاجه بفيض الرواح
ورمى نظرة الى شيخه الجبار مستبطنا خفي المناحي

ثم قوله في آخر القصيد يصف غلمان الخلوة ، وقد دب الفتور في ارواحهم ، وسجى الكرى في عيونهم وصيحة المعلم الجبار تفزعهم بقوله :

ونفوس سجى الكرى في حواشيها ، ودب الفتور في الارواح
فارجحنت مهومات ، وما تبرح مركوزة على الالواح
كلما لفها النعاس ، واضفى فوقها عالماً ندي الجناح
قصف الرعد في المكان ودوى مرزماً صاخباً قوي الصياح
فاستفاقت وهينمت بعض اشياء ، وعادت ، وعاد قصف الرياح

افعال قوية رقيقة معبرة ، سجى ، ودب ، وارجحن ، ولفها وقصف الرعد ، ودوى ، ثم استفاقت ، وهينمت ، وعادت وعاد قصف الرياح .

اما القصيدة الثالثة ، وهي قصيدة « الصوفي المعذب » فهي تنقلنا الى جو جديد في حياته ، الجو الذي بلغ فيه مرحلة البلوغ التي التحق فيها بالمعهد العلمي . واحب ان اقف وقفة طويلة نوعاً ما ، عند هذه المرحلة من الناحية السيكولوجية ، لانها مرحلة التغيير ، المرحلة التي ينتقل فيها المرء من الصبا الى دنيا جديدة، المرحلة التي يتحول فيها المرء من الرضا والتسليم الى تعرف الحقائق والاكثار من التساؤل ، التساؤل عن علاقة المرء بأسرته ، وعلاقته بالمجتمع ، وعلاقته بالوجود ؛ ما هذا الوجود ؟ وما وراءه ؟ هذه هي المرحلة المخيفة في عمر الانسان، تؤثر في توجيهها الاسرة والبيئة ، والثقافة السائدة ، وهذا التحول في التساؤل والمعرفة والشعور بالمسؤولية نحو الذات ، انما هو تحول طبيعي كما يقول « إلزر » في كتابه « سيكولوجية الخلق » .

وقد كان طبيعياً من هذا الشاعر عند بلوغه هذه المرحلة ، ان يقف متسائلاً عن هذا الكون ، وعن الاله ، وعما وراء الطبيعة ، ولم يكتم ما دار في خلده ولم يكتم ما سبح بنفسه كما يفعل الكثيرون من الكتاب ، ولكنه تجارأ وافصح ، وتجارأ وسأل ، واجرى حواراً بينه وبين نفسه ، حواراً سلم فيه آناً، وآناً انكر ، ولم يقصد منه الا تعرف الحقيقة ، وانتهى في هذه الفترة الى عجزه عن معرفة اسرار الخالق ،وهو في تأييده للخالق كان رائعاً ، وفي طوفان الشك به ، كان متألماً، نادماً، متحسراً وشواهد هذه الحيرة الممزوجة بالحسرة توجد في قصائده «الله» و « حيرة » و « يؤلمني شكي » ومن هذه الاخيرة يقول:

اشك يؤلمني شكي وأبحث عن برد اليقين ، فيفنى فيه مجهودي
اشك لا عن رضا مني ويقتلني شكي ، ويذبل من وسواسه عودي
وكم ألوذ بمن لاذ الأنام به وابتغي الظل في تيهاء صيهود

فهو لا يشك لمجرد الشك ، بل يشك ليصل الى الحقيقة ، يشك متألماً يكاد الشك يقتله ، وهذا الشك هو ما راود كثيراً من الاعلام في الشرق والغرب ، وعلى رأسهم الغزالي وتولستوي وقد طوف جناح الشك ببعض المسلمين ، وذهبت جماعة منهم تسأل الرسول من هذا الطائف المخيف ، فربت على اكتافهم ، وابتسم قائلاً : « هذا هو صريح الايمان » .

وانما رفضنا هذه الوقفة الطويلة لنبرز حقيقتين كبيرتين ، الاولى : ان التيجاني عبر في فترة من فترات حياته عن حالة سيكولوجية طبيعية ، قد يكابد منها فريق من الناس، ويخافت بها البعض ، وقد يخفيها البعض الآخر ، ولكن التيجاني تجارأ وافصح ، وهو يضع يدنا على الحقيقة الاخرى من طبيعة شخصيته ، وهي تحرره وجرأته .

ويطيب لنا ان نذكر ان التيجاني في الفترة السابقة من حياته التي اسلفنا كان يلمع الامل في صدره ، امل الوصول الى اليقين ففي قصيدته « ودعت امس يقيني » ص ١٦ يقول : ان هداه

جمال الدين الافغاني

*

مصطفى محمود

من اسرة الجيل الملهم

الشرق بعدَك يا جمالَ الدين حائرْ
متدَجّنُ الآفاق بالأوضاعِ ساخر
الحلمُ ملءُ جفونه والقلبُ ساهر
يترقبُ الأضواءَ في قلقِ المسافر

*

الشرقُ لنْ يجثو على أعتابِ ساحر
يتملق الأخلاص يلعب بالمصائرْ !
لا لن يظل الشرق في صمت المقابر
وَسنى جمال الدين يُومض في الخواطر
أفلا تراه اليوم منطلقَ الخناجر
يرنو الى المجهول ينتظر البشائر
أبشرْ جمالَ الدين إن الشعب ثائر
متنمّر يسعى ليفتكَ بالقياصر
فُضحتْ دسائسهُم فجدّفَ بالمنابر
ضاقت به الدنيا فشُقّ له المعابر
واعلم بأنك في القلوب وفي السرائر
إشراقة الرؤيا وزوبعة الضمائر

التائه سوف يعود اليه يوماً ، وان يوح — اي الشمس — سوف ترود بابه يوماً ما :

ويحي، وويح الهدى المقبور ليس له رجعى ، وقد أوغلت في التباريح
لا اعرف اليوم إلا أنــه لغد باب تمر عــلى مغلاقه يوح

وقد مرت يوح عليه بلا ريب ، ونضج الشعر العربي نضجات صوفية عطرة كشفت عن شفافية روح التيجاني وعن ايمانــه بوحدة الوجود ، كما كشفت بجلاء عن شاعرية صافية مجنحة ، هي آية مبصرة على مغامراته الروحية ، وفي كل مغامرة روحية — كما يقول يتس — ومضة من ومضات العبقرية .

ونلمح مثل هذه الومضات في قصيدته (فجر في صحراء) ص ٨٥ فهذه القصيدة قد غامرت الروح في خلقها ، انه لا تصف الفجر والصحراء بقدر ما تصف روح التيجاني الطليقة السمحة المتصوفة ، ومن وهجها ضوء من وهج شخصيته ، وانه ليقول فيها:

املأ الروح من سنى قدسي مبهم كالرؤى وديع رضي
قمري كأنما سكب البد ر عليه من فيضه القمري
واغمر القلب من مفاض من الفجر وضيء جم الندى عبقري
يثب الحلم حول مشرعه الساجي ، ويجري مع الضحى في اتي
كم تظل الرؤي به شارعات في ينابيع من جلال ندي
يتلففن في جوانح بيضاء ويسحبن من رداء وضي
ساحبات على الكنهور أصبا غاً رقاقاً من واضح وخفي

ويختمها بقوله بعد التملي بجمال مرأى الصحراء :

صاح من روحه وكبر في اعماق دنياه صارخاً كالنبي
او هذا الجمال يا رب.. هذا السحر من اجل ذلك الآدمي

هذه خواطر عنت لنا بعد التطلع الى صورة هـذا الشاعر الفريد واستيعاب شعره ، وهي شهيدة على توحد الشخصية بالنبوغ بله العبقرية فيه ، وهي خطوط عامة لصورة هذا الشاعر تتطلب، منا الاضواء القوية والالوان الثابتة لابرازها على حقيقتها ، او قريب من الحقيقة .

وتقضي علينا الامانة دراسة وراثته وبيئته وباقي صنائعه الادبية ، وهو عمل خطير ندعه للباحث الامين المشغوف به ؟

القاهرة مصطفى السحرتي

مونولوج لفاوست معاصر

✳

الكتب عرفتُها ،
والنساء والف صديق استحالوا الآن
اسماءً ووجوهاً تومض في رؤاي المعتمة ،
والأيام كالموج تهاجم وتنحسر
لتودع على هذا الجسد أصداف الكلمات
وآثار الذهب الملوّث والألم الملتوّي .
لقد خضتُ ضجيج الأحياء والمنازل
والكنائس والمقابر ومعاهد العلم المنعكسة قبابها في خضرة النهر
والأزقة المخنوقة بالقمامة والشوارع المتلألئة بالزجاج ،
ومشيت أمام اعين الكهان والمومسات وارباب العمل
بعينين في عطش دائم ويدين
مغموستين في حلم عميق .
والجوع كثيراً ما تغذّيت به ، استخرج منه
أطيافاً لمتعتي .
وانحنيت متطلعاً من شفا الوادي
الى الزيتون العتيق والكروم الفتيه ،
وأطبقت على صدور نساء أردت بعضهن
ولم أرد بعضهن ، وتشبثت بقضبان نافذة
كانت الارض العاقر وراءها تعانق ظبية راكضة
ومتسوّلا وضع عوده الصامت في حضنه وغفا عليه .
وكثيراً ما تألقت اوراق الورد عند طلوع الشمس
بندّى لمسته بشفتين ما زال دفء النوم فيهما
وأنا في طريقي الخضراء الى
حيث تنشق اوراق الغاب عن عاشقة الحب والشجر
وهي تنتظر بعينين من نرجس .
وعند طلوع الشمس مرة ، في بلد بعيد آخر ،
نشرت الصحراء لظاها وأبعادها وقالت :
لقد تركتَ قرب المياه عيون العاشقين ،
ولن ترى امامك بعد اليوم
إلا الشجرة الباكية والارض الخاويه .
ولكن مفستوفوليس لم تُعيِه الحيلة في التنقل بي ،
شاحناً كل لمسة او نفثة مني بسحره ،
يرقبني في الاسواق والحفلات ، مسخّراً علمي القديم
لاستثارة إعجاب هذا وحب ذاك ،
مستنبعاً المال عند موطىء قدميّ ، وهو من خلفي
لا ينِي يهمس :
« تمتع إن كنت ما زلت تقوى ! »
شهرا إثر شهر ، سنة إثر سنه ،
مدينة إثر مدينه ، أعبر عبور العاصفه ، عبور الليل ،
عبور أسراب السنونو في العشيات الغائمة ،
إلى أن صحتُ به : قف ! قف ! لقد اكتفيت !
ولكنه يسخر مني ، والصكّ الذي سطّرته بدمي
يلوّحه امام عيني ثم يختفي .
وقد أزف وقت الهبوط الى الجحيم ، إلا أنه
يتلكأ بتنفيذ وعيده ، كأن الوعيد غدا
هبة يرفض تسليمها ، فيعيد على مسمعي :
« بعت روحك مني لتحظى بهيلانة طروادة
وتعبث بمرغريت ، وتطوي على ذراعك ألف خصر ،
لترحل في طرقات بغداد وبومباي
وتجالس الامراء الماشين على وجوه عبيدهم
وبناةَ مراكب المحيط وناطحات السحاب ،
لتعود فتتذكر دون جدوى مطالع الشمس في الصحاري
والأزقة الشعثاء في مدينتك القديمه ،
وتحن الى مجالسة الكتب
او النزول الى وديان الزيتون والدوالي .
لقد بعت روحك ، ولكن الجحيم
لن يفتح مصراعيه لك . »
في الجحيم نهاية .
والأبدية تجترّ في نفسي كل ما عرفتُه
ومضغَته أسناني ألف مرة :
كتباً ونساءً ورجالاً لم تبق منها
سوى اسماء ووجوه اكاد لا أراها في عتمتي .
ومفستوفوليس يأبى تنفيذ الوعيد
ويوصد ابواب جهنم دوني ،
وقهقهته كدويّ القنابل دوماً في أذنيّ .

بغداد

جبرا ابراهيم جبرا

الحيـــة والفـــأر

بقلم ابراهيم شكر الله

°°°

وقفا – هو وهي – امام القفص الزجاجي يتأملان الحيتين اللتين بداخله . وكانت احداهما ساكنة كأنما اختفت منها الحياة بينما تلوى جسمها المستطيل المرهف بين الاعشاب الجافة في ثنيات عديدة متناسقة . ولمعت عيناها الصفراوان الصغيرتان ببريق داكن لا يحمل معنى ما . اما الحية الاخرى فكانت تسعى بجميع جسمها المستدق ، وقد انتشرت فوق الزجاج الاملس وعلى الرمل وبين العشب وفي حوض الماء الصغير . وكانت حركتها انسياباً رقيقاً يبدو كأنما انبعث من داخل جسدها ، من فكرة رائقة تفتحت في اعماقها فامتلأ بها جسدها كله واستجاب لها ، فكرة عن الحركة الصافية المجردة انبثقت من المغائر المظلمة ، وخرجت تتلوى مشذبة الاطراف واضحة المعالم ، ملساء ، رشيقة ، لاتضطرب ولا تستكين ، وانما تنساب هادئة مثل الحلم يعبق به الليل الساكن . وهو يتأمل مفتوناً هذه الحركة الصفراء وهذه الرأس المدببة الصغيرة تستطيل وتقصر وتتلوى باحثة عن الذي لا يدركه ولا يعرفه. بينما التصقت به صاحبته وعيناها عالقتان في صمت يشوبه ظل من الخوف بهذه الاعين المفتوحة التي لاتطرف ولا تغلق ابداً ، الاعين الصامتة الراكدة مثل بئر آسنة في غير الصفاء الاصفر الذي يشبه صفاء البلور المصقول .

وظلا في صمتهما هذا حتى أقبل الحارس يسألهما اذا كانا يريدان ان يريا الحية وهي تأكل . فيسر ويرحب في ابتسام . فهو اليوم يريد ان يرى كل شيء ، وان جسده المتفتح المشوق ليود لو يقترب جداً من هذه الخليقة الحية المضطربة في هذه الاقفاص حتى يلتصق بها . وكان ذلك هو اللون الصارخ العنيف الذي اكتسبه حبه اليوم والذي احسه حينما لفحته انفاس الموت الكامن في مخلب الاسد وقرن التيتل ولسان الحية المسنون ، فلم يرهبه ، بل احس به يستشري في جسده المنتفض من الحب بفيض جديد من الحياة . والذي احسه كذلك حينما استدعى ذلك المنجم الكاذب لتسمعه ما يتردد في ابهاء نفسه من انه قد احتوى المستقبل بذراعيه وبأنه لم يعد في طيات المجهول ما يخشاه بعد . اما هي فكان يغشاها سكون ساكن واستقرار عميد امدها به وجوده القوي المنتشي الذي احست به يسير بالاحلام ورعشة الفجر الباردة

*

ويقبل الحارس بعد قليل ويمينه منطوية على شيء لم يتبيناه. فيقتربا من القفص في ترقب . ويفتح الحارس الباب في حذر وقد ابتعد برأسه قليلاً الى الخلف ، ثم يرمي في داخله مسرعاً بالذي كان يحمله ، ولا يكاد يرد الباب حتى يندفع في داخل القفص الزجاجي فأر اسود صغير لم تمس رجلاه هذه الرملة المسواة حتى استنشق الموت الجاثم واحس بالخطر يدهمه ، فاندفع يعدو في جنون يبحث عن منفذ للخلاص وقد جحظت عيناه الصغيرتان وانبعثت منه صرخات قصيرة متتالية تجأر برعب هائل استشرى في جميع جسده الصغير وملأ اطرافه وعروقه ومسامه واغلق على وجوده .



وتهز الحية الساكنة رأسها ولكنها لا تتحرك ولا تميح عن موضعها. بينما رفعت الاخرى رأسها في بطء واستطال عنقها وانفرج فمها عن لسان مشذب صغير اخذ يتحرك ويرتجف ولم

تر صاحبته هذا المنظر حتى تحولت بوجهها سريعاً وقد غصت بالخوف والغضب . وقالت وهي تتحرك تريد الخروج :

— انا متدرش اشوف المنظر دا .. انا ماشية .

ولكنه امسكها من معصمها بينما كان جسمه ينتفض وقد اتسعت حدقتاه جداً وتقلص وجهه وقال :

— هس ، ما تتكلميش .

وتشد يدها تسعى لتخليصها منه ولكنه يشدد من قبضته فتندى عنها صرخة الم وتقول :

— سيبني حتكسر لي ايدي .

ولكنه لا يلتفت اليها ولا يخفف من قبضته ولا يزيد عن ان ينهرها عنيفاً يأمرها بالسكوت . وتسعى هي ثانية لتخلص يدها وقد ارتسم على وجهها الالم ولكنها لا تستطيع فتحول وجهها بعيداً وتغطي عينيها براحتها .

ويظل هو يشاهد الفأر الذي فقد صوابه الان فهو يعدو بكل ما في جسمه الصغير من قوة ويرتطم بالجدران والزجاج ثم يلمس فم الحية المفتوح فتعلو صرخته تحمل رنة بشرية كأنها صراخ طفل . ثم يعدو ويضطرب ويغرق في الماء ويخرج من الماء ويمس ذيل الحية الساكنة ويعدو ثانية ، يعدو ويدور ويرتطم حتى يقعد به الانهاك ، كل هذا والحية ساكنة في غير حركة رأسها الخفيفة ورقبتها التي تستطيل وتقصر بينما انبعث من عينيها بريق باهت .

وتخفت وصوصة الفأر وتستكين حياته فيزحف على بطنه حتى يبلغ ركناً قصيا يتكوم فيه وقد اختفى ذيله بين رجليه وانكمش جسمه وحملقت عيناه المفزوعتان في الحية التي شرعت الآن تسعى اليه رافعة رأسها منسابة على الرمل بكل جسمها حتى يلتصق وجهها برأس الفأر فينقطع صراخه ويسكن جسده ويتباطأ لهيثه . تتناول الحية رأسه بفمها وتزدرده فينتفض ما تدلى من جسمه انتفاضة واحدة عنيفة يسكن بعدها . وتحرك الحية رأسها تزدرد بعض ما تبقى من جسمه ثم تدلي رأسها وتتراجع دون ان تستدير الى ركنها الاول بطيئة مثلما قدمت حتى اذا بلغته اراحت رأسها على الرمل وسكنت سكوناً غشى جميع وجودها وكانت بقية من الفأر لا تزال تدلى من فمها . حينذاك خفضت الحية الاخرى من رأسها ايضاً وعادت الى نومها الاول .

واغلق هو عينيه المحملقتين واستدار دون ان يلتفت للحارس الذي اقترب منه مبتسما يريد ثمن المشهد الذي هيأه لهما ، ويسرع بالخروج وهو يجذبها خلفه .

وتخلص هي ذراعها من قبضته وتتحسس بيدها الاخرى معصمها وقد اختلط في وجهها الالم والغضب . ولكنها لا تتكلم بل تمضي في طريقها متجهة نحو الباب الخارجي وهو يتبعها حاث الخطى وقد انصرف بذهنه عنها وانطبقت عيناه قليلاً واختفت من وجهه التعابير .

ويبلغا تاكسي بجوار الباب فتدلف الى داخله ويصعد هو الى جانبها ويلتصق بها ولكنها ترتجف لملمس جسده . ثم ترتفع فيه بوجه مربد وتصرخ فيه :

— كده كنت حتكسر لي ايدي يا .. يا وحش .

ولكنه لا يتكلم بل يتأملها وقد اختفى الصمت الذي كان يغشى وجهه واشرقت عيناه بالحب والرقة ومد ذراعيه يريد ان يعانقها ولكنها تدفعه بيديها وقد اخذ جسمه ينتفض من الغضب وهو يقترب لا ترده يداها . فتبتعد حتى تبلغ ركن المقعد . فيلتصق بها ويقترب منها بوجهه . فتلفحه انفاسها الساخنة التي لا تلبث ان تسكن . ثم يتناولها بذراعيه ويضمها الى صدره في قوة فيهدأ جسدها المرتجف ويخفي رأسها في صدره الرحب وتأخذ دموعها في الانهمار ولكن شفتيها لا تتحركان وصوتها لا يرتفع .

القاهرة **ابراهيم شكر الله**

ابراهيم ناجي الطائر الجريح

بقلم احمد رامي

عرفت ناجياً اول العهد بذكره ، كما عرفت احبابي الشعراء ، في كل عصر وامة ، روحاً تزخز بالألم ، وتفيض بالنعم ، وكنت اقرأ له ، ولم اكن اعرفه ، على صفحات الجرائد قصائد تمس نفسي ، وتلهب حسي وتصل ما بين روحه وروحي من وشائج العاطفة ، مما يمزج روحين غريبين في سماء الوحشة ، اذا التقتا على نغم حزين أو تأستا على جرح واحد .

وكنت القاه لماماً ، وانا لا اعرف انه شاعري الحبيب ، فارى في لفتته وايمائه ، ما يذكرني بالطائر الفزع الذي يحسو الماء رشفة بعد لفتة ، ويحييني فاذا حب يتبلور في نظرة ويتألق في ابتسامة واذا به يلقي علي من شعري — وانا لا اعرف من الذي يتكلم — ابياتاً متلاحقة ، قد لا احفظها انا بهذا النسق . ثم نفترق واظل اسأل نفسي : من يا ترى يكون هذا الشقيق للروح ؟ ويمضي الزمن فتطلع الجرائد ، وفيها شعر لناجي ، فأقرأه واردده ، وانا لا اعرف ان هذا الشاعر الهفاف في سمائي هو ذلك الحبيب الذي القاه حيناً بعد حين ، واود ان اعرف اسمه .

هذه اول معرفتي بناجي . احببته لروحه وشعره ، دون ان اعرف الصلة بين هذين الاثنين . ثم دارت الايام ، واتيح لي ان القاه في جماعة ، وسمعت من يناديه باسمه ، فانتفضت ونظرت اليه ، ونظر الي ، واذا لقاء روحين ، روحي التي سبحت في آفاق خياله ، وبكت معه في مآسيه ، وغنت معه في ترانيمه ، وروحه التوأم التي كانت تطالعني ، وانا لا ادري اي جسد تسكن . واتصلنا انسانين صديقين ، فاذا عطفه يغمر الكائنات حوله ، واذا بشره ينتشر على السمار ، كما تنتشر غلالة النور على المرج الفسيح . واذا علمه اذا تكلم ، يقطر من ثنايا عباراته ، واذا هو الشاعر الذي يفيض رقة وحناناً ويذوب احساساً ووجداناً .

عاشرت ناجي وهو ضاحك السن ، مشرق الوجه ، متهلل الاسارير ، وعاشرته ساهماً حزيناً ، يكاد صوته يجري قوافي باكية . عرفته كيف يسكت عن جراحه ويأسو جراح الآخرين وسمعته وهو ينظم ، خالياً بين الناس وصاخباً وهو وحيد .

كان ناجي لا يكاد يقول الا شعراً ، فاذا خاف ان ينساه كتبه على اي شيء يقع له ، اكان ذلك بطاقة من بطاقاته او تذكرة دواء او جلد كتاب ، او قصاصة بيضاء من خطاب وقد تسبق معانيه يده فيخاف على القوافي ويثبتها قبل اتمام السطر او البيت ، وقد يكتب الابيات صدراً بلا عجز او عجزاً بلا صدر . لا تجلس اليه الا اسمعك من شعره الجديد ، او حن الى شعره القديم فاخذ يلقي عليك بعضه ، وكأنه ينظر في صفو الماضي الحزين . وهو في خلال ذلك يقرأ لك من شعر غيره ما اختاره من شعر عربي وأعجمي ، كان يديم القراءة فيه ، ويقتنص منه ابدعه . كنا لا نرى ناجي الا متأبطاً كتاباً ، او ماضياً الى شراء كتاب . لا يستقر له فكر ، او تهدأ له عاطفة او كنا نراه يصدف عن الطعام ، ولا يأنس الى النوم ، ولا يطيب له قرار في مكان ، وهو في كل ذلك الطبيب الذي يأسو الجراح ويخفف الآلام ويعطي من علمه وماله ، ما يسد الجرح والرمق .

ومضى الزمن ، واخرج ناجي ديوانه « وراء الغمام » واردفه بـ « ليالي القاهرة » فضم شعثاً متفرقاً ، وبعث مدرسة جديدة في الشعر اساسها النفس التي تشعر وتصور هذا الشعور ، معنى حزيناً يكاد يطفر من طوق اللفظ ليدخل الى نفسك احساساً صادقاً ودبيباً أليماً .

وشاء القدر ان يحتضر ناجي .

وكان ذلك وهو على اهبة السفر الى لبنان . وخفت على شعر ناجي مبعثراً في كتبه واوراقه او متناثراً عند اهله واصدقائه ، او مفرقاً في الجرائد والمجلات ، او محفوظاً في صدور احبابه . ورأيت من واجبي وانا رفيقه في الحياة والادب ، ان اجمع ما تفرق ، وان اعمل على نشره في ديوان جديد وقد وفقني الله الى ذلك وكان الفضل لدار المعارف التي اصبح الديوان الجديد بين يديها تعده للنشر عن قريب .

لم يختر ناجي اسماً لهذا الديوان فقد ذهب قبل ان يخرج ديوانه الى الوجود ولقد تصفحنا عناوين قصائده كي نختار منها مايصلح عنواناً لهذا الديوان فاذا « الطائر الجريح » اقرب ما يليق به.

هذا الديوان عامر بالمعاني الجديدة ، زاخر بالصور النفسية ، صارخ بالحس العميق . واجد على الالم الدخيل . هذا الان ناجي عاش سنيه الاخيرة ، وهو يشعر ان القلب الذي يفيض على الناس انساً ورحمة لم يجد من يجزيه عن الوفاء وفاء . وعن الود الفة واخاء. عاش ناجي سنيه الاخيرة وهو لهفان على فراق القلة التي تعطف عليه ، وتحن اليه ، فصور في شعره ذلك الخوف اعمق تصوير ، في اوضح تعبير قال رحمه الله :

يا ويلتا من عمري الباقي   هذا سواد تحت احداقي
هذا بياض الشيب واعجبي   من مغرب في زي اشراق
عذّبت ايامي بعفتهـــا   وقتلتها بصفاء اخلاقي

وقال :

نضبت على طول السنين حماستي   فوقفت استجدي المعين الناضبا
ولو استطعت حملت غارب همتي   وسحبت من خلفي الشباب الذاهبا
قد كان في حلو الحياة ومرها   ظلًا نبا عني الرفاق وما نبــا
صاحبته حتى اذا طال المدى   طوى البساط فلم اجد لي صاحبا

وكان الحب هو المحور الذي يدور عليه شعر ناجي . وجد فيه كهفاً يقيه حر النكران ، ومعينا يسقيه رحيق الحنان ، وافاض في وصف هذا الحب ظالماً ومظلوماً ، ناعماً ومحروماً ، سليبا ومكلوماً . وكان حبه عميقاً لروح تشاطره اساه، وتساجله نجواه ، ولقلب يحس أنينه ، ويسمع حنينه ، وكان يجد في هذا الحب سلوى وعزاء ، يرفهان عن نفسه ما يحسه من آلام هذه الحياة . اسمعه يقول من قطعته « بقايا حلم » .

ذات يوم في اصيل فاتن   ذابت الشمس فسالت ذهبا
كست النيل نضاراً وانثنت   تغمر الصحراء نخلًا وربى
ما على الجيزة ان قد ابصرت   شفقي معتنقاً فجر الصبى
قد رأتنا مثل طيفي حلم   ما عليها اقبلا ام ذهبا
قلت هيا، قلتِ نمشي، سر فما   من طريق طال لا نذرعه
قلت والعمر بعيني كالكرى   وانا في حـــلم اقطعه
جمع الدهر حبيباً واقعاً   بحبيب وغدا ينزعـه
أطريقان ؟ طريق دونه   في حياتي وطريق معـــه

كلما خلى حبيبي يده   لحظة قلت وحي ابقهـا
ابقها انفض بها خوف غد   واحس" الامن فيها وبها
ابقها اشدد بها ازري اذا   ضعف الازر او العزم وهى
ابقها أومن اذا لامستها   ان حبي ليس حلماً وانتهى

ويقول في قطعته ظلال الصمت :

هـــذه الدنيا هجير كلها   اين في الرمضاء ظل من ظلالك
ربما تزخر بالحسن ومــا   في الدمى مهما غلت سحر جمالك
ولقد تزخر بالنور وكم   من ضياء وهو من غيرك حالك
لو جرت في خاطري اقصى المنى   لتمنيت خيالا من خيالــك

وله في قطعة « الفراق » :

أأموت ظمآناً وثغرك جدولي   وابيت اشرب لهفتي وولوعي
جفت على شفتي الحياة وحلها   وخيالها في ذلــك الينبوع
قد هدني جزعي عليك وأدعي   اني غداة البين غير جزوع
واريد اشبع ناظري" فانثني   كي استبينك من خلال دموعي

هان الردى لو ان قلبك دار   أأموت مفترساً وصدرك داري
يا من رفعت بناء نفسي شاهقاً   تهـــل الجنبات بالانـوار
اليوم لي روح كظل شاحب   في هيكل متخاذل الاسوار
لو في الضلوع اجلت عينك ابصرت   منهارة تبكي على منهـــار

وكان ناجي يجد في ذلك الحب ينبوعاً لشعره الدفاق ، وإلهاماً لمعانيه الرقاق فيقول في قطعة قصة حب :

حلم كما لمع الشهاب توارى   سدلت عليه يد الزمان ستارا
وحبيس شجو نادمي اطلقته   متدفقـــاً ودعوتـه اشعارا
ووديعة رجعت فما خطي اذا   رد الذي كان الزمان اعارا
قد كان قلباً فاستحال على المدى   لحناً تناقـــله الرواة فسارا
لك في خيالي روضة فينانة   غنى على اغصانها شاديهـــا
يحمى مغارسها ويرعى نبتها   راع يجنبها البلى ويقيهـا
فاذا النوى طالت علي وشفني   جرحاً وعاد لمهجتي يدميها
نسق الخيال زهورها وورودها   فقطفتها وشممت عرفك فيها

يا رب ارسلت الاشعة ها هنا   وهناك تشرق في الحمى والدور
ومن الشموس دفينة في خاطري   مخبوءة الاضواء طي شعوري
واحس في نفسي نقاء سمائها   اصفى برونقهـــا من البلور
يا رب اودعت الضحى في مهجتي   وانا الذي اشقى بهذا النور

والآن فاستمع اليه يقول في قطعته الرائعة « زازا » :

انا وحدي في البيد حيران هائم   فتى تذكر القفـــار الغمائم
رحمة يا سمـــاء ان فمي جف   وحلقي عن الموارد صائم
ايها الناعم الكرى ملء جفنيك   وجفني من الكرى غير طاعم
غير هذا النوى فان لياليـــه   ظلال من المنايا حوائم
لا تكلني الى جناح عقاب   في ضلوعي محلـــق الرعب جاثم
لا تكلني لضائع في حناياها   غريب في مهمـــه من طلاسم
ذاق مـــا ذاق في الصبابة الا   ذبحة الروح وانفصال التوائم
آه كم ليلة اراجع ايامي   اعد العلى واحصى الفطائم
وحسبت الخسار فيها فكان   الغبن عنـــدي زماني المتقادم
قبل ان نلتقي فلما تلاقينـــا   عرفت الغنى وذقت المغـــانم
وعجيب قـــد كنت لي   حسد الحساد وكنت انت التمائم

وهذه ابيات من قصيدته « الطائر الجريح » التي سمي باسمها ديوانه الجديد .

اني امرؤ عشت زماني حائراً معذبا
مسافراً لا قوم لي مستبعداً مغتربا
مشاهداً علي في مسرحه ان ارقبــا
رواية مُلت كما مل الزمان ملعبا

فراشة حائمة على الجمال والصبى
تعرضت فاحترقت اغنية على الربى
امسي بمصباحي وحيداً في الرياح متعبا
امشي به وزيته كاد به ان ينضبا
وليس بالاحداث فيما قيل او ما كتبا
كالعمر والسقم اذا تحالفا واصطحبا
اني امرؤ عشت زماني حائراً معذبا
لا احسب الايام فيه او اعد الحقبا
دخلتها غراً وعدت فانياً مجربا
ان كان هذا الدهر فيما جره قد اذنبا
فانه تاب وادى وعده المرتقبا
لعلك ماح للذنوب ، كيف لي ان اعتبا ؟
ضممت عطفيك غداة الروع ابغي مهربا
كم خفت من ان تذهبي وخفت من اذهبا

هذا هو ناجي في حبه وهيامه ، ولوعته واسقامه ، واما ناجي شاعر العقل والفكر ، فشعره كثير في الحيرة والاستقراء . ينظر الى هذه الدنيا فيقتله الشك في امرها ، وينحى عليها باللائمة ، ثم يرتد الى نفسه فلا يجد الا الى الانابة سبيلاً . ثم يضرع الى باريء النسم يستغفره لهذه الارض التي امتلأت ذنوباً وآثاماً ويقول في قطعة «القمة» وهي من اروع ما نظم ، وابلغ ما صور قال يرحمه الله :

يا ايها العالي الغفور الصفوح   هل ترحم القمة ضعف السفوح
تاجك في النور غريق وفي   عرشك غنى كل نجم صدوح
وامين هامات الربى نكست   من هامة فوق منيف الصروح
وامين اوراق خريفية   ارجحها الشك فما تستريح
من باسق راس به خضرة   ثابتة الرأي على كل ريح
برئت من هذي الوهاد التي   تغدو على اناتها او تروح
واين في مبتسمات الذرى   برق الاماني من وميض الجروح
أصغ لهذي الارض واسمع لما   تشكو ، لمن غيرك يوماً تبوح ؟
تطفو على طوفان آلامها   واين من آلامها فلك نوح
هل تسخر الحكمة مما بنا   من نزوات وعنان جموح
حمقى قصارى كل غاياتنا   عزم نهيض وجناح كسيح
يا سيد القمة انصت لنا   لا يعرف الاشفاق قلب مشيح
واسكب ندى الحب بأفواهنا   كم من بكي وظمي طليح
فربما يشرق بعد الدجى   وجه صبيح وزمان مليح

ويقول في قطعته « ظلام » .

بعد ما غوّر نجمي ودليلي   ما مسيري دون ترب او خليل
في طريق الصخر والشوك وفي   شعب الإرهاق والكد الوبيل
الغريبان عليها التقيا   يستعينان على الدرب الطويل
ما انتفاعي بحياتي بعدما   ساقك التيار في غير سبيلي
كل جد عبث والدهر ساخر   وخبيء السر للعينين ظاهر
ادعي اني مقيم وغداً   ركبي المضنى الى الصحراء سائر
عندما صافحت خانتني يدي   ووشى خاف من الاشجان سافر
كذبت كف على اطرافها   رعشة البعد واحساس المسافر

ضحكة ساخرة هازلة   وخيال تافه هذي الحياة
هذه الاكذوبة الكبرى التي   خدع الناس بها واسفاه
ذل فيها المال والجاه الى   ان غدا احقرها مال وجاه
نحمد الله على انا بها   لم نصن من ذلة الا الحياة

ونظم ناجي في ديوانه الجديد رباعيات بديعة اودعها شتى المعاني وابدع الصور قال رحمه الله :

قلبي مع الناس ولحظي شرود   في عالم رحب بعيد الشعاب
عيني على سر وراء الوجود   وبغيتي عرش وراء السحاب
كم طرت بي واجتزت سور الضباب   والنور ملء القلب ، ملء الرحاب
وعدت بي للارض ارض السراب   والليل جهم كجناح الغراب
أريتني الغيب الذي لا يرى   كشفت لي ما لا يراه البصر
ثم انحدرنا نستشف الثرى   على وراء الترب سر السفر
ومطلب في العمر ولي وفات   وكان همي انه لا يفوت
كأن فجراً ضاحكاً في مات   وملء نفسي مغرب لا يموت
كم خانني الحظ ولا انثني   اقضي زماني كله في لعل
وتقسم المرآة لي انني   رقعت بالآمال ثوب الاجل

ثم يثور في قصيدته « غيوم » فيقول :

امل ضائع ولب مشرد   بين حب طغى وجرح تمرد
غفر الله وهمها من ليال   صورت لي الربيع والروض اجرد
فاسمتني الورقاء احزان قلبي   وشجاه وغردت حين غرد
ثم ولت والقلب كالوتر   الدامي يتيم الدموع واللحن مفرد
ما بقائي ارى اضطراد فنائي   وانتهائي في صورة تتجدد
ورثائي وهل يفيد رثائي   لأمان شقية تتبدد
عبثاً اجمع الذي ضاع منها   والمنايا مني ومنها بمرصد
وبقائي ابكي على امل بال   واحنو على جريح موسد
وشكاتي الى الدجى وهو مثلي   ضائع صبحه ضليل مسهد
رب عفواً لحيرتي وارتيابي   وسؤال في جانحي يتردد
هو همس الشقاء ما هو شك   لا ولا ثورة فعدلك اخلد

هذا قليل من كثير نظمه ناجي في سنيه الاخيرة وقد وجدت بخطه ابياتاً كتبها في شهر مارس سنة ١٩٥٣ وهو الشهر الذي رحل فيه عن هذه الدنيا ، ولم يتمها واظنها آخر ما كتب قال طيب الله ثراه .

قضيت العمر تذكر لي   واذكر في الهوى جرحك
فقم نسخر من الامل   ومن اعماقنا نضحك
وقم نسخر من الدنيا   وقم نله مع اللاهي
طويت صحيفة الامس   فدعها في يد الله
هل الدنيا كما كانت   وماذا ينفع الوعظ
وما عتبت ولا خانت   ولكن خانك الحظ
اردنا الجاه والذهبا   فلم يتلطف المولى
وهذا العمر قد ذهبا   واحسن ما به ولى

نعم ذهب العمر وراح ناجي . ولكنه لا يزال يعيش في شعره وذكراه ، طيب الله ثراه والهمنا الصبر على فقده .

القاهرة   احمد رامي

نزعات الشعر الفرنسي عامة

بقلم جيتان بيكون
Gêatan Picon

ترجمة نسيم نصر
استاذ التاريخ والادب في ثانوية طرابلس

*

ان تاريخ الشعراء اذا نظرنا الى بعض تأخره في هذه السنوات الاخيرة ، تكشف عن عدة خطوط عامة ؛ نستطيع معها ان نقرر هذه الحقيقة المغايرة للعرف الجماعي وهي : ان تأثير الظروف بدا اعمق على الشعر منه على القصة الفرنسية ، وليس ذلك لان انعكاس الاحداث العالمية يتلاعب باكثر المؤلفات الشعرية الحديثة ، بل لان ميادين تلك الاحداث تجاذبت الشعراء لاعادة النظر في قضية الشعر . وما في ذلك اعجوبة ؛ اذ لم تكن القصة ، في زمن ما ، بعيدة عن العالم بعدها اليوم ، والتي يهيب بها نداء الواقع لتكون له عرضاً منطقياً فاصلًا . اما حال الشعر فعلى العكس لانه يحيا بعيداً عن كل حقيقة ، محتجزاً في التلاعب اللفظي والموضوعية العاطفية ، وتساوق المجازات اوالرموز ويروح الى مغايرة المألوف في جو من الكنايات المعماة . ولم يستطع فيه نداء الواقع غير اختلاط زاده ابهاماً .

وليس ممكناً ان تُرد خصائص الشعر الحديث المتنوعة الى وحدة ؛ ولكنه يستطاع الوصل فيما بينها دون اخضاعها لسيطرة هزات الاحداث العالمية ؛ فحرب سنة ١٩١٤ لم تخلف غير قليل من الاثار في الشعر الفرنسي ؛ ولكنها مستمرة في نتاج « Jouve و Supervielle و Eluard و Aragon و St. J. Perse و Michaux و Prévert و Char » كأنها ما تزال جارية ؛ فنحسها في شعر هؤلاء باساليب منوعة تبدو عليها غالباً ملامح القصة ؛ ولكن تلك الغلبة تتناول اعماق الشاعر .

وقضية اتصالية التعبير الشعري بالجماهير قضية وضعت على بساط البحث وَسيقاس الشعر بهذه الاتصالية عاجلًا او آجلًا ؛ ولكن الظروف تلح بوجوبها ، ويلوح ان شعر الآونة التي نحياها يجتذب بكل وسيلة ، الامكانيات الجماعية التي كان شعر الامس القريب دائم البعد عنها ؛ ان كان من حيث صفاء الشكل والموضوعية الموقوف عليها او من حيث سطحية منابعه . والذي يبدو ان الشعر يهم بالترسخ على حقول من التجاوب فوق مستوى جماعي ؛ فيستعيد اهتمام القارىء وتبادل المفاهيم . فالشاعر تتفاعل ذاته ، في وقت واحد ، بمقاصده ومقاصدنا وبالظروف الشاملة والمشاهد الجارية وبالمعنيات القائمة مراكز تكتل لوجهات النظر فلا يستأثر مركز التشعث بنفس الشاعر الذي ما برح ينظر الى ذلك المركز كمنبع مميز ؛ فتضعف العاطفيـــة الفردية كما تضعف سرية الموضوع وتتـــلاشى قيمة « انا » لتقـوى قيمة « نحن » .

وبعد أن ينوه المؤلف بنهج بعض الشعراء الذين توزعت نزعاتهم بين التعبير عن مشاعرهم ومشاعر الجماعة وبين الاعتماد الرمزي والميثولوجي العالمي وبين الواقعية المستدقة والعرض السينمائي يقول :

« إن هذا الشعر فيه من العاطفية والرمزية ما في الحكاية العرضية من خيال الرواية : فهنا يعبر الشاعر من علم النفس الى ما وراء الطبيعة ومن تجليات الخيال الى عرض الجاري ؛ وهناك يقفز من العاطفية الى الواقعية او الى الميثولوجية . ويبقى دائماً الانتقال واحداً من التناوُلية الى المتناوَلية * .

وهذا التطور يبدو على البيان كما يُحَسُّ في الشاعرية . فاما ان يكون في استعمال عبارة تلوح مخالفة كل المخالفة « التعبير الشعري .. » واما ان يكون في سوى ذلك مما لا يخرج عن نزوع جامع لغاية واحدة وهي :

* التناولية Subjectivité ، المتناولية Objectivité : تعريب جديد .

« البحث عن التعبير الاتصالي الواصل بين انا ونحن . »

« ولكن الحدث الشعري العظيم الاخير لا ينحصر في شعر المناسبة التاريخية او المرادفة للتاريخ ، ولا يقتصر على بعث شعر ميثولوجي او بديعي ؛ ولكنه يتعداه الى نوع من الشعر ليس شعراً . » ولقد كان ما حطمه الشعراء من الحواجز الفاصلة بين ما هو شعر وما هو غير شعر ، من بودلير الى ريفيردي ، عملاً لخير الشعر ، وهذا التحطيم اليوم يفيد منه الواقع . وكان الشاعر قبلاً يصنع الشعر مما يهمله غيره على انه ليس شعراً فكان يجعل من الكون قصيداً : اما اليوم فيجعل شعراً كل ما يعرفه غير شعر . ولم يبق المهم ان نلحق الواقع بالشعر وانما المهم ان نلحق الشعر بالواقع .. »

ولأول مرة ، نجد الشعراء شعراء رغماً عنهم وهم يدافعون عن كونهم كذلك . ولأول مرة ينظمون شعراً يهدم الشعر . ومن الثابت ان ليس هناك ما يؤيد ان هذه الواقعية تبشر بمستقبل ولكن اكثر البيان تعبيراً هو اجدر بالاهتمام ولذلك لا يجوز ان نتردد في الاعتراف بان فيه شعر العالم الحديث .

انجازات شعرية

بين الشعراء الذين اخذوا في مهمتهم ، منذ زمن طويل من يحيا بيننا اليوم ، وقد انزلقت على اقلامهم السنوات الاخيرة غير تاركة اثراً هاماً ؛ فلا « ليون بول » ولا «بيير ريفيردي» ولا « جون كوتو » يعرض لنا وجهاً غير الوجه الذي عرفناه له قبل الحرب . و « ماكس جاكوب » المتصل تاريخ وفاته بهذه الحرب لم يترك من صلة بينها وبين آخر ما ألفه . ولكن على الرغم مما تنتظره ، فان « سوبيرفيال وجوف وسان جون » لا يبدو اديهم اليوم في قدر سطوع الادب ، منذ عشر سنوات .

بيار ريفيردي

يجدر ، مع ما تقدم ، ان نفرد لـ « بيار ريفيردي » المولود سنة ١٨٨٩ ، مكاناً خاصاً بمناسبة ظهور مجمل بواكيره الشعرية في مجموعتين وهما « اكثر الاحيان » و « يد عاملة » . واذا كان نتاجه قد ظهر مستبعد النظر في التاريخ ، فانه مدين بذلك لنضوجه المبكر واستباقه العصر . وفي ما انتجه انتساب الى الشعر الحديث ؛ لان « براك وبيكاسو » اللذين صادقهما دائماً وكان غالباً معلقاً على شعرهما ، كانا من مدرسة اللون الحديث . ومنذ اكثر من عشرين سنة ، كان ظهور ديوانه « غيوم السماء » (١٩٢٤) ذلك الظهور الذي نحسبه اليوم احدى المراحل الهامة في تاريخ الشعر المعاصر ؛ فحيا المتطرفون في الواقعية صاحبه معلماً لهم . وهو ، والحالة هذه اصيل في الواقعية المتطرفة التي بدت لنا كمصدر لادبنا . ولو ان شاعرية ريفيردي استطردت

عملها لما غيرت في نهجها ولاحتفظت بتصويرها المميز وقوتها المثيرة ومعناها العميق المبطن بتفاوق مركز فيما بين حركات الحياة الداخلية والارتجاجات الخارجية . ويبدو ان تأثير ريفيردي عظم في السنوات الاخيرة وان صلته بادب العصر اصبحت وثيقة جداً واوفر حياة من صلة «فارج وكوكتو وماكس جاكوب» ونتساءل : هل وجدت واقعية الشعر موطناً لها في ريفيردي ؟ والجواب على ذلك ان شعره وان كان مثيراً فانه يقدم الغاية اولاً فيحدث ذلك ثقلا وتعييناً وعزلة ماكان ليرضى بها ، ومع هذا فشعر ريفيردي هو اول شعر غلبت عليه ملامح الاستطراد الصوري وسجل الحادث المنوع ببساطة وعدّد بجفاف الحركات والاشياء وهذه تذكرنا بـ « بريفير » .. وينتهي ريفيردي شيئاً فشيئاً الى انه متحسس الجمال (قفاز الشعر) * فنراه معلماً .

جول سوبيرفيال

لا جدل في ان جول سوبيرفيال (المولود سنة ١٨٨٤) هو من اصفى شعرائنا ؛ ولكن افضل شعره نقع عليه في ما نشره قبل عام ١٩٣٨ : « جاذبيات Gravitatoins والمحكوم البريء Le Forçat innocent » اما « قصائد فرنسا التاعسة Les poèmes de la France malheureuse » فلم تضف شيئاً على مجده ؛ لان سوبيرفيال لم يستمد من الحوادث الفاجعة فتوة لشعره . ويبدو ان توقّع الكارثة أوحى اليه اكثر مما أوحى وقوعها : « فالصلاة الى المجهول la Prière à l'inconnu » التي يرجع تاريخها الى سنة ١٩٣٧ هي ارفع شعراً من القصائد التي يغني فيها آلام البعاد والوطن المغلول والتي كان فيها مؤرخاً واما عاطفيته وغناؤه الحميم وحنينه المفؤود فتحمل على القول بانه ينتمي الى طراز شعري فاته الزمان .

ومع هذا فانه بمظاهر اخرى يتصل بالشؤون الحاضرة فيبدو كمصور وممثل لان في شعره حقيقة ، ما هو ابعد مدى من سرية العاطفة ؛ فيه عناصر الميثولوجية العامة وشعور عميق بازلية الكون وتمثل للانسان يواجه مصيره الاصيل ، ان فيه شاعراً ملحمياً يعبر ، في غير تفخيم المبالغة ولا تعمد الفصاحة ،عن اسمى التجليات فيعمد اليها في لهجة مستخفة كأنها تهكم ؛ فتحس جو الاقصوصة التعليمية Fable. وكان سوبيرفيال كأكثر الشعراء المعاصرين يعنى بالانتقال من العاطفة الموضوعية الى شعر الميثولوجيا وما وراء الطبيعة . فكأنه جعل من الشعر اسطورة العالم ، وفي فعله هذا توفق الى حل لقضية الشعر افضل من كثير من الشعراء .

ذلك لانه لم يبحث بعيداً قط فلم يكن قصيده غير ضمات من الالتماعات الوهاجة ، يصدر فيها عن مأتى واحد ينساق منه خيط الغناء من اوله الى آخره دون انقطاع . والجرس المستحب بشكل القصيد في وحدة تفسح للذهن ان يتفهمه . وليس التساوق الجرسي في القصيد هو الذي يباشر الفهم ، سواء أكان الموضوع غزلاً ام حكاية تعلمية ام ملحمة امرثاء ام اغنية ولكنها شفافة التعبير المطلقة هي التي تجعل من بعض نصوص سوبيرفيال اكثر النصوص نجاحاً وقد تكون اكثر الشعر الجامع بين الاغراء والمنطق دنواً من التمام فتكتسب بذلك الاعتبار الشعري الدائم .

ولست اقصد في هذا الى القول بان سوبيرفيال يتبسط في الافكار او ينشىء اطاريح ، ولكن يستلمح عنده دائماً عمق من الاغراء المنطقي او القصصي . ويؤيد عنه حقيقة انه قاص الى جانب انه شاعر مؤلف حكاياته المدهشة المنشورة تحت عنوان: سارق الاولاد. فبدلاً من ان يتسكع في تمثل مظلم يُمر الصور واقاصيص الآلهة وانطلاقات النفس متساوقة في نظام . لذلك لا ارى شاعراً كان اكثر حظاً من سوبيرفيال في المؤالفة بين هذا الاغراء المنطقي والتعبير الشعري المصفي وبين الوضوح ومداناة النثر في وقت واحد . والشعراء الذين ارادوا حديثاً ان يبنوا ادبهم على المفاهيم الجماعية ويعبروا ببيان سهل التناول نوعاً من رمزية العالم والانسان لم يتوصلوا قط الى الاعتماد على وجدان سليم في تنحية حركة الاغراء المنطقي التي يرمي اليها الشعر الحديث ، كما انهم يعملون جاهدين في تقنيع نهجهم التعليمي بستار من الاغراق في الابهام . وهذا النحو من الشعر يدعونا الى بناء المعاني ؛ ولكنهم بعملية التقنيع يحملوننا على الاعتقاد بان تلك المعاني ليست في اماكنها . اما في شعر سوبيرفيال فالامر على العكس لان البساطة تبدو غالبة حيث تحقق كيمياء اللفظة وهو اما قصد الى السرد ، او الى ترسم سفر التكوين ، او الى تمثله الله يخاطب الانسان ، او الانسان المجهول يخاطب المعلوم ، فان تعبيره الشعري يبدو شفافاً بسيطاً مؤذناً بالتماع المعاني ،كما تلتمع الحصى في الماء النقي ، ترافقها تمتماته الهانئة .

نسيم نصر

* Le Gant de Crin طبع سنة ١٩٢٧

قلب فارغ

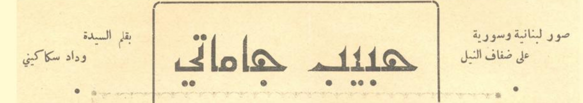
✶

وشربتُ حتى لم يعدْ — بيني وبينَكِ غيرُ أمسي
خيطٌ رقيقٌ شدَّ شمعة — ناظريَّ لقعر كأسي
حلمٌ تلوّنه الدموعُ — تعومُ فيه ظلالُ نفسي
فأكادُ ألمحُ في خطوطِ — اللونِ ما يطوي التأسي
غفواتِ عطرٍ ساهمٍ — وحفيفِ ثوبٍ من دمقس
وصدى ليالٍ نوّمٍ — ورفيفِ أهدابٍ وهمس
وخيولَ آلهةٍ تجرّ — وراءها قمري وشمسي
ونعيبَ امرأةٍ وراء — جدار قلبي ، ذات أمس
جشمت تردّدَ نفسَ ما — غنيته يوماً لنفسي

✶

دنيا يزاحمُ بعضُها — بعضاً على قنواتِ حسي
حتى اذا لاح الصباحُ — وأوقظتْ أشباحُ نحسي
ألفيتُ قلبي فارغاً — لا شيءَ فيه من المؤسّي

بغداد — صفاء الحيدري



لو كتب تاريخ الوعي الصحافي الحديث في مصر والبلاد العربية وفصّل المؤرخ أو الباحث القول فيمن شاركوا حركة البعث والبناء وإدخال الروعة والتجديد في حياة الصحافة ورسالتها لجاء ذكر الاستاذ حبيب جاماتي في الطليعة، فهو صحفي بطبعه ومزاجه وإن صح التعبير قلت إنه موهوب في هذا الفن الأصيل من مفرق شعره الى أخمص قدميه.

ادركته هذه الحرفة الشاقة منذ كان فتى ناشئاً بلبنان، ولما جاء مصر تاقت نفسه الى الصحافة فاندمج في أهلها ومارسها ومارسته حتى طاوعه القلم وحفزته الموهبة والتجارب فانقادت له بحاجته واخلاصه على الصبا وريّق العمر، ولم يكن من دأبه التقليد والمحاكاة فلما طلع على الناس بآثاره التي احتوت الفن والابتكار قرأوه بشوق واعجاب وتتبعوه بأمل وانتظار.

كانت الصحافة العربية اول عهد الناس بها بعد الحرب العالمية الاولى ضرباً من المقال المسرود والخبر المستفيض وحشداً من البرقيات والشؤون المحلية والاقليمية بأداء لا يخلو من الترادف والتسجيع حسبما كان معروفاً ومألوفاً، فما جالت في موضوعاتها اقلام حرة مثقفة نهجت هذه الصحافة نهجاً جديداً، وتلبي مطالب القراء الذين دب الوعي في صفوفهم واصبحوا يتطلبون جدة وتنويعاً وسبقاً، وتحرياً للحقيقة اينما كانت، وقد عُدّ هذا التجاوب بين الصحافة الحديثة وبين قرائها تطوراً ملموساً يستطيع عالم الاجتماع ان يرى فيه حركة تحول في اساليبها ومظهرها وتحررها من جمودها القديم وتقاليدها الموروثة لتمضي مع حاجة العصر والمجتمع والحضارة التي دخلت الحياة الخاصة والعامة.

وكان الاستاذ جاماتي من شهود هذا التطور العنيف ومن جنده المستبسلين في معركته الظافرة التي احلته فيما بعد مكانته الجديرة بمواهبه ومزاياه، على ان الصحافة التي مضت في تحولها المحسوس تساير هوى الجمهور وتلائم بين مصلحة اصحابها وبين مراد الساسة والحكام لم تستطع ان تجرف الاستاذ حبيب جاماتي بتيارها وتستهويه بسحرها فبقي مع فئة من انداده المتمرسين بالصدمات والجهاد حفيظاً على العهد وفياً للرسالة الكبرى، منزهاً قلمه عن تلاوين الظروف والانسياق مع الحوادث والايام فالحقيقة الراهنة هي هدفه ومناه مهما تألبت الشدائد وتعسرت الاحكام، وكانت سلواه اذا احب ان يخلص من اشواك السياسة ان يرفه نفسه بين ورد الفكر والادب فيطلع على قرائه من حين الى حين بطرائف من التاريخ اهملها المؤرخون المعاصرون وقصص في الحب والحماسة اذا قرأها المتعلم او المثقف، المرأة والرجل، تمنى ان لا ينتهي منها، وما اشبه الصحافي المطبوع بالممثل البارع يظهر على المسرح بأشتات المشاهد، فاذا ظهر الاستاذ جاماتي صحافياً بالعربية، مختصاً بأفانين فيها، وكاتباً للقصة والتاريخ بلغة الضاد فاننا لم نعجب ان رأيناه ضالعاً ايضاً في أفق آخر هو الصحافة الفرنسية بمصر والبلاد العربية، وقد ملك قياد اللغة الباريسية اذ هو اديب فيها يفهم اسرارها وينقد اشعارها ويجري قلمه في معانيها كأهلها من الموهوبين، كما ان الصحافة الفرنسية في مصر وجدت بقلمه ورأيه عوناً منه لها وتبصيراً فيما تكتب بغير لغة البلاد، فكان حبيب جاماتي عنصراً طيباً في هذه الصحافة الاجنبية وديدباناً عليها رقيباً، لئلا تنحرف عن رسالتها فيما استن لمناهجه.

وللاستاذ جاماتي صلات مودة باقطاب الصحافة الفرنسية ورجال القلم فيها، فهو دؤوب المطالعة والتتبع لما ينشره هؤلاء المحررون والمفكرون في صحافة بلادهم عن وثبة العروبة وهبة الشرقيين ونضالهم وسعيهم الى التحرير والاستقلال، فاذا قرأ الجاماتي مقالاً لكاتب غربي يتجنى على العرب ويسيء الى جهادهم واتحادهم فسرعان ما يشرع هذا الصحافي الامين قلمه الحر لدفع

المساءة وتبيان الحقيقة التي يجهلها كتاب الغرب عنا وفيهم من انبسط صيته في مجال الفكر والادب واتصل بحياتنا اتصالاً طويلاً.

لقد تعددت جوانب العبقرية في هذا الصحافي اللبق الذي اوتي حاسة النقد وثقافة الفكر ومرانة السنين فهو يفهم السياسة من ابوابها ومنافذها ، وكان يصطنع في عهود الطغيان اسلوب الحكيم فيجري التورية والكناية في مقالات له مشهورة ما زالت موضع التقدير والاعتبار ، فكم ثعلب سياسة صوره الاستاذ حبيب مكشوف اللعبة كاشر الفم عن ابتسام ماكر ، وقد قدر ساسة العرب قدر هذا القلم الجبار وما اوتي من الحذق والصدق في تصوير الاحابيل والخفايا فيما يأتمرون به ويظهرون ، وما كان اتصاله بالكبراء والمفكرين ملقاً او زلفى او ابتغاء مرضاة او مال كما صنع بعض المحترفين من الصحافيين بل كان رأياً ناضجاً ومجهوداً خالصاً لوجه الحق قبل كل شيء، ثم لخير مصر والعروبة فما من خطب ألم بوادي النيل او بأرض عربية الا رأيت الجاماتي سباقاً الى الكتابة في ذلك الخطب كاشفاً عن اسبابه داعياً الى اتحاد الشعوب وتصفية القلوب، وما نزلت بقوم نازلة ضيم وتشريد إلا هب من اجلها حبيب رافع الصوت في النجدة والغوث والتناصر تارة وفي صب جام الغضب على من كانوا السبب تارة اخرى، وكان يدعوه السبق في الحوادث والتيقن في الاستطلاع والوقوف على الحقائق من مأتاها ومظانها الى الرحلة والتطواف في كثير من البلاد الشرقية والغربية غير عابىء بالمعاناة في سبيل غايته ورسالته ولو ان الجاماتي مال مع رياح السياسة ولم يتخذ الوطنية والحقيقة وجهة وهدفاً لكان اليوم في عداد الذين جعلوا الأقلام مجازاً للجاه والمال .

قلت من قبل إن هذا الصحافي الموهوب أوتي أدب النفس والقريحة فهو كاتب باللغتين خطيب باللسانين ، سمعته في حفل أدبي يرتجل كلاماً دقيقاً شائقاً بالفرنسية التي اتقنها، محللاً قصيدة للشاعر الفرنسي موسكيتيلي الذي نزل القاهرة في العام الماضي ونظم مقطوعات يناجي فيها عمر الخيام وجلال الدين الرومي ويمضي على غرارهما حاملاً طاقة من أزاهير المشرق فواحة بعبير الاحلام الفارسية ، فاستهوى الاستاذ جاماتي سامعيه بتحليله الجميل وتعليقه الظريف .

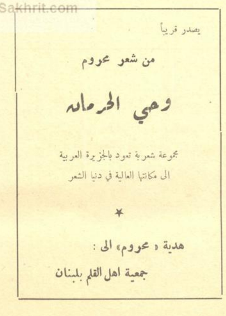
وسمعته يخطب في النادي الشرقي حيث يتلاقى اهل الفكر والوفاء من بلاد لبنان والعروبة متصلين باخوانهم الادباء المصريين فكان موضوع حبيب الجاماتي ممتعاً رائعاً لا يحذق القول فيه الا من اوتي دماثة فنه وخفة روحه ، كان كلامه على ضروب من الغناء الشعبي في لبنان ، وكانت ترفده في خطابه وادبه موسيقى فاضل الشوا وغناء مطربتين كالزنبقتين اطلعهما الجبل الملهم شاديتين بجماله الأخاذ وطبيعته الموحية ومجده الباقي على الزمان فرد الجاماتي سامعيه من ضفاف النيل الى ضفاف البردوني وسفوح الاعالي من الارز وصنين وغيرها من تلك الربوع التي يعبق فيها الصنوبر ممزوجاً بعرار الوادي الاخضر في لمحات الصباح وهبوط المساء.

كانت عيناي اذ ذاك تتقلبان في وجوه ذلك الجمع الساكن المسحور الذي ارتدت ارواحه في تلك الامسية الحالمة الى لبنان مأخوذاً بغناء صباح ونهوند وادب الجاماتي الظريف ، فعاد كل من الحضور الى قريته وذويه ذاكراً في الخاطر والخيال اهله الاولين وملاعب الصبا بين الكروم وعند ملتفات العرائش وافياء التين والزيتون .

وكنت افكر بالرسالة التي يؤديها الاستاذ حبيب نحو وطنه الاول فاجدها اكثر تجاوباً وتجارب وابعد اثراً ونفاذاً مما تؤديه السفارات الدبلوماسية ، واي سوري او لبناني او فلسطيني او اردني ورد مصر اديباً مخلصاً او مجاهداً ناصحاً للعروبة والثقافة والفكر كان تمازجه باخوانه المصريين على حقيقة وكرامة اعم فائدة وابقى خيراً وذكراً ، وقديماً كانت السفارة الروحية والفكرية بين مصر والبلاد العربية ممهدة لهذا التعارف والتناصر مؤيدة للاسباب الباقية والروابط الوثيقة .

اما الناحية الادبية في الاستاذ جاماتي فقد برزت في دقة فهمه للادب الرفيع في اللغتين وصحة حكمه على التاريخ والاشياء واخذه حوادثه من عالم الحقائق وخفايا السير والاسرار. فقد مازج بين الفنين الادب والتاريخ واتقن سكب الاحاديث في تلاوين الصور وروائع العبر ، فكم احدوثة عن السلطان الاحمر على ضفاف البوسفور حيث كانت تقوم الاسوار الشامخة ووراءها غانيات وحسان كاللواتي كن في الف ليلة وليلة ، هنالك يمر الكاتب بقلمه فيجلو للأعين والخواطر اروع ما يمكن لمؤرخ او اديب ان يؤديه للادب والقصص ، وان النظر والخيال ليتراميان خلف رسومه من عهود الفاطميين والصليبيين والاندلسيين فترى بعثاً لدنيا غابرة كان الاستاذ جاماتي يستطيع بفنه ان يستردها حية خافقة بالرداء والجسوم والالوان .

فتاريخ ما اهمله التاريخ عنوان غدا مقروناً باسم حبيب جاماتي منذ ربع قرن فلو جمع ما ألف فيه وصنف لجاء مجلدة ضافية ، ومن عجب ان يطالبه الناشر بموضوعات خفيفة عابرة يضمن رواجها ويتأبى على المؤلفات التي تمتع الفكر والروح بفنها وطرافتها ، ولو اخلصت دور الصحف والنشر اللبنانية الأصل والتي وهب لها الجاماتي زهرات ندايا من شبابه وادبه لأخرجت له في كهولته اليوم كتباً وقصصاً تكون بعض التقدير والكفاء لجهده الطويل المثمر .



واذا تحدثت بالشمائل الجاماتية كان من حقها علي وانا اودع في هذه الصور الشآمية مزايا الموهوبين المخلصين ان اذكر السبب الذي اعان الاستاذ جاماتي على تفوقه وتوفيقه في مهمته ووجهته ذلك هو الصدق والقول الصراح في الاداء والحديث ، وقد تكون الحرية والصراحة من معوقات النجاح في الحياة فمن دأبهما ان تؤذيا احياناً او تسيئا الى صاحبها ، لكن لباقة الجاماتي ، والجاماتي لبق في معاملته وكلامه ، لبق في اسلوبه وابتسامه تغل حدة الصراحة وتجعلها سائغة حلوة وقد كانت مريرة ، ولعل هذه الميزة من اسباب المودة الخالصة والاخوة البارة بينه وبين اخوانه المصريين الذين يختصهم بالمحبة والتقدير ويدفع عنهم كل ضيم وقد وقف قلمه على نصرتهم والذود عن حقوقهم وحريتهم .

وكم يجدر بمثلي وقد عرفته نصيراً للمرأة المتعلمة والمثقفة أن اذكر بعض مآثره في هذا السبيل ولكن المجال لا يتسع في هذا المقال ، وحسبي ان اشيد هنا بفنه وتجديده واصور لمحات من مجهوده في الصحافة التي يؤثرها ويحررها ، وإنه لزاهد في دنياه زهادة العلماء الغابرين ، ولولا الادب الذي يعيش في افقه كلما ارهقته الصحافة لتبدلت أيامه ، ولكنه في كل يوم تزدان روحه بأنسها الدائم ومرحه العذب وفلسفته الضاحكة لتنسيه ما فات ولتعده من جديد لأمل منشود ، لا لنفسه وأهله وإنما لمصر التي احبها وللعالم العربي الذي أحبه وعاش مع قضيته الكبرى منذ نشأتها حتى الساعة ، فلو تيسر له نشر مذكراته في هذه القضية وملحوظاته لأطلع الناس على أدق الحوادث وأصدق الانباء والعوامل التي اختلف الباحثون في تعليلها ، لان تيارات السياسة التي اخذت بتلابيب الشرق العربي كانت كثيرة ومتضاربة ، لكن الجاماتي وعنده علم القضية وقصة تطورها قد استطاع فيما اعده للنشر ان يجلو الحقائق من ظلماتها وان يفسر الرموز التي بقيت خفية حتى اليوم .

ولعل منصفاً عارفاً بالصحافة العربية الحديثة عامة والمصرية خاصة يتصدى في قريب او بعيد لتأريخ حياتها التي دخلها كثير من الالوان والصور مستنبطاً منها الحكم على الحوادث والامور معدداً مآثر جندها الامناء ، والصحافة كما يقولون ملكة صولجانها القلم وعرشها الصحف وتاجها الاخلاص للحق والوطن ، عندئذ يبرز حبيب جاماتي خافقاً بين يدي الملكة التي كانت راضية عنه وان غضب بعض الرعية من المتنافسين .

القاهرة — وداد سكاكيني

الطفل وحضور الانسان خلاله

بقلم شاكر حسن سعيد

من جماعة بغداد للفن الحديث

مهداة الى « س » : كانت كل رقة من انملتها تزخر (بالانسان) عذبة كماء المطر ، مخاصة كاشعة الشمس

ooo

لبس من واقع خارجي يدفعنا لكي ندرك ان من خلال شعاع الشمس يلوح لهيب الانفجار، فكلاهما زاخر بالحرارة . ولكن دفء شمس الشتاء غير جحيم القنبلة الذرية . فهذا الكون يظل زاخراً بتلك البذور اليانعة النقية ، والتي سرعان ما سوف تحيلها الحياة اللاهثة الى شجرة ذات لحاء او نبات طفيلي او شجرة برتقال . ومع ذلك فستبقى « بذرة » شجرة اللحاء او شجرة النبات الطفيلي او شجرة البرتقال ، جاهزة خلال صورتها النامية .

كانت امطار نيسان تهطل ذات ضحى بغزارة . وحينما ازحت ستارة نافذة الغرفة امكنني ان اشهد ميلاد قطرة طل . لم اتبينها وحدها ، ولكنها كانت تظهر لي خلال آلاف الخويات وهي تهبط من قلب الفضاء ، ولكن هذه القطرة العذبة والتي ستكون بذرة جدول يجري مسرعاً نحو المصب ، لا بد وانها ستضحى مشوبة خلال المياه الجارية . فقطرة الطل تلد نقية ، غير انها سرعان ما تتعكر كلما اوغلت نحو المصب ، وذات امسية كئيبة سيصبح بامكان كائن من كان ان يقف عند مياه مستنقع آسن ويتساءل: « الا تكمن قطرة الطل في هذا المستنقع ..؟» ولكن لون سطح المياه الآسنة المخضرة يرسم بطلاقة علامة نفي لا تلبث ان تستقر في دماغ المتأمل .

وكذلك الحال . حال الانسان ، فهو يحتفظ « ببذوره » معه اينما سار ، وانى نما ، غير ان هذه البذور قد تنموفي بعض النفوس ، وكثيراً ما ترقد في اخريات ، ولاول وهلة قد يتوهم الانسان انه يبصر نفسه خلال نسخ اخرى اكثر حضوراً من ذاته ، ولكنه في الواقع لا يوجد دائماً ، فسرعان ما تقتضي الحياة الرتيبة على هذا المخلوق المتفتح . وذات امسية او ظهيرة سيكتشف انسان ما رأسه بغتة على وسادة قذرة وفي منخريه انبوبتا الاوكسجين المضغوط وحوله عشرات العيون تودع فيه فرعاً : اباً او اماً او ابناً او ابنة ، ولكن هذا المستنقع المحتضر سرعان ما سينتهي لولا انه سيجد الانسان فيه نفسه قبل فوات الاوان . سيكتشف فيه بغتة قطرة الطل وشعاع الشمس من جديد ، لانه سيعترض كل حياته مرة واحدة قبل ان يطبق جفنيه . ومع ذلك فالانسان طوال عمره يظل يبحث عن سعادته وقلما يدرك استحالتها . ولكنه يأملها . وهكذا ، فهذا الخيط الواهي هو ما سيمسكه حتى النهاية ويختمه ، هذا الامل العقيم .

وليس الامر محصوراً في ان يأمل الانسان او ان لا يأمل ، ولكن الامر ان يتذكر نفسه على الدوام . فانا حينما انسى هذا المخلوق النامي في اعماقي واذوب فيما حولي ، ساخنق حتما حياة كان يمكن ان تبدأ عندي في قصيدة او قصة او قطعة موسيقية او لوحة فنية ؛ ولكني انا بالذات لا اشعر بنفسي حينما العب النرد او ادخن او انجز عملية حسابية . ومع ذلك فان بامكاني ان ابتدىء على الدوام . ان انبه هذا الكائن المنسي في داخلي ، وان استحيل الى شاعر او قصاص اوموسيقي اورسام ولكن . ما افقر عمر الانسان بهذه اللحظات، ما أشد حاجتنا الى ان نلبس (انسانيتنا) كما يجب إغير ان معظمنا يستحيل منذ طفولته الى هذه النسخة الغبية . فحينما (نعمر) لا تزيد منا تجاربنا إلا بعداً عن هذا الانسان الغائب في اعماقنا . فكلما ازددنا خبرة ازدادت رؤوسنا انحناء ونفوسنا انصياعاً وارادتنا انقياداً للعادة والتقليد .

كثيراً ما اناقش معارفي مدافعاً عن الفنان الحديث . الاضطراب .؟ تشويه الواقع .؟ نعم . الفن الحديث لا يتقيد بالطبيعة ولكن ، اجدر بالعمل الفني ان يتقيد .؟ ام انه مجال

اختراع وابتداع .؟ ومعظم الناس درج على تذوق اللوحة لانها منظر غروب او نخيل او لانها رسوم بريشة رسام شهير.

وآخرون يرون اللوحة الزيتية محاكاة ماهرة لملامح الانسان. درجوا فحسب. الابن يقلد اباه والاب يعكس ذوق طبقته، ولكن، أليس بالامكان ان ندرك ان ما يبتدعه الفنان باستطاعة الناظر ان يبتدعه ؟ وان ما يرفضه الرسام باستطاعة الجمهور ان يرفضه ..؟ ليس العمل الفني اذن هو هذا الذي نقلد الآخرين برسمه او تذوقه وانما هو هذا الذي نبتدعه . والواقع ان خطأ شائعاً يميز ما بين عملية الابداع الفني للرسام وما بين عملية التذوق الفني للناظر . فالرسام ازاءه عامل ايجابي والناظر عامل سلبي . في حين ان مثل هذا التميز لا مبرر له، كلا مطلقاً . فانا ابدع حينا ارسم وحينا اتذوق . عليّ ان اكتشف فيّ صياغة حياتي. وانا انا ، مهما عشت لحظات رسومي وتذوقي على السواء ، لاجاهد كيما اظل (نقياً) كماء الينابيع صافياً صادقاً كاشعة الشمس. الرسام والناظر كلاهما يعيش (انسانيته) ويحققها .

وهنا فقط ، في مثل هذا الموقف ستنمو في جنباتي تلك البذرة ، وسيظل الانسان خلالي حياً مهما تقدم بي العمر . فلا بد ازائي ان تتفتح (براعمي) انا الكائن الذي لا يشبهني اي كائن آخر في الوجود. وهذه البراعم ،هذه البذور هي انسانيتي. ذلك ان مراقبتي لذاتي ورفع طبقات الصدأ التي تغلفها هي ما يجب ان امارسه . فقطرة الطل النقية مولود اتعهده ، ولكن قطرة الطل لن تظل نقية اذا انا لم احفظها. فما بين مروج الربيع وتلاله تنمو زهور (الشقائق) يانعة زاهية، وكذلك تنمو زهور بيض في مستنقعات الحقول. ولكن النفس البشرية عالم وليست مرجاً او مستنقعاً ومهما ستنطوي عليه هذه النفس من زهور الشقائق او (اللبلاب) فبامكان الانسان وحده ان يحيل المرج او المستنقع فيه الى حديقة او بركة .

وهذا هو بالضبط ما نلمسه في الانسان الصغير، في الطفل ، فهو لا يزال حديقة بكراً . والمياه لم تكد تتأسن خلاله بعد على اننا درجنا ونحن لا نبصر الحدائق والبرك في الاطفال ولا نتعرف الا على تلك النسخة البشرية غير المتكاملة في ذواتهم . وهم لهذا السبب مصدر عطفنا او هزئنا او مساعدتنا اياهم ، في حين ان ما يجب ان نراه خلالهم هو قربهم من (الانسان) ، يقظة ذلك النور الدافيء في نفوسهم . فالطفل انسان يكتشف قيمته على الدوام كما يكتشفها الفنان وكما يجدر بنا نحن البالغين اكتشافها . ولكن ، لا حب الطفولة ولا تظاهرنا في التذوق سيكفل تحولنا الرهيب من (آلة) صماء تعكس ما في محيطها من عادات وتقاليد ومثل عليا الى (ذات) تكتشف محيطها وتخترع قيمه اختراعاً . اما الطفل (ذلك الرجل الصغير) فليس فيما حوله من عالم او علامات تكفي لأن تصرفه عن نفسه او تؤدي به الى ان يرفض نقاوة مواقفه . فهو على الدوام متحفز لأن يحتفظ بانسانيته .

الانسان قطرة الطل . بذرة النبتة . نور الشمس .

جميعها تعبير لمظهر واحد، وهذا التعبير هو جسد الحقيقة ولحمها.

وهكذا ، وهنا بالذات تلتقي معاني الاشياء ، فنحن حينما نقرأ في الشجرة حقيقة (الشجر) ، وفي القطرة حقيقة المطر ، وفي نور الشمس حقيقة الضوء والحرارة وفي الطفل حقيقة الانسان نفلح في التغلغل حتى اللباب . ولكن لا يسعنا ان نقرأ هذا كله اذا لم نتجرد من اسمالنا ومهما نحاول سنفشل ، اذ لا بد لنا لكي نبدع ان نظل انقياء لا يعكرنا معكر . وليس ثمة طفولة عكرة وان كانت هناك حياة عكرة .

فثمة اطفال يدأب معلموهم على تعليمهم لكي ينقلوا ما امامهم من رسوم ، يتمردون ، فالطفل حينما يجبر على التعبير يستيقظ في اعماقه الكائن المدافع عن حريته . لان الانسان المتمرد هو رجل الموقف بعد ان باتت سلطة المعلم تهدده فهو اذن يثور لكي يحافظ على نقاوة تلك البذرة ، وهكذا يأبى الانسان فيه من جديد الا ان يتجسد ، وهنا مغزى فعله السلبي.

فانت تستطيع ان تصنع من هذا الكائن الحر المحاكي رساماً ماهراً ، ولكنك لا تستطيع ان تصنع منه رساماً او موسيقياً او نحاتاً ، ولا حتى قائداً او اديباً ، الا يلوح اذن امامك انت المعلم وكأن السبل قد سدت جميعها ؟ فهذا الطفل لم يتشكل في قالبه — على حد تعبير او كسبري — وهذا انت الذي عليك ان تهذبه وتقومه ، ترغمه ولكنك عاجز عن اتيانه. فهل ستدور حوله لتنفذ الى دخيلته ام ان عليك ان ترغمه على ان يرسم ما لا تطيقه انت .؟ ستقول ما عليه الا ان يحاكي الطبيعة .ولكنك انت في سرك لا تحاكي الطبيعة ولا تستطيع . واذن فانت مخطيء منذ البدء . ولكنه هو اذ يأبى على نفسه طاعتك مصيب لانه ادرك بالفطرة قطرة الطل في ذاته ، في حياته دونما واسطة.

والاطفال في رسومهم ما زالوا زهوراً يانعة، وانهم ليعبرون عن انفسهم دونما إجبار . وهذا ما يجدر بالانسان ان يؤديه .

فأنا اذ أرسم او انظر فلا بد لي ان اخترع تماماً كما يخترع الطفل عالمه الذي يرسمه وكما يختار اللوحة التي تعجبه. ولكننا نحن وقد شوهتنا الحياة المعقدة والظروف السلبية السيئة المبكرة والراهنة من اعمارنا نعتاد في النهاية على ان نرى اخطاءنا حسنات وحسنات سوانا اخطاء، فنقول متسائلين حول رسوم الاطفال: يا للعجب اثمة جمال في ما يصنع الطفل ؟ او نهمس : أليس من الجنون ان نسمي هذا الاضطراب عملاً فنياً؟ وهكذا نقع في الهوة مرتين.

كلا . فالطفل الذي يرسم حراً لا يخطىء . لأن الانسان الحر لا يمكن ان يقف موقفاً سلبياً . غير ان نظرتنا الضيقة هي التي تجهل مقاييسه وقيمه فتخطئه. هو يرسم بالخط وبضعة الوان عالماً جديداً غير متناه ، وليس ضرورياً ازاءه ان يقلد الطبيعة فهناك الانسان يحتل نصف عالمه . بل ان ما يرسمه من منازل واشجار واقمار وحيوانات ان هي الا علامات وشواهد تسند الانسان ، او تخذله . ولقد نجد احياناً في لوحة رسمها طفل كلباً او حمامة او سلاحاً يتضاءل الانسان نفسه امامه . وفي لوحة اخرى نجد كيف يسرد لنا الطفل مشاعره وافكاره . فهو مثلاً لا بد ان يرى اباه في الرجل وامه في المرأة . وهو لهذا يدون اولى انطباعاته عن مكانة كل منهما في الحياة . فهنا بدء فكرة التمييز بين الذكور والاناث في المجتمع الزواعي يؤديها الطفل غافلاً ليجعل الرجل كبير الحجم والى جانبه المرأة ضئيلة ضامرة.

اما نحن فلا نستطيع ان نشوه ، ولا شك . هذا التشويه الصائب . هذا البناء السلبي للحياة. نحن لا نستطيع ان نتصارح وقد تم خلالنا (الأنا الاعلى) او ارادة المجتمع ، وهنا نقطة الضعف في انسانيتنا . فالطبيعة تلازمنا اينا سرنا وحللنا . اما حيواناتنا فغائيات. ولاجل هذا (فالتشويه) ازاءنا لا مسوغ له من اساسه ، وهمّ واحدنا ان لا يرى في العمل الفني غير الانقياد الاعمى لقشرة ظاهرة للطبيعة . اجل يلبي الطفل تقاليد مجتمعه فيرسم الرجل والمرأة على حجميها الطبيعيين ويترك لسلوكه ما سيفصح عن فكرته، ولكن الطفل بدل ان يراوغ كما نراوغ نحن يعبر لك بصراحة عما يجول في خاطره فيحطم الطبيعة ويضحي بها لكي يفوز بصدق تعبيره عن نفسه وحياته. وهكذا يستعيض هذا المخلوق الصغير، عن جحيم القنبلة الذرية بدفء اشعة الشمس المباشرة وعن عفونة مياه المستنقع بنقاوة مياه المطر .

وثمة معين لا ينضب ما يفتأ الطفل يرده . وهو ليس كهذا المنبع الجامد حيث الطبيعة تقيد رؤانا وتكبلها . فلا حضور لديه لظل او ضوء ، وعالمه ابداً عالم شامل يطالعك بغتة كما يطالع الحلم النائم . ولأول مرة يضحى بامكان الانسان ان يكتشف اي حياة كاملة تتقمص ذلك الرسم . (فالحياة) هي موضوع الرسام الصغير. وهو يخوضها على الورق كما يعيشها تماماً على الكرة الارضية . بل لعله يكملها حينما يرسمها . فهو يرى الشمس في الفضاء والقمر في الليل والغيام بعيداً سابحاً . ولا بد انه لا يبصر يد الانسان تتصل فيه من وسطه او من رأسه . ولكنه حينما يرسم يضع كل شيء في محله كما يوحي له . فيجمع ما بين الشمس والقمر والغيام ، لأن الحياة امامه متصلة هكذا ليلها بنهارها ، ، غائمها بصافيها . وامامه لا يظل (الانسان) قائداً او مدرساً او تلميذاً. ولا هذا الكائن المغلق الذي يعيش في ثلاثة ابعاد ويحتل الفضاء بجسده ، بل ذلك المخلوق الذي يتصل مع سواه من الكائنات بخيط خفي فيمسكها ويتماسك معها ، من طول اللوحة الى عرضها ، يستحيل الانسان لديه الى هذا الجسد المحدد والملون ، والذي تنوء ساقاه عن حمل رأسه النامي ، وتتجعد ملامحه الى حد تختلط فيها ملامح الانسان بالحيوان والطبيعة بالحياة والجماد بالكائن الحي، فما ينوء بذهنه المتوقد هو هذا المعين المزدحم بالحياة ، والذي لا بد ان يعبه حتى الثمالة .

ولكن ظهور الاشياء لا يفنى لديه ابداً بل يكتسب ما بين اصابعه معاني جديدة لا تخدم الطبيعة بل الحياة ولا تعبر عن العمق بل السطح ، فليست الشجرة امامه في جميع الحالات مستقرة على جذعها متطاولة الفروع ، فلقد يرسمها مقلوبة او مجانبة ليست امامه ذلك الانطباع الآني عن عالم واقعي يبصره ولكنه انطباع (مجرد) عن عالم واقعي يعيشه . فالشجرة ليست تلك الشجرة او هذه ولكنها حقيقة الشجر كما تلوح في الحياة منظورة من شتى الجهات .

وهكذا فالحياة (مادة) الطفل والانسان (موقفه) .

ولكن الحياة والانسان لديه لا يتعقدان امامك مهما تعقدت خطوطه، فهو ليس كالفنان الحديث يبسط بعض نواحي التعبير دون سواها ، ولكنه كالفنان البدائي، تذكرنا رسومه بطفولة حضارتنا الراهنة ، فمن خلال انامل هذا الكائن الذي يناهز السادسة او الثانية عشرة، يلوح رجل العهد البدائي ساذجاً ماهراً في رسم صورة الحصان او الثور ، كما ينتصب الافريقي الزنجي بأقنعته ونحوته ونقوش اوانيه .



للكاتب الروسي الكسي تولستوي

ترجمة سليمان موسى

✳

لو قصد فنان ان يرسم صورة لكاتيا ، لاختاران يرسمها واقفة تبتسم . وقد عبث النسيم بشعرها الذهبي ، ولأحب ان ترتدي انذاك ثوباً خفيفاً يلتصق بجسدها الفتي الاهيف . اما في فضاء الصورة فربما رسم سماءً ملأى بالغيوم المتكتلة البيضاء تخترقهـــا اضواء الشمس الدافئة ، وهندباء واقحواناً تحت قدميها . وربمـا بذل الفنان جهده الاكبر في تصوير وجهها ذي الحاجبين المرتفعين قليلاً ، والانف المستقيم ، والعينين الحالمتين البراقتين ، والشفتين المتلثتين – وجه فتاة في عامها الثامن عشر ، فتاة لا يملك اي فنان يراها الا ان يقع اسير هواها .

وكانت كاتيا بطبيعتها تكره اي نوع من انواع الظلم والقسوة والعنف . ولم تفهم قط كيف يلتذ بعض الناس بمراقبة المشاجرات . وما كان اسعدها عندما تجتمع مع اناس طيبين مرحين يغمرهم النشاط . كان يزعجها ان ترى شجاراً او خصاماً ، وتتمنى لو خلت الحياة من المساوىء والشرور .

ومع ذلك فالدنيا لم تخل من الاشرار ، ومن اعمالهم القاسية البغيضة . اما كاتيا فكلما كانت تزداد ملاحة وجمالاً ، كانت تؤمن – بكل ما فيها من حيوية الصبا – ان الحياة حولها يجب

فالطفل رسام بدائي ، ولهذا فهو لا يبدأ معك من نهاية الطريق بل من بدايتها ، وهو يشعر شعوراً مبهماً بأنه امام عالم كامل يريد ان يرسمه ، ومن هنا يحاول ان ينفذ اليـه بأيسر سبيل ، ولكن هذا العالم السرمدي يغزوه بمادته فهو لا يبصره زاخراً بابعاده الثلاثة كما اراه انا او تراه انت بل يدركه كما ينسجه في مخيلته عالماً رجراجاً شفافاً يستند على بعدين . ومن هنا فقلما أتقن لنا الطفل (قوانين المنظور الجوي) ومنظوره يتضمن التعبير عن العمق برسم الصفوف . فالصف الاول يسكن اسفل اللوحة بينما يحتل الصف الابعد اعلاها .

وبما ان الطفل لا يعترف بمادة العالم نجده يرسم اجساد اشخاصه وكأنها معمولة من الزجاج . او يرسمها كشباك من الاسلاك المعدنية الملونة .

ان بعداً غامضاً لا يلبث ان يحتويك في عالم الاطفال ، فمن خلال بساطة الخط يغزوك بمفومه عن الحياة ، وهو يرتب لـك بمنطق اخاذ اشخاصه واحداً واحداً ، كما لو انه يلعب لعبة شائعة .

يقول النحات (جيوكاميتي) عن بعض نحوته : « كنت راضياً عنها . ولكنها لم تصنع الا لتدوم بضع ساعات » وهكذا كان يعبر عن بحثه المستمر نحو الابداع . والطفل كجيوكاميتي لا يطمئن الى لوحاته ولا يقدرها حق قدرها فهو يرسم اينما شاء ، على الارض بالفحم والطباشير وعلى جدران الغرف ، ولكنه يعرف كيف يرسم . في حين على النقيض ما ان نرسم لوحة حتى نرضى بها ولقد تكون اقل من ان نرسمها ، ولكننا نؤدي ما يفرضه المعتاد ، فاللوحة جديرة بالاعتزاز ، والتظاهر بالتذوق غايتنا ، وهذا بعض منطق الانسان الراقد في اعماقنا .

فاذا ما ابتدع احدنا مقاييسه وقيمه . اذا ما استحـال الى طفل او نحات ، فما اشد خطأه . ولكن منطق (الانسان) يرفض الخطأ ، فعلى حين غرة ، وقد يحدث هذا وسط الازدحام او في عربة او امام المرآة ينظر الرجل ملامحه فلا يتبينهـا . وهناك يكتشف لبضع لحظات نفسه على تمامها ، ويدرك جحيم عواطفه وآماله . ويدرك كذلك ما يغلف قلبه من صدأ ، ولأول مرة سيرضى بالعودة الى (طفولته) ، ولكن بعد فوات الاوان .

بعقوبة – العراق

شاكر حسن سعيد

ان تزداد ايضاً ملاحة وجمالاً ، وان كل الاشياء القبيحة المؤذية يجب ان تختفي ، كما تختفي الاكواخ المتداعية القذرة وترتفع مكانها العمائر القوية النظيفة . وكل صباح في طريقها الى المدرسة كانت تنظر الى ساعة الكرملين دون ان تدرك ان عقارب هذه الساعة الضخمة تخطو نحو مستقبل مخيف . لم تكن كاتيا تدرك ذلك بل كانت تحسب ان المستقبل يحمل لها السعادة ، وهذا يعني عندها سعادة كل المخلوقات .

وكان ابوها يعمل في احد المكاتب اما أمها فكانت تشتغل بالخياطة ، وكجميع الامهات كانت دائبة التفكير في ابنتها كاتيا وابنها ليونيد الذي كان يدرس الفيزياء في جامعة موسكو .

وكانت كاتيا تسعد كثيراً بالذهاب الى المسرح والسينما مع اخيها ، غير انها كانت تسعد اكثر اذ تستلقي على الديوان بعد العشاء وتتحدث مع اخيها حديثاً هاماً يطرقان فيه كل ما يخطر لهما من موضوعات ، وينفث ليونيد دخان سيجارته وهو متراخ الى جانبها ويقول :

« صدقيني يا كاتيا اذا قلت لك ان العلوم سوف تتقدم خلال بضع سنوات تقدماً قد يتيح لنا ان نسافر الى العوالم الاخرى كالمريخ مثلاً وسيكون بمقدورك ان تطيري ثلاثة ملايين كيلومتر دون احتمال خطر السقوط . سيكون بمقدورنا ان نشاهد بواسطة التليفزيون ، ليس اهل البلاد البعيدة عنا كاليابان فحسب ، بل سكان المريخ انفسهم الذين يقال ان لكل منهم اربع ارجل ويدان .

« وهنالك مسألة أخرى يا فتاتي ، هي في تحويل الطاقة المادية وربما يستطاع تحقيق هذا الاختراع بعد عشرين عاماً ، لنفرض انك ترغبين في السفر الى استراليا لمشاهدة خطيبك في ملبورن مثلاً ، فماذا اعمل ؟ انني اضعك في مقصورة صغيرة خاصة ثم اربط رأسك وقدميك بالاسلاك وادير موجات القول العالية ومهمتها تحويل الطاقة المادية الى موجات اثيرية ، وبتأثير هذه القوة الخارقة يتحلل جسمك ويتحول في موجات عبر الاثير الى ملبورن حيث يستقبلك هنالك جهاز لاقط يستطيع ان يحولك من موجات اثيرية الى ما كنت عليه هنا ، وبهذه الطريقة تستطيعين ان تقابلي خطيبك وتذهبان لترقصا معاً .

« نعم يا عزيزتي كاتيا ، سوف تزداد الحياة متعة وجمالاً ، وسيكون بمقدور المخترعين ان يوفروا على الناس كثيراً من المتاعب والمشقات ، وسوف نستطيع الحصول على كثير من الخدمات بضغط زر كهربائي مثلاً ، وقد يمكن ان تنخفض مدة العمل الى ساعتين في اليوم فقط . ولكن المهم في الامر ان نقضي على العقبة الكبرى التي تعترض العلم الا وهي الحرب ، بل والعوامل التي تؤدي الى الحرب ، الا صدقيني يا كاتيا اذا قلت لك انني احس بشيء مخيف هائل يهدد الانسانية . »

والقت الحرب بكلكلها الثقيل على الانسانية ، واستطاع الالمان ان يستمتعوا بمسرتهم الكبرى في اهراق الدماء وتقتيل الناس ، وان ينقسموا في هذه الوليمة الفظيعة على الطريقة الجرمانية التقليدية ، وان يشمروا عن سواعدهم بهذه المناسبة المجيدة كي يحرقوا وينسفوا ويمحقوا ويطعنوا ، ولكي تسعد انظارهم كلما سد الافق دخان الحرائق واتسعت برك الدماء ، بل وكلما شهدوا سحن الرجال تنقلب نتيجة لاوجاع الموت .

انهت كاتيا دراستها ذلك العام ولكن بدل ان تستعد لدخول الجامعة مضت تعمل ، ولم تعف الحرب عائلتها ، فان اباها نقل الى المستشفى في ايلول بسبب المرض وتوفي اثناء اجراء عملية له ، ونتج عن الصدمة ان اصيبت امها بشلل عاقها عن الخياطة . وتطوع ليونيد في احدى فرق المدفعية ، واشتغلت كاتيا في احد المكاتب اولاً ، ثم انتقلت الى احد المصانع الحربية ، وعندما اقترب العدو من موسكو شاركت في حفر الخنادق والاستحكامات . ومع كل هذا وبالرغم عن القنابل المتفجرة وعن دوي المدافع المضادة للطائرات ، فان قلبها الفتي الطاهر لم يقتنع بويلات الحرب ولم تستطع ان تتصور الموت المنتشر في كل مكان ولا الفظائع التي يعانيها ابناء وطنها . على انها صارت اقل رغبة في الحديث واكثر عبوساً . صارت تشعر كأنها فراشة تضرب بجناحيها عبثاً على زجاج الشبابيك .

وفي أحد الايام تسلمت رسالة من جبهة القتال ، من ليونيد .

« لقد انقضت الايام التي كنا نضطر فيها للتراجع والعار يشوي قلوبنا ، وجاء الآن دور اعدائنا ليتراجعوا . قد تدهشين لكثرة عدد قتلى العدو ، وللارجل الكثيرة التي نراها بارزة فيما بين الثلوج .. ان الفيض والبغضاء يدفعانني ويتغلغلان في روحي يا كاتيا ، ولن نرحم هؤلاء الذين يريدون افناءنا . انني افكر فيك كثيراً يا اختي الصغيرة ، فقد رأيت كثيرات مثلك وقد اصابهن القتل والتعذيب . اما انت يا حبيبتي كاتيا فاشعلي نار بغضائك . انك من بنات روسيا ، وهذا يعني انك تعرفين كيف تحبين وكيف تكرهين »

ولم يمض وقت طويل حتى وصلت اليها رقعة صغيرة من الجبهة جاء فيها ان اخاها ، الوكيل ، ليونيد ايفانوف ذهب مع وحدة استكشاف ولم يعد .

وعندما قرأت كاتيا هذه الرسالة احست لأول مرة ببشاعة الحرب ، شعرت ان شيئاً ثقيلا بليداً يهبط عليها ، وعندما عاودت قراءة الرسالة ، انهلت العبرات من عينيها. ضاع ليونيد! ولكن هذا مستحيل ، كيف يذهب هو وتبقى الدنيا على حالها؟ وكيف تقوى قطة الجيران على مواصلة المواء فوق الشرفة كأن لم يحدث ما حدث ؟

وادركت كاتيا اخيراً كيف تكون الحرب على حقيقتها، وتناولت رسائل ليونيد واخذت تعيد قراءتها ، بينما جلست على الديوان الذي طالما نعما بالاستلقاء معاً عليه . وعندما ذهبت الى فراشها ازدحمت على خاطرها الرؤى البشعة واحدة تلو اخرى ، وصممت ان تخفي النبأ عن امها، وفي الصباح قصدت الى مركز التطوع وانضمت الى فرق الاسعاف .

اتكأت كاتيا على حافلة السيارة المحملة بالادوات الطبية ، وسرحت بنظرها حولها ، كانت شمس آذار تذيب الثلج في النهار لكنه يعود للتجمد ثانية خلال الليل، وعلى مدى امتداد النظر كانت جثث قتلى العدو تظهر هنا وهناك بعد ان كشفها ذوبان الثلوج . كانت وجوههم الزرقاء وعيونهم الزجاجية كأنها تفزع من ضوء شمس الربيع . لقد كان هذا منظراً مألوفاً على طول الجبهة التي ارتد عليها العدو عام ١٩٤٣ .

ولقد كان رفاق كاتيا يعتبرونها قاسية عنيفة، وانطبع ذلك في اذهانهم بسبب ما قامت به في ليلة هبت فيها العواصف الثلجية اذ وقفت وحدها على قارعة طريق رئيسية واخذت تأمر السيارات بالانحراف الى مركز جانبي للتضميد ونقل الجرحى من الجنود، مهددة باطلاق النار على كل سائق لا يمتثل للامر ... كانت هذه كاتيا جديدة، تشعر بالرضا الطاغي من حياة الجبهة، هذه الحياة العنيفة الوحشية الصاخبة. ولم تعد تخشى قناصة العدو اذ يظهرون فجأة خلف الخطوط ، اذ كان بمقدورها استعمال بندقيتها في احوال استثنائية كهذه .

ومن المؤسف ان فناناً لم يكن في الجبهة حينذاك كي يرسم صورة لكاتيا ، بمعطفها الجلدي وجزمتها العالية، كاتيا التي كانت ما تزال جميلة جذابة . واعجب ما في وجهها عينان واسعتان تلمعان بالصرامة والصفاء ، وخد متورد ، وخصلة من الشعر الحريري الناعم تطل من جانب قبعتها العسكرية الرمادية .

*

واحتدمت المعارك في الاوكرين ، وامتدت الجبهة الى كل مكان ، وفي الليل كانت الآفاق تتلظى بلون القرمز ، وقد اهتزت الارض والسماء من قصف المتفجرات ، ذلك القصف الذي لم يعرف العالم له مثيلا من قبل .

وكوفئت كاتيا بوسام لشجاعتها، ففي صباح ذات يوم قدم وكيل القائد الوسام اليها وهي الى جانب سيارة الاسعاف . وبعد ان نطق بالكلمات الرسمية المعتادة اضاف « انني فخور بك كثيراً يا كاتيا ، وانت تعلمين مقدار اعجابنا كلنا بك »

وفي تلك الليلة ذاتها اصيبت كاتيا. فبعد منتصف الليل بدا كأنما الجحيم ذاتها قد انفجرت على جناح الجبهة ، واختلط ازيز الرصاص بصيحات الاستنفار ، كما اضاءت الانفجارات اطراف السماء . وفي اوج المعركة زحفت كاتيا مع اثنين من حاملي النقالات كي يلتقطوا الجرحى ، وعلى ضوء احدى الكاشفات شاهدت جريحاً يحاول ان يجر نفسه على الارض ، وركضت كاتيا اليه حبواً ثم ركعت بجانبه وبينما كانت تحاول ان تضع ذراع الجريح حول عنقها ، اخترقت احدى القنابل سديم الظلمة وانفجرت قريباً منها .

وعندما استردت وعيها ، لم تستطع لأول وهلة ان تفهم كيف ان ركبتيها تنشطحان على الجليد ، ثم ادركت ان الجريح الذي حاولت ان تنقذه ، يحاول بدوره ان يجرها باتجاه الخطوط الروسية، وكان يلهث ويئن متوجعاً ، وقد ظهر جلياً ان ذلك الجهد يسبب له آلاماً مبرحة لا تطاق .

وقالت له: « كفى ، كفى ، خذ قليلا من الراحة ، ولسوف استرد قواي في برهة . ان شدة الانفجار اثرت فيّ » ، وسأتغلب على الصدمة واعينك فيما تبقى من المسافة » واستلقيا متلاصقين معاً وخدها على خده . وانقطع تأوهه وانينه ، ولكنها كانت تسمع اسنانه تصطك بين لحظة واخرى وبقيا كذلك في الظلمة بضع دقائق، ثم اضاءت السماء مرة اخرى نتيجة لانفجار جديد .

وسألته كاتيا برقة: « ماذا حدث ؟. هل تتألم كثيراً ؟ » ثم حركت رأسها وادارت وجهها اليه وادار هو ايضاً وجهه اليها في ذات اللحظة . ولم يعرف الشقيقان بعضهما للوهلة الاولى . او ربما خيل ذلك اليهما .

المفرق - الاردن

سليمان موسى

حلول

للدكتور منويل يونس .

✳

أخي الاستاذ البير: تحية طيبة ، وبعد فقد عزمنا ، الاخ الدكتور منويل يونس وأنا ، أن نجعل من هذه البلاد ، التي حملتنا اليها الاقدار ، أندلساً جديدة نغني فيها صوفية الشرق وننقل من لغتها الاسبانية الى لغتنا العربية ما نستطيع نقله من الشعر والنثر ثم العكس ، وها نحن نرسل الى الاديب منبرنا الاول باكورة اعمالنا وهي قصيدة وضعها في الاسبانية صديقنا الدكتور منويل مدير الفرع العربي في جامعة فنزويلا في كراكس . مع أطيب تحياتنا لك وللاخوان هنالك ... في جبلنا الملهم ... [فؤاد الخشن]

✶

هذا المساء ، وقد أرى الدنيا تلوح خلال نفسي ،
خلفَ الضباب ، فلا أرى دربَ القريب مجازَ أمسي
وارى الالٓه أرى القريبَ وهذه الدنيا بحدسي
كلآلىءٍ برّاقةٍ في الروح ، تومض خلف حسّي !

☆

الليل يعزلني عن المكروه والشكل الصراحِ
وعن الوسائل والمظاهر والسبيل المستباح
نفسي تتوق الى دنىً تدعو بهمسات سماح
فرّت من الزمن المبيد وأبطلت فعل الرياح !

☆

العزلة العذراء تطفىء من لهيب تنهداتي
وتأملي يمحو ذنوب ولادتي ودجى حياتي
واذا زهور الشرّ هبّت تستبيح ندى صفاتي
فلدّي اشواكٌ لمن حصدتها في حقل ذاتي !!

فنزويلا

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

ان الحديث* عن عالمات العرب والاسلام يفرض علي تقسيم الموضوع الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول يتناول بايجاز كلي اسلوب التعليم والتأليف في دوره الاول وذلك بغية تبيان ما اشرت اليه من فضل النساء المتقدمات في التعلم وادراك الفرق بين ما تيسر لهن منه وما يتيسر الآن للجامعيات .

القسم الثاني : يتناول تقسيم العلوم وتعريفها في مفهوم المتقدمين

القسم الثالث : يتناول عرضاً موجزاً لاشهر العالمات في العرب والاسلام .

التأليف والتعليم

ان الحديث عن التأليف والتعليم يستلزم الاشارة الى الخط والكتابة اذ لا يمكن ان يكون تأليف مالم يكن خط وكتابة . وعندما يعرّف ابن خلدون الكتابة يقول انها « صناعة شريفة .. يطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم » .

كان الخط العربي قبل الاسلام مزدهراً في دولة التبابعة وهو المسمى بالحميري . وقد انتقل منها الى الحيرة في دولة آل المنذر المجددين لملك العرب في ارض العراق . ومن الحيرة تعلمه اهل الطائف وقريش . ويقال ان سفيان بن امية هو الذي تعلم الكتابة من الحيرة . ومن حمير تعلمت مصر الكتابة . ولما وصل الخط العربي الى الاسلام « لم يكن في اول عهده بالغاً الى الغاية من الاتقان ولا الى التوسط ، لمكانة العرب من البداوة ، والخط صناعة اهل الحضر » .

ولما انتشرت صناعة الخط في الامصار الاسلامية بدأت العناية بتدوين الدواوين العلمية ونسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط . وكثرت التآليف العلمية والترجمات من اللغات اليونانية والفارسية في عهد العباسيين . وضاق الرق الذي كان يستعمل للكتابة عن استيعاب المؤلفات فاشار الفضل بن يحيى بصناعة « الكاغد » وكتب فيه رسائل الخليفة واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم .

اخلص من هذه المقدمة لاستنتاج امر هو ان مؤلفات العرب قبل الاسلام وفي صدر الاسلام كانت قلوب الحفظة والرواة . وكان التعليم بنتيجة ذلك تلقيناً ، للحفظ عن « ظهر قلب » ومتى علمنا ان فقه ابي حنيفة مثلاً لم يدوّن الا على يد تلامذته وذلك في بداية القرن الثاني للهجرة ادركنا مدى تأخر التآليف العلمية عن الظهور بعد ظهور حضارة الاسلام . واني لا اكتفي بعرض صورة عن تآليف علم الفقه في بعض مراحلها لاعطاء فكرة عن سائر العلوم . لانها جميعاً مرت في ازمة واحدة .

لقد قسمت مسائل المذهب الحنفي الى ثلاث طبقات :

الاولى : مسائل الاصول وتسمى ظاهر الرواية وهي المسائل المنقولة برواية الثقات عن صاحب المذهب وصاحبي صاحبه وهم ابو حنيفة ومحمد وابو يوسف . وقد جمعت هذه المسائل بستة كتب للامام محمد عرفت بكتب ظاهر الرواية .

الثانية : هي مسائل النوادر وهي المروية ايضاً عن اصحاب المذهب ولكن لم تروَ كالاولى بروايات ظاهرة ثابتة صحيحة .

وقد جمعت هذه المسائل في كتب سميت كتب (غير ظاهر الرواية) للامام محمد ايضاً كالكيسانيات والجرجانيات ولغيره كالامالي لابي يوسف والمحرر للحسن بن زيادة .

الثالثة : هي الواقعات وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عنها ولم يجدوا فيها رواية .

وقد جمعت في كتب عديدة بمثابة فتاوى .

وبقيت هذه المؤلفات تنقل بالخط من عصر الى عصر وفي كل مرة تعلق عليها الحواشي والشروح حتى جاء دور الطباعة فطبعت كما كتبت بدون ادنى تعديل .

حتى اذا جاء الطالب يطالع فيها ويحاول ان يتفهمها ويحل رموزها وجب عليه ان يتعلم اولاً كيف يجب ان يدرس فيها فهي من صعوبة المأخذ ووعورة المسلك حتى لتجعل من اشق المهام ، مهمة من يسبر غورها لاستخراج الاحكام منها . فالكتاب الواحد ذو المجلدات العديدة ، يطوي بين دفاته لا تأليفاً واحداً كما هو المفروض والمعقول بل تآليف عدة لمؤلفين مختلفين طبع احدها في الشطر الاعلى من صفحات الكتاب وطبع الثاني في الشطر الادنى ، والثالث بهامش الكتاب .

* المحاضرة التي القاها الاستاذ انور الخطيب بدعوة من اتحاد الجامعيات الذي ترئسه الدكتورة زاهية قدورة .

وكل تأليف من هذه التآليف الثلاثة انما هو شرح لكتاب قبله يضم المتن والشروح . كتاب قد يكون بدوره شرحاً او تلخيصاً لكتاب آخر من كتب الفقهاء المتقدمين ، اضف الى ذلك اختلاط المتون بالشروح اختلاطاً يستوقف المطالع طويلاً لتفهم المقصود وقد يضطره ان يمسك بالقلم ليضع الفواصل والنقاط في اماكنها تسهيلاً للفهم . وكثيراً ما يعترض القارىء وهو منصرف الى القراءة محافظ على تسلسل الافكار جملة طويلة لا يميزها هلال او فاصل – قد لا تكون ذات صلة بالموضوع الذي يطالعه فيحشرها المؤلف حشراً باسم « فائدة » او « نكتة » او « أرجوزة شعرية » ويقطع عليه حبل تفكيره .

واكثر ما يجهد القارىء ويزيد المسألة تعقيداً فقدان التبويب العلمي الصحيح . فالمطالب (اي المواضيع) وان تكن قد عنونت باسمائها الا انك لن تجد تحت العنوان الذي تقرأه كل ما يدخل في الموضوع المبحوث بل ستصادف على العكس اموراً كثيرة خارجة عنه . فاذا ما انتقلت الى عنوان آخر في مجلد آخر عثرت على ما فاتك من المطلب الاول ، وعثرت ايضاً على الفصل الذي يجب ان يضم اليه ما كان خارجاً عن الموضوع في المطلب الثاني .

اما اعتماد السند ، اي ذكر المراجع فانه فيما يدل عادة على صدق الرواية والفقه في تحري الحقائق ، يشكل في كتب الفقه سبباً جديداً للسأم ، فعندما يرد قول عن احد الفقهاء المتقدمين فلا بد من سطرين من الكتاب يستوعبان الجمل المنمقة المسجعة لتصف لك « العالم العلامة والجهبذ الفهامة ، درة عصره ، ووحيد دهره الامام الفقيه والناسك النبيه خاتمة المحققين ومفيد الطالبين فلان ابن فلان الخ .. الدمشقي المحتد ، الحلبي المولد » :

ولاجل اعطاء فكرة عن بعض التآليف الفقهية نقتصر على وصف الكتاب المعروف « بحاشية ابن عابدين » :

تنوير الابصار كتاب فقهي قديم شرحه الشيخ محمد علاء الدين (١٠٢٥ – ١٠٨٨) هجرية . الف الجزء الاول وسماه «خزائن الاسرار وبدائع الافكار، في شرح تنوير الابصار» فلما رآه من التطويل بحيث لو استمر في خطته تبلغ مجلدات الكتاب عشرة كباراً عدل عن التطويل الى الاختصار، وسمى الكتاب « الدر المختار في شرح تنوير الابصار » وجاء بعده علماء كثيرون بينهم الطحطاوي والحلبي يعلقون الحواشي على هذا الكتاب .

وفي سنة ١٢٠٠ تقريباً برز العلامة الشيخ محمد امين المعروف بابن عابدين فضم الحواشي الى الاصل والف بينها ثم شرحها بدوره بكتاب سماه « رد المحتار » الى « الدر المختار » في شرح تنوير الابصار » وهو الكتاب المعروف « بحاشية ابن عابدين » والمؤلف من اربعة مجلدات كبار وتكملة .

ويشرح ابن عابدين الاسلوب الذي اعتمده في تأليف كتابه هذا فيقول :

– انه عزا بعض اقوال المحشين (كالطحطاوي والحلبي) الى كتاب آخر لزيادة الثقة بتعدد النقل .

– اذا وقع في كلام المحشين ما خلافه الصواب فانه يحرر الكلام على ما يناسب المقام بدون ان يعترض على اقوال المحشين تأدباً .

– انه زاد على الكتاب كثيراً من فروع مهمة ومن الوقائع والحوادث والنكت ومن « مبتكرات فكره » .

– انه دفع الايرادات الواهية التي علق بها الفقهاء على الكتاب .

– انه بين ما هو الاقوى ، وما عليه الفتوى مما حرره الائمة المتأخرون كالرميلي وابن نجم والشلبي والحانوتي وغيرهم .

ومتى علمنا ان هذا الكتاب هو من احسن كتب الفقه ترتيباً وشمولاً ادركنا ما هي عليه المطولات الاخرى من التعقيد وعدم الوضوح .

*

ولقد بقي التأليف الفقهي ضمن اطار هذا النسق المعقد حتى اواخر القرن التاسع عشر ، اذ تطورت الدولة العثمانية في حقل التشريع فاخذت تقتبس عن الغرب الكثير من القوانين (كقانون الجزاء وقانون المحاكمات الجزائية ١٢٧٤ هجرية وقانون المحاكمات الحقوقية سنة ١٢٩٦ هجرية) .

كما اخذت عن الشرع الاسلامي قواعد المعاملات والاحوال الشخصية وغيرها ووضعتها بقوانين كمجلة الاحكام العدلية سنة ١٢٩٥ وقانون العائلة . عندئذ بدأت التآليف الفقهية ترتدي طابعاً جديداً ولكنه مشفوع بكثير من الحذر .

في التعليم

اما في حقل التعليم فيظهر ان علماء الفقه منذ عهد ابي حنيفة كانوا يتبعون في تدريسه بعض القواعد التي تشبه قواعدنا الحديثة .

فرجل الفقه مثلا لم يكن يتمتع بلقب العالم ما لم يؤلف كتابا يقرأه على استاذه او على غيره فيناقشه فيه ثم يجيزه . وابن عابدين يعلن في كتابه رد المحتار الذي اشرنا اليه انفاً انه قرأ كتابه اولاً وثانياً على الشيخ سعيد الحلبي « فاجازه برواية عنه وبسائر مروياته » .

وهذه الطريقة تشبه الى حد بعيد الطريقة الحديثة في نيل شهادة الدكتوراه اذ يفرض على الطالب ان يؤلف اطروحة يناقشه فيها لجنة من الاساتذة فاذا ما حازت القبول اجيز للطالب نشرها وحاز لقب « دكتور في الحقوق » .

وكان الامام الذي يعلم الفقه او غيره من العلوم يملي على تلامذته دروسه املاء كما يملي استاذ اليوم ما يسمونه « Cour de Droit » . فالامالي لغة جمع املاء وهي كما ذكر ابن عابدين في رد المحتار « ما يقوله العالم بما فتح الله تعالى عليه من ظهر قلبه ويكتبه التلامذة والامالي المشهورة عن ابي يوسف سميت كذلك لانها كتب املاها على طلاب الفقه . ثم قلده في اسلوبها كثير من العلماء الذين جاءوا بعده .

القسم الثاني – في اصناف العلوم

قسّم ابن خلدون العلوم الى صنفين : « صنف طبيعي يهتدي اليه الانسان بفكره ومداركه وهي العلوم الحكمية الفلسفية ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه وهي العلوم الشرعية » .

ويدخل في القسم الاول علوم اللسان العربي ومنها الصرف والنحو والبيان والعروض .

وما اتصل بنا من اخبار النساء يدل على انهن لم يبرعن في جميع العلوم . والامر طبيعي ما دام لم يتيسر لهن – كما رأينا – تعلم سائر العلوم كما يتيسر لجامعيات اليوم . ولكنهن فيما تعلمنه كن موضع الاعجاب والتقدير حتى ليروى ان الخليفة هشام بن عبد الملك كان يدعو شيوخ بني امية ان يسمروا عنده اذا جاءته عائشة بنت طلحة ليستمعوا الى احاديثها عن العرب واشعارهم وايامهم .

لن اتناول في بحثي الا تعريف العلوم التي لمعت فيها اسماء النساء واكثرها في عهد الاسلام لان المرأة العربية في عهد جاهليتها على ما كسبت من فضائل وورثت من مواهب لم تنعم بما نعمت حفيدتها المسلمة بعد ان رسخت اصول الاسلام في جزيرة العرب ، « ففي ظل الاسلام تقلبت المرأة بين اعطاف العز ونهلت من معين العلم » وضربت بسهم في التشريع وغيره من العلوم عندما شرع لها من الحقوق ما لم يشرع لغيرها من امم الارض في تلك العصور .

أ – علم القراآت

حفظ الصحابة القرآن الكريم عن الرسول ثم رووه على طرق مختلفة في بعض الفاظه في اداء الحروف ورسمها . ففي ادائها تعددت القراآت واستقر منها سبع طرائق صارت اصولا للتلاوة.

وظل القراء يتداولون هذه القراآت الى ان كُتبت العلوم ودونت فظهر في الكتابات اختلاف في رسوم بعض الحروف ، سببه كما ذكر ابن خلدون « ان الصحابة رسموها بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم الحقيقة ثم اقتدى التابعون رسمهم تبركا فنقلوه وفي كثير من حروفه اختلاف بالنقل وكان البعض يخلق تعليلا للخطأ تنزيهاً للصحابة عنه كقولهم في زيادة الالف في كلمة (لا أذبحنه) انها تنبيه الى ان الذبح لم يقع . وبعد ان ارتقت صناعة الخط استقرت رسوم حروف القرآن على ما هي معروفة حتى اليوم » .

علوم الحديث

الحديث هو اخبار الرسول التي حدث بها صحابته وغيرهم .

وعلوم الحديث كثيرة ومتنوعة فمنها :

– ما يتناول الناسخ والمنسوخ وهذا اصعب علوم الحديث حتى قال الزهري « اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله من منسوخه » .

– ما يتناول النظر في الاسانيد ، يعني معرفة رواة الاحاديث بالعدالة والضبط وبتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة.

– معرفة مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين .

وتفاوت الاسانيد باتصالها وانقطاعها بان يكون الراوي لم يلقَ الراوي الذي نقل عنه .

وقد بلغ حرص الفقهاء في التدقيق في صحة الحديث ان جعلوه بدوره مراتب وطبقات واصطلحوا على الفاظ للتعبير عن مرتبة الحديث هي : الصحيح ، والحسن والضعيف ، والمرسل والمنقطع ، والمفضل ، والشاذ ، والغريب . ونظر الفقهاء ايضاً في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة . ومع ذلك كثرت الاحاديث ودُس بعضها تأييداً لنظرية او دحضاً لاخرى حتى ان الامام ابا حنيفة لم يرو الا سبعة عشر حديثاً لكثرة ما شدد في شروط الرواية .

علم التفسير

نزل القرآن بلغة العرب ففهموه . وكان النبي يبين المجمل منه ، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه . وعرفوا سبب نزول الآيات .

ثم لم يزل يتداول حتى دونت العلوم فكتب الكثير مما تداولوه في التفسير . وصار علم التفسير صنفين : « تفسير نقلي مسند الى الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين وهي معرفة

الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآي، وتفسير لساني يتعلق بمعرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والاساليب . واكثر كتب التفسير تتناول الصنفين »

علم الفقه

الفقه لغة العلمُ بالشيء، وفَقِهَ (بالكسر) فِقهاً علم، وفقُه (بالضم) فقاهة صار فقيهاً . والفقه اصطلاحاً «العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المكتسب من ادلتها التفصيلية ، وهذا التعريف كما شرحه الفقهاء المسلمون وكما اخذت به جمعية المجلة يفي بالمقصود وربما زاد »

فالعلم ، كل علم ، له مبادىء اربعة هي : الحد، والموضوع والاستمداد ، والغاية .

فالحد هو التعريف définition وحد الفقه « العلم بالاحكام الشرعية الفرعية » .

والموضوع l'objet هو فعل المكلف ثبوتاً وسلباً لانه يبحث فيه عما يعرض لفعل المكلف من حل وحرام ووجوب وندب.

والاستمداد هو مصدر العلم ومأخذه source ومصدر الفقه الاسلامي اربعة الكتاب (القرآن) والسنة والاجماع والقياس

والغاية وهي الثمرة المترتبة عليه اي فائدته ؛ وفائدة الفقه على حد تعبير الفقهاء الفوز بسعادة الدارين .

اما الاحكام جمع حكم وهو خطاب الله تعالى (اي الشارع الاكبر) المتعلق بافعال المكلفين ، يعني ما امر الله به وما نهى عنه . وهي تقابل في التشريع الحديث ، المواد القانونية .

والمراد بالشرعية ما لا يدرك لولا خطاب الشارع سواء كان الخطاب بالحكم نفسه او بنظيره المقيس هو عليه كالمسائل القياسية . وعلى ذلك يخرج عن حدود الشرعية الاحكام المأخوذة عن العقل (كالعلم بان العالم حادث) او المأخوذة عن الحس (كالعلم بان النار محرقة) او المأخوذة عن الوضع والاصطلاح (كالعلم بان الفاعل مرفوع) .

والمراد بالفرعية ما تعلق بمسائل الفروع فخرج عنها المسائل الاصلية ككون الاجماع او القياس حجة . واما « ادلتها » التفصيلية فهي جمع دليل اي ما يدل على الشيء .

علم التصوف

هو من العلوم الشرعية الحادثة . « واصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة . وكان ذلك عاما في الصحابة فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفين » .

تلك هي اصناف العلوم الشرعية التي ضربت فيها النساء بسهم وافر . وكن فيما يتعلمنه متحديات يتعمدن مجادلة رسول الله في امور الفقه لتوضيح ما يحاول الرجال ان يغمطوه من حقوقهن .

وليس ادل على ذلك من مقالة الخنساء للرسول : ان ابي زوجني من ابن اخيه وانا لذلك كارهة . فقال لها الرسول اجيزي ما صنع ابوك . فقالت ما لي رغبة فيما صنع ابي . فقال : اذهبي فلا نكاح له وتزوجي من شئت . فقالت اجزت ما صنع ابي ، ولكني اردت ان يعلم الناس ان ليس للاباء من امور بناتهم شيء . ولم ينكر عليها الرسول مقالتها .

اما في العلوم النقلية الطبيعية فلم يرو التاريخ الكثير من اخبار النساء إلا في علم الطب وعلم الهيئة .

والطب على حد تعريف ابن خلدون « صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح » .

وعلم الهيئة هو الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتخيرة وفي تركيب الافلاك وعددها وطبقاتها .

اما علوم اللسان العربي فاركانها اربعة وهي : اللغة والنحو والبيان والادب . ولم يكن بد لمن يتعلم العلوم الشرعية من اتقانها لان مصادر هذه العلوم كلها هو الكتاب والسنة وهما بلغة العرب . ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب .

القسم الثالث — العالمات

والان وقد وصلت الى اسماء العالمات فاني استميحكم عذراً اذا انا لم اوفق الى ترتيبهن بحسب تاريخ ظهورهن لاني اعتمدت ان احصر في باب كل علم من العلوم اسماء المجليات فيه .

في العلوم الشرعية

اول من يذكر من النساء في العلوم الشرعية ام المؤمنين عائشة . عائشة بنت ابي بكر الصديق زوج النبي المحببة التي برعت في العلوم الشرعية حتى كان النبي يقول لصحابته خذوا نصف دينكم عن هذه « الحميراء » .

اديبة لبيبة وعالمة وخطيبة وشاعرة ولكن ابرز ما عرف عنها من العلوم الفقه والطب ولقد قال عروة ابن الزبير عنها : ما رأيت احداً اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة . وكان مسروق ينقل عنها الحديث فيقول حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق البريئة المبرأة .

وسألوه مرة عنها اتعرف الفرائض ؟ فقال : والله لقد رأيت الاحبار من اصحاب محمد يسألونها عن الفرائض .

وقال ابو موسى : ما أشكل علينا حديث قط فسألناه عائشة الا وجدنا عندها منه علماً .

ومما يروى عن احاطتها بمختلف العلوم ومنها مشكلات التاريخ وحوادث الامم انه لما وفد المسلمون الى الحبشة مهاجرين اكرم النجاشي وفادتهم واوطنهم موطناً كريماً . فاوفدت اليه قريش عبدالله ابن ابي ربيعة وعمرو بن العاص بالهدايا لكي يرد المسلمين الى قريش ليعاقبوهم على ترك دينهم . فقال لهم النجاشي : لا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما اطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه » .

وسمع الناس هذا الحديث وحفظوه ولم يفهموا معناه الى ان فسرته لهم عائشة فقالت : كان ابو النجاشي ملك قومه ولم يكن له ولد سواه . وكان للنجاشي عم له اثناعشر رجلا كلهم من صلبه وخاف اهل الحبشة على المُلك ان يضيع بانقطاع عقب الملك فتآمروا عليه وقتلوه وولوا اخاه . وكان ولد القتيل (اي النجاشي الذي قال لرسولَيْ قريش ما قال) فتى حازماً فخاف المتآمرون ان ينتزع الملك من عمه ويأخذهم بدم ابيه فحملوا الملك على بيعه من تاجر بستمئة درهم . حتى اذا كان العشيُّ والملك يستمطر تحت سحابة من سحب الخريف اصابته صاعقة وقتلته . فراح القوم الى ولده فاذا هو احمق لا خير فيه وكذا كان شأن اخوته فلم يروا مندوحة من الرجوع الى ابن ملكهم القتيل فخرجوا يطلبونه وادركوه وانتزعوه من التاجر وعقدوا عليه التاج فشكا التاجر امره فجحد القوم حقه فرفع شكواه الى الملك (اي الى السلعة المبيعة) فقال لتُعْطُنَّه ماله او ليضعن يده على غلامه فيذهب به أنى شاء ، فدفعوا اليه ماله . قالت عائشة لذلك يقول الملك ما اخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه . وما اطاع الناس فيّ فاطيع الناس فيه .

واشتهر من النساء في علوم الحديث كثيرات منهن امامة المريدية وهي صحابية محترمة اخذ عنها جملة من المحدثين وكانت الى ذلك شاعرة ولكن مقلة .

ومنهن اسماء بنت محمد حصري اخت قاضي القضاة نجم الدين ابن حصري . سمعت العلماء وحدثت وكانت اصدق النساء في رواية الحديث : وقد قال فيها احد شعراء زمانها :

كذلك فلتكن اخت بن حصري ... تفوق على النسا صبياً وشيبا
طراز القوم انثى مثل هذي ... فلا التأنيث لاسم الشمس عيبا

ومنهن فاطمة الفقهية بنت علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء حفظت التحفة لابيها وطلبها جماعة من ملوك الروم فردتهم . فلما صنف ابو بكر الكاساني الملقب بملك العلماء كتابه «البدائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه وهو ابوها فازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك الكتاب فقالوا في عصره « شرح تحفته وتزوج ابنته » . وكان زوجها يخطىء فترده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها .

*

ومن اعلم نسائها في الفقه والحديث والتفسير زينب بنت محمد ابن عثمان الدمشقية حدثت بالاجازة عن فخر الدين بن الحجار ومن تلامذتها الحافظ بن حجر . كانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالباً . ولم يسمع بامرأة مثلها فتحت حلقة للدرس واجتمع فيها طلاب مثل طلاب حلقة درسها .

وزينب بنت عثمان بن لؤلؤ الدمشقية (في القرن الثامن) ألفت رسائل في الفقه استند اليها كثير من العلماء .

وست الوزراء حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلي محدثة اخذت صحيح البخاري ومسند الامام الشافعي ودرّست الفقه. ومن تلامذتها الامير سيف الدين ارعون والقاضي كريم الدين.

وشهدة بنت ابي نصر الدينورية للبغدادية (القرن السادس) تعلمت الخط واجادته الى جانب الفقه واجازها العلماء اجازة لم تسبق لغيرها. وعلمت الفقه والفت جملة رسائل فيه وفي الحديث.

وامة العزيز ابنة دحية الاندلسية : شاعرة رقيقة وفقهية محدثة . يروى عنها قولها :

لحاظكم تجرحنا في الحشا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي اوجب جرح الصدود

وقد سمع القاضي ابو الفضل العقباني هذين البيتين فاجاب :

اوجبه مني يا سيدي ... جرح بخد ليس فيه جحود
وانت فيا قلته مدع ... فأين ما قلت واين الشهود

وعائشة القرطبية (القرن الرابع) وقد تفوقت في علم القراآت وكتبت المصاحف .

ورقية بنت مزرع تعلمت على كثير من العلماء وحدثت بالاجازة عن شيوخ مصر والشام واقامت في المدينة تدرّس الفقه والحديث.

وزينت بنت عبدالله بن عبد الحليم الحنبلية المذهب وكانت من عالمات الحديث المشهورات بصدق اللهجة ؛ وامة بنت خالد

ابن سعيد صحابية محدثة روى عنها كثير من التابعين وسمعت الرسول يتعوذ من عذاب القبر .

وقبل ان اختم الكلام عن الفقيهات لا بد من ذكر حادثة واحدة في الاسلام عن تولية المرأة القضاء .

ففي عهد الخليفة العباسي المقتدر كان مرجع الامر فيما دق وجل من امر الخلافة وشؤون الحكم الى امرأتين : والدة الخليفة وام موسى القهرمانة . وقد عرض للسيدة والدة المقتدر ان تروض النساء على القضاء فاختارت قهرمانة لها تدعى (ثمل) وأمرتها ان تجلس بالرصافة للمظالم وتنظر في كتب الناس يوماً في كل اسبوع .

فلما رأى الناس ذلك انكروه وطعنوا فيه . وجلست اول يوم فلم يأتها شاك بظلامة . ثم جلست في اليوم التالي واحضرت القاضي ابا الحسن فحسّن امرها واصلح عليها فجاءها الشاكون وحكمت بينهم بعدل وعلم فانتفع بها المظلومون وسكن الناس الى ما كانوا قد نفروا منه من صدارتها للقضاء ونظرها في المظالم .

اما في عهد الجاهلية فقد عرف من النساء اثنتان تولتا القضاء هما هند الايادية وخزام بنت الريان .

في علم التصوف

برزت اسماء كثيرة اشهرها : عائشة بنت جعفر الصديق سنة ١٤٥ هجرية وهي عابدة جاهدة كانت تملك من الجرأة في القول ما لا يملكه احد سواها حتى انها خاطبت ربها بقولها : وعزتك وجلالك لئن ادخلتني النار لآخذن توحيدي واطوف به على اهل النار واقول لهم وحدته فعذبني .

— آمنة الرملية : في القرن الثالث للهجرة . كانت من الزاهدات العابدات وكان اكثر زهاد زمانها يترددون عليها ويتبركون بها . ويروى ان بشيرا الحرث كان مرة مريضاً فعادته . واذ هي عنده دخل الامام احمد بن حنبل فسأل بشيراً عنها فقال هذه آمنة الرملية فقال له قل لها ان تدعو لنا فقال لها . فقالت اللهم ان بشير بن الحرث واحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فاجرهما يا ارحم الراحمين . قال الامام احمد فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم ان طرحت لي رقعة من الهواء مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم «قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد»

— ام هارون : كانت من الخائفات العابدات الزاهدات وكانت تأكل الخبز وحده وتقول ما أنشرح الا بدخول الليل فاذا طلع النهار اغتممت .

— امة الجليل : عابدة زاهدة اختلف مرة العابدون في تعريف الولاية على اقوال فذهبوا اليها وسألوها ما الذي عندك عن تعريف الولاية فقالت : ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ليس لولي في الدنيا ساعة يتفرغ منها لشيء دون الله عز وجل .

اما سيدة المتصوفات فهي رابعة العدوية : عالمة فقيهة طردت الدنيا من قلبها ولسانها وتفكيرها وخواطرها وعرفت ان الالم طهارة للنفس حتى ليقول سفيان الثوري انها تقتات من الحزن والالم وهي في ذلك صاحبة شرعة .

جاءها سفيان يوماً وهو فقيه الاسلام فقال لها عظيني فمنك الهدى ومنك اليقين فقالت له : انما انت ايام فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك اذا ذهب البعض ان يذهب الكل ، فاعمل لربك فانك لا تدري الاجل .

وذمّ بعضهم الدنيا عندها فقالت : من احب شيئاً اكثر من ذكره . ذكركم لها دليل على بطالة قلوبكم اذ لو كنتم غرقى في غيرها ما ذكرتموها . قوموا عني فلا يجالسني احد من اهلها .

*

لم يقف بالمرأة العربية نشاطها الفكري عند حد النبوغ في التشريع الاسلامي والادب العربي كما ذكرنا فقد اخذت بنصيب وافر من النهضة التي استحدثها المسلمون عن سواهم من الامم ذوات التاريخ الحافل والمجد القديم .

واخص ما عنين به الطب فهن فوق ما تعلمن من امهاتهن من تضميد الجراح وأسو العظام برعن في بقية فروع الطب مما نقلوه عن اليونان والسريان والهند . حتى كانت بغداد وقرطبة وغيرهما تعج بالمتخصصات بعلاج الاجسام .

ولنبدأ بذكر عائشة ام المؤمنين فبعد ان ذكرناها بين الفقيهات ارى من حقها علينا ان نذكرها بين عالمات الطب لقول عروة ما رأيت احداً اعلم بفقه او بطب من عائشة .

ولا ننسَ اميمة بنت قيس وهي التي اقترحت ان يذهب النساء مع النبي في حرب خيبر فقال لها النبي : على بركات الله : وذهبن وصرن يداوين الجرحى ويوارين القتلى واميمة تهدين لما يلزم وهي لعمري اذاً صاحبة الفكرة بمؤسسة الصليب الاحمر .

واخت الحفيد بن زهر الاندلسي وابنتها . فقد حدث صاحب طبقات الاطباء عن نفوذهما في فروع الطب جميعاً وفي امراض النساء خاصة . وكانت اخت الحفيد الطبيبة الخاصة للمنصور بن ابي عامر وارث خلافة الاندلس .

وزينب الاودية طبيبة بني اود وكان اخص ما برعت فيه علاج العين بالجراحة .

علم الهيئة او علم الفلك

أشهر من اتصل بنا خبرهن في هذا العلم عائشة بنت طلحة وهي التي كان يدعو الخليفة شيوخ بني امية للاستماع الى حديثها اذا سمرت عنده فكانت طوال الليل « لا يطلع نجم الا سمته وو سمته وحدثت عنه » .

علوم اللسان

عائشة بنت علي المنصور الدمشقية وهي عالمة كاملة في علوم اللسان جميعاً فتحت في دمشق حلقة للتدريس واخذعنها الكثير من علماء عصرها .

عائشة بنت محمد عبد الهادي المقدسي في القرن التاسع : مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غليون العالم اخذت عنه النحو ولكنها فاقته وكانت تحفظ غيباً الكامل للمبرد والنوادر للقالي .

ام العلاء بنت يوسف الحجارية في القرن الخامس للهجرة عالمة في النحو وسائر علوم اللسان وكانت الى ذلك جميلة بارعة في الحسن . وقد عشقها رجل اشيب وحدثها عن حبه فكتبت اليه :

الشيب لا يخدع فيه الصبى   بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن اجهل من في الورى   يبيت في الحب كما يضحي

في الادب والشعر

بلغت المرأة العربية في الادب والشعر شأواً جعلها موضوعاً لاساطير غريبة ان دلت على شيء فانما تدل على ان المرأة لم تتأخر كثيراً عن الرجل في هذا الميدان . فالمرأة العربية منذ جاهليتها اديبة مجلية تنظم الشعر وتنسج النثر قبل ان تعرف الكتابة . ولعل حفظها لشعر من سبقها من الشعراء وكثرة روايتها له هما اللذان ارهفا حسها وساعدا على تهذيب الفاظها .

واني لأخالف الاستاذ كرم البستاني فيما يعتبره اساطير مما نقله المؤرخون عن النساء كقوله عن قصة فتاة بني عامر انها من اختراع المسعودي. واني اورد هذه القصة تاركاً للسامعين حق الحكم فيما اذا كانت من الصعوبة بحيث يتعذر تصديقها عن تلك الفتاة في ذلك العصر ، الذي لم يكن فيه للمرأة من ميادين النشاط الفكري غير ميدان الادب والشعر .

قيل ان رجلاً عربياً نزل بامرأة من بني عامر فاكرمته واحسنت قراه فلما همّ بالرحيل هجا بني عامر ببيت من الشعر قال فيه :

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر   من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته المضيفة فقالت لجارتها سليه لماذا هجانا وقد احسنا اليه فسألته الجارة : هل رأيت تقصيراً قال لا ! قالت فما حملك على هجونا بهذا البيت ؟ — قال جرى على لساني .

فخرجت اليه جارية من بعض الاخبية واخذت تحدثه حتى انس واطمأن ثم قالت له ممن انت يا ابن العم فقال : رجل من تميم . قالت اتعرف الذي يقول :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا   ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى   خلال المخازي عن تميم تجلت

فخجل الرجل من انتسابه لبني تميم وانكرهم وقال لها ما انا من بني تميم بل من بني عجل . فقالت افتعرف القائل .

ارى الناس يعطون الجزيل وانما   عطاء بني عجل ثلاث واربع
اذا مات عجلي بارض فانما   يخط له فيها ذراع واصبع

فازداد الرجل خجلاً واخذ يتنقل من قبيلة الى قبيلة وهي تلاحقه بابيات الهجو التي نظمها شعراء العرب في تلك القبائل حتى بلغ ما عدّ منها خمساً واربعين قبيلة .

من ذلك انه انتسب الى نمير فقالت :

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ثم انتسب الى باهلة فقالت :

اذا نص الكرام الى المعالي   تنحى الباهلي عن الزحام
اذا ولدت حليلة باهلي   غلاماً زيد في عدد اللئام

ثم انتسب الى خزاعة فقالت :

اذا فخرت خزاعة في ندي   وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهلاً   بزق بئس مفتخر الفخور

وضاق الرجل ذرعاً بهذه الراوية العجيبة فقال انني رجل من الشيطان الرجيم فقالت اتعرف القائل :

الا يا عباد الله هذا عدوكم   وذا بن عدو الله ابليس خاسئاً

فصرخ بها اقيليني العثرة يا بنية فوالله ما ابتليت بمثلك قط .

*

ورواية الشعر جعلت من المرأة ناقدة اديبة دقيقة النظر منصفة عند المفاضلة حرة الضمير لا تحابي ولو كانت المفاضلة بين زوجها والغريب . فقد روي ان امرأ القيس وعلقمة الفحل احتكما الى ام جندب زوجة امرىء القيس في قصيدتين لهما في وصف الخيل فحكمت لعلقمة وكان حكمها سبباً لطلاقها .

ومن ابرز نوادر النقد الادبي العالي ما جرى لسكينة بنت الحسين عندما جاء راوية جرير وراوية نصيب وراوية الاحوص يحتكمون اليها فيمن هو اشعر الثلاثة . فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

واية ساعة احلى من الطروق قبح الله صاحبك ثم التفتت

الى راوية نصيب وقالت اليس صاحبك الذي يقول :

اهيم بدعد ما حييت فان امت ... فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

فما ارى له همة الا في من يعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره الا قال :

اهيم بدعد ما حييت فان امت ... فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص اليس صاحبك الذي يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعدا ... ليــلا اذا نجم الثريا حلقا
باتا بانعم ليلة والذهــا ... حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبح الله شعره الا قال :

... حتى اذا وضح الصباح تعانقا

*

لو اردنا ان نحيط بشاعرات العرب واديباتهم لاقتضانا ذلك مجلدات ومجلدات . اما ذكر بعض الاسماء وبعض النوادر فينسجم مع واقعنا المفروض فرضاً في هذا الحديث القصير .

اشعر شاعرات العرب ولا منازع الخنساء. والنابغة الذبياني هو الذي قال لها لولا ان الاعشى انشدني لقلت انك اشعر اهل الارض. وكان ذلك يوم انشدته رثاءها لاخيها صخر حيث تقول:

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وقد هاجت هذه الشهادة حسان بن ثابت فقال للنابغة انا اشعر منك ومنها ومن ابيك فقال النابغة بماذا فقال بقولي :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ... واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال النابغة للخنساء خاطبيه يا خناس فالتفتت اليه الخنساء وعابت عليه بيته في ثمانية مواضع. ويقول اكثر المؤرخين ان هذه الحادثة اسطورة على انها حتى لو كانت كذلك تدل على ما للخنساء من مكانة مرموقة وقدم راسخة في الشعر والادب. وهنا ايضاً اخالف رأي الاستاذ البستاني مع احترامي وتقديري لعلمه.

والعنوس ابنة منقذ التي نظمت قصيدتها المشهورة ومطلعها:

لعمرك لو اصبحت في دار منقذ ... لما ضيم سعد وهو جار لابياتي

اثارت الحرب بين قبيلتين كبيرتين مدة اربعين سنة .

وهل ننسى من شاعرات الاسلام ليلى الاخيلية وعائشة بنت طلحه وعميرة الجمحية واسماء وعلية بنتي المهدي وليلى بنت طريف وولادة بنت المستكفي، وحمدونة بنت زياد ونزهون بنت القلاعي الغرناطية .

قلت ان الاحاطة بشاعرات العرب واديباته يقتضينا الكثير من القول. لذا اراني مضطراً ان اختم هذا الحديث برواية عن الاصمعي تدل على مدى ما وصلت اليه المرأة العربيــــة من الفصاحة ورقة الاحساس .

كان لاعرابي اربع نسوة : كندية وغسانية وشيبانية وغنوية فطلب اليهن ان يصفن انفسهن شعراً .

فقالت الكندية :

كأني جنى النحل والزنجبيل ... وصفو المدامة والسلسبيل
يزين سنا الوجه لي مبسم ... يبز اللآلي وعين كحيل

وقالت الغسانية :

براني الهي الاه السما ... فنصفا قضيباً ونصفاً كثيباً
والبسني ما يسوء الحسود ... جمالا وملحاً وحسناً عجيباً

وقالت الشيبانية :

افوق النساء اذا ما اجتمعن كبدر السماء نجوم الدجى
ويقصر عني جميع الصفات ، فمن نالني نال فوق المنى

وقالت الغنوية :

تزور بعينيك من بهجتي ... فقد خلق الله مني الجمالا
اذا ما تفرست في رؤيتي ... رأيت هلالا واحوى غزالا

ايها السيدات والسادة .

لقد طال الحديث عن العالمات وماادري كيف اختمه ولعلي اذا ذكرت حديث تلك المرأة التي اوفدها نساء المسلمين الى النبي تطالبه بحقوقهن كما تفعل سيدات اليوم الناهضات اكون قد اثرت فيهن الاعجاب باولئك الجدات الكريمات اللواتي يعجز القلم عن وصف ما تحلين به من جرأة ومن اقدام الى جانب ما تميزت به من علم ومعرفة وذكاء. هذه السيدة هي اسماء بنت يزيد الانصارية: من بني عبد الاشهل . اتت النبي يوماً وهو بين اصحابه فقالت : بأبي انت وامي يا رسول الله انا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنـــا بك وبالهك. وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم وحاملات اولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجميع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله . وان احدكم اذا خرج حاجاً او معتمراً او مجاهداً حفظنا لكم اموالكم وغزلنا اثوابكم وربينا لكم اولادكم افما نشارككم في هذا الاجر والخير؟ فالتفت النبي الى اصحابه بوجهه كله وقال: هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها في امر دينها ؟ من هذه ؟ ثم قال لها : افهمي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء ، ان حسن تبعّل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت واخبرت نساء العرب بما قال ففرحن وآمنّ جميعــاً وسميت اسماء المترجمة نساء العرب الى الرسول .

انور الخطيب

شاعر من آسيا

✳

لعبد الوهاب البياتي

•

بغداد

« يا أيها الليل الطويل !
هذا صياح الديك» من اعماق قارتنا « يُبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل »

ابداً ؛ جبال الموت يحجبها الضباب
والثلج والموتى وقطعان الذئاب
وحائط الصين العظيم
وعيون شاعرنا الجريح
تغفو على بيت من الشعر القديم :
« أطفال ـ بكين ـ العراة
سيزرعون الورد يوماً في الصخور
ويُطلعون الفجر من ليل العصور
ومن اساطير الطغاة »

« يا أيها الليل الطويل !
هذا صياح الديك » من أعماق قارتنا « يبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل »

لم يبق إلا ساعتان
ويطلع الفجر العظيم
من المصانع والحقول
ومن دموع الامهات
وبنادق الانصار ، والديك المبشر بالنهار
ابداً ؛ يصيح .
ويضيء في أجفان شاعرنا الجريح
بيت من الشعر القديم
وملاعب الأطفال في ـ بكين ـ والفجر العظيم

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم



الباب الثامن

تابع الفصل الثاني – القسم الثاني : تاريخ وأساطير

كثيرة هي الأشعار التي تنسب الى غير قائليها في السيرة النبوية . وقد سبقنا الى التشهير بفساد الكثير من أشعارها ابن سلام الجمحي حيث قال : « وكان ممن هجّن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء ، محمد بن اسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير فنقل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر انما أوتى به فاحمله . ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال . ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ! أفلا يرجع الى نفسه من حمل هذا الشعر ومن أدّاه منذ الوف السنين والله يقول : وانه اهلك عاداً الاولى وثمود فما أبقى . وقال في عاد: فهل ترى لهم من باقية . وقال : وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله »[1] .

ولقد أشار ابن هشام نفسه – جامع سيرة ابن اسحاق – الى ناحية الضعف في اسناد الشعر الى قائليه ، فهو كثيراً ما ينكر عليه نسبة القصائد الى فلان وفلان .

والشعر كما نعرفه قديم جداً في رأي الكثيرين !! فهو لا يرجع الى عهد عبد المطلب وهاشم ، فيقصّده المهلهل بن ربيعة – وغيره – في ذكر الوقائع التي تلت وقعة اخيه كليب[2] ، بل يتجاوز ذلك العصر الى عهد حمير والتبابعة ... بل يُرفع الى زمن طسم وجديس ... ثم يوغل في القدم حتى تقوله عاد وثمود ! ولذا فلماذا لا يقول آدم نفسه شعراً عربياً ؟!! أليس هو القائل حين قتل ابنه قابيل هابيل :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه الصبيح
وجاورنا عدوٌّ ليس يفنى ... لعين لا يموت فنستريح
أهابيل ان قتلت فان قلبي ... عليك اليوم مكتئب قريح !!

ولماذا لا يجيبه عدوه اللدود ابليس على نفس الروي فيقول :

تنح عن الجنان وساكنيها ... ففي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء ... وقلب من اذى الدنيا مريح
فما برحت مكايدتي ومكري ... الى ان فاتك الثمن الربيح
ولولا رحمة الرحمن أمسى ... بكفك من جنان الخلد ريح !!(١)

ونترك هذا الشعر لأبينا آدم ، وخصمه ابليس دون تعليق ! ويكفي ان العميد الدكتور طه حسين لا يجرؤ على ذكره وذكر ما ماثله خوفاً من الظن انه هازل ولاعب !!

وينزلون بالشعر الى عاد ! وهذا – في زعمهم – معاوية بن بكر ، ينزل عليه وفد عاد مستسقياً لعاد . فلما اخذه اللهو بظاهر مكة ونسي الغاية التي وفد من اجلها ارتجل معاوية أشعاراً ودفع بها الى الجرادتين (وهما قينتان لمعاوية كانتا تطربان الوفد في قصفه) فغنتاها ، ولما سمع الوفد هذه الاشعار الملحنة تنبه لما جاء اليه ونهض الى الحرم يدعو لعاد التي كاد ان يفنيها القحط . أما الاشعار فهذه :

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ، ان عاداً ... قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس يرجى ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم عياما
وان الوحش تأتيهم جهاراً ... ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم ها هنا في ما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما !!(٢)

---

(١) طبقات الشعراء ص ٤ (٢) نفس المصدر ص ١٣

(١) جمهرة اشعار العرب للقرشي ص ١١ ، ١٢ . طبعة مصر ١٩٢٦

(٢) تاريخ الطبري ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ج ١

ويعود الوفد من مكة فيسمع احده (مرثد بن عفير) خبراً لعاد من رجل فيقول :

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشاً ما تبلهم السماء
وسير وفدهم شهراً ليسقوا فاردفهم من العطش العماء

ويذكر في هذا الشعر كفر عاد ورسالة هود لهم وأصنام عاد وانه سوف يلحق آل هود اذا جن المساء ! [1] وقال رجل آخر منهم :

لو ان عاداً سمعت من هود واتبعت طريقه الرشيد
وقد دعا بالوعد والوعيد عاداً وبالتقريب والتبعيد
ما اصبحت عاثرة الجدود صرعى على الانوف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود
احدوثة للأبد الابيد !! (٢)

وكما قالت عاد الشعر كذلك قالت ثمود ! فهذا احد المسلمين بصالح (واسمه مهرش بن غنمة بن الذميل) لما همّ عزيز ثمود (شهاب بن خليفة) بالأسلام ، ورده نفر من قومه ، قال :

وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعاً فهمّ بأن يجيب ، ولو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذوابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذئابا (٣)

وطسم وجديس لم تكونا بأقل من زميلتيها في قول الشعر . وهذه هزيلة ، وقد مرت قصتها ، تقول حينما لم ينصفها سيد طسم :

اتينا الى طسم ليحكم بيننا فابرز حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا ولا فهما عند الحكومة عالما
قدمت فلم اقدر على متزحزح واصبح زوجي حائر الرأي نادما (٤)

ويسمع عمليق بالشعر فيغضب ، ويأمر — كما ذكرنا — بأن لا تدخل عروس على زوجها حتى تحمل اليه قبل ذلك .. وكان حديث الشموس حيث خرجت من عنده شاقة ثوبها وهي تقول :

لا أحد اذل من جديس اهكذا يفعل بالعروس ؟!

ثم تمر بقومها فتحرضهم على طسم بهذه الابيات :

ايصلح ما يؤتى الى فتياتكم وانتم رجال فيكم عدد الرمل ؟
ايصح تمشي في الدماء فتاتكم صبيحة زفت في النساء الى بعل
فان انتم لم تغضبوا عند هذه فكونوا نساء لاتغيضوا عن الكحل
فدونكم طيب العروس فانما خلقتم لاثواب العروس والغسل

فقبحاً وشيكا للذي ليس دافعاً ويختال مشياً بيننا مشية الفحل
فلو اننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراماً واضرموا لعدوكم بحرب تلظى بالضرام من الجذل
ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما تقوم بأقوام كرام على رحل
فيهلك فيها كل نكس مواكل ويسلم فيه ذو النجابة والفضل (١)

وفي حديث زحف حسان على جديس انتصاراً لطسم تقول زرقاء اليمامة :

اني أرى شجراً من خلفه بشر وكيف يجتمع الاشجار والبشر
ثوروا بأجمعكم في وجه اولهم فان ذلك منكم ، فاعلموا ، ظفر (٢)

هذه الاشعار (ومثلها كثير) ان دلّت على شيء فانما تدل على انها مصطنعة . ومن الهزل ان نحاول اثبات ذلك واختراعها أوضح من الشمس . على اننا نردد هنا ما قلناه سابقاً ان وضعها قديم نسبياً ، ويشهد بذلك ثبوتها في أقدم المراجع الادبية والتاريخية . وهذا دليل على ان الاساطير التي كانت تشير اليها هذه الاشعار انما كانت مداولة في ذلك الزمن وما قبله ، اذ لا يمكن ان تكون قد ارتجلت ارتجالاً دون ان يكون لها أصل . ومن المعلوم ان القرآن أشار الى عاد وثمود وهذا يدل على ان العرب الجاهليين كانوا على علم بأساطير تلك القبائل . ولنا في شعر اواخر العصر الجاهلي تلميحات لهذه القصص ، فقد قال الاعشى :

قالت أرى رجلاً في كفه كتف او يخصف النعل لهفي اية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا
فاستنزلوا اهل جو من مساكنهم وهدموا شاخص البنيان فاتضعا (٣)

وهذا عديّ بن زيد يذكر عاداً وارم :

ان الاسى قبلنا جم ونعلمه فيا اديل من الاجداد والامم
منهم رأينا عياناً او نخبره وما تحدث عن عاد وعن ارم (٤)

ويقول ابن أشمط العبدي :

ألم ترى ان الدهر أهلك صرفه ارما وعادا
واحتط داوداً وأخرج من مساكنهم ايادا (٥)

وقال عمرو بن قميئة :

لا تحسبن الدهر مخلدكم او دائماً لكم ولم يدم
لو دام ، دام لتبع وذوي الاضاع من عاد ومن ارم (٦)

---

(١) تاريخ الطبري ص ٢٤١
(٢) مروج الذهب للمسعودي ص ٢٩٩ ج ٣ . طبعة باريس ١٨٦١
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ص ١٣٤ ج ١ . طبعة مصر ١٣٤٨
(٤) مروج الذهب ص ٢٧٧ ج ٣

(١) مروج الذهب ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ج ٣ (٢) نفس المصدر ص ٢٨٧
(٣) تاريخ الطبري ص ٧٧٣ ج ١
(٤) الحماسة للبحتري ص ٣٤١ . طبعة مصر ١٩٢٩
(٥) الحماسة للبحتري ص ١٢٩ (٦) نفس المصدر ص ١٨٢

وقال حسّان مادحاً قومه :

ملوكاً على الناس لم يملكوا ... من الدهر يوماً كحل القسم
فانبوا بعــاد واشياعها ... ثمود وبعض بقايا ارم (١)

وأشار لبيد الى لقمان ولبد آخر نسوره فقال :

ولقد جرى لبد فادرك جريه ... ريب الزمان وكان غير مثقل
لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الاعزل(٢)

وقال في معلقته :

امست خلاء وأمسى اهلها احتملوا أخنى عليها الذي اخنى على لبد(٣)

وكان لقمان قد ُخيّر في حياته فاختار عمر سبعة أنسر .. حتى كان آخرها لبد. فلما مات حاول لقمان النهوض فاضطربت عروقه وخرّ ميتاً[٤] .

وفي قصيدة بائية مطلعها: «طحا بك قلب في الحسان طروب» يشير علقمة الى حديث ناقة صالح ، وكيف رغا سقبها فوقهم — كما مر معنا — حينما عقروها . قال :

رغا فوقهم سقب السماء فداحص ... بشكته لم يستلب وسليب (٥)

ولنأت الى اشعار جرهم :

قالوا توفي نابت بن اسماعيل فولي البيت بعده جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي ، فكان سيد جرهم .

وكان على قطورا رجل منهم يقال له السميدع ، يعشر من دخل مكة من اسفلها ، بينما كان عمرو يعشر من دخلها من اعلاها .

وقد تحكم الخلاف بينهما حتى التقوا (بفاضح) وهو مكان اقتتلوا فيه اقتتالاً شديداً ، فقتل السميدع وفضحت قطوراً فيقال ما سمي بفاضح الا بذلك !

ثم تداعوا للصلح فاصطلحوا في « المطابخ » وهو شعب بأعلى مكة ، وأسلموا الامر الى مضاض ، وبهذا يقول :

ونحن قتلنا سيد الحي عنوة ... فاصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبغي ان يكون سواءنا ... بها ملكا حتى اتانا السميدع
فذاق وبالا حين حاول ملكنا ... وعالج منا غصة تتجرع
فنحن عمرنا البيت كنا ولاته ... نحامي عنه من اتانا وندفع
وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا ... ولم يك حي قبلنا ثم نمنع
وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ... ورثنا ملوكاً لا ترام وتوضع !(٦)

(١) السيرة ص ٩٢١ (٢) الحماسة للبحتري ص ١١٨
(٣) العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهلين ص ٥ والاكليل للهمذاني ص ١٧ ج ٨ (٤) الاكليل أيضاً ص ٢١٥
(٥) العقد الثمين ص ١١٧ وشرح ديوان علقمة للشنتمري ص ٣٤ طبعة الجزائر ١٩٢٥ (٦) اخبار مكة ص ٤٤ - ٤٦

فلما حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسماعيل (وكانوا قد اعتزلوا الحرب بينها وبين جرهم) فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم . اما جرهم فقد نفيت عن مكة ، واما مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي ، فلما رأى ذلك وقد اصابه من اللوعة والصبابة الى مكة ما احزنه ، ارسل الى خزاعة يستأذنها في الدخول عليهم والنزول في جوارهم فأبت ، حتى انها هدرت كل دم جرهمي يقرب من الحرب !

ونفرت لمضاض ابل .. ولما طلبها دخلت الحرم ، فظهر على ابي قبيس يتفقدها فابصر الابل تنحر وتؤكل لا سبيل اليها . وخاف ان هبط الوادي ان يُقتل فولى منصرفاً حزيناً كئيباً[١] وانشد يقول :

كأن لم لكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع وسطه فجنوبه ... الى المنحنى من ذي الاريكة حاضر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وابدلنا ربي بها دار غربة ... بها الذئب يعوي والعدو المخامر
وبدلت منها اوجها لا اريدها ... وحمير قد بدلتها واليحابر
فان قل الدنيا علينا بكلكل ... ويصبح شر بيننا وتشاجر
فنحن ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
وانكح جدي خير شخص علمته ... فابناؤه منا ونحن الاصاهر
واخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجري المقادر
فصرنا احاديثاً وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرم امن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذي حمامه ... يظل به امناً وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام انيسة ... اذا خرجت منه فليست تغادر
ويا ليت شعري من باجياد بعدنا ... اقام بمفضي سيله والظواهر
فبطن منى امسى كأن لم يكن به ... مضاض وحي عدي عمائر
فهل فرج آت بشيء نحبه ... وهل جزع منجيك مما تحاذر (٢)

« ولو صح هذا الشعر — كما يقول العميد الدكتور طه حسين -- لكانت هذه اللغة القرشية التي نزل بها القرآن من القدم وبعد العهد بحيث لا نظن ولا نتصور »[٣] . ثم يقول : «وان هذا الشعر الذي يضاف الى الذين عاصروا اسماعيل انما هو كشعر عاد وثمود وطسم وجديس لا قيمة له ولا غناء فيه . صنعه القصاص صنعة وتكلفوه تفلسفاً رغبة في الفكاهة، او تزيين القصص او تفسير ما يتصل ببناء الكعبة ، واختصام العرب حولها »[٤] . ويقول ايضاً : « فلو صح هذا الشعر لكانت اللغة

(١) راجع اخبار مكة ص٢٦ - ٥٧ (٢) تراجع في السيرة ص٧٤ والاغاني ص ١١٠ ج ١٣ ، والبداية والنهاية ص ١٥٨ ج ٢ ، وتاريخ ابن خلدون ص ٣٣٢ ج ٢ ، واخبار مكة ص ٥٦ - ٥٧
(٣) في الادب الجاهلي ص ١٨٩ (٤) نفس المصدر ص ١٩٠

التي تعلمها اسماعيل بن ابراهيم من اصهاره الجرهميين قبل الاسلام بأكثر من خمسة عشر قرنا هي هذه اللغة التي تراها في هذا الكلام سهلة لينة ، لا شدة فيها ، ولا عنف ، مستقيمة قواعد النحو والصرف والعروض والقافية ، على ما كانت تستقيم عليه للقرشيين ايام النبي وبعد ظهور الأسلام» (١)

وهم لم يكتفوا بسكان مكة ! فقد قالت سبأ وحمير شعراً، شعراً عربياً ! لا بل ان سبأ نفسه قال شعراً ، واذا لم تشأ فقد كان مسلماً ايضاً، ومن الذين يعلمون بظهور محمد في المستقبل. لقد قال رحمه الله :

سيملك بعدنا ملكا عظيما	نبي لا يرخص في الحرام

الى قوله :

يسمى احمداً يا ليت اني	اعمر بعد مبعثه بعـام
فاعضده واحبوه بنصري	بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه	ومن يلقاه ، يبلغه سلامي!! (٢)

والحقيقة ان هذه الـ : « يبلغه سلامي » لما يثير الضحك ! ! ويموت سبأ ... فيرثيه ولده حمير بأول مرثية :

عجبت ليومك ماذا فعل	وسلطان عزك كيف انتقل
فاسلمت ملكك لا طائعاً	وسلمت للامر لما نزل !

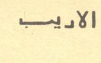
قصيدة عامرة !! تبلغ الثلاثين ، وتشهد لمختلقها بمعرفته العروضية !! (٣)

ولتتبّع الذي زحف على المدينة واخذ معه الحبرين اللذين اخبراه بالنبي !؟. اشعار عربية من طراز اشعار سبأ . قال لا فضّ فوه !:

شهدت على احمد انـه	رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره	لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه	وفرجت عن صدره كل غم (٤)

اما شطرة البيت الثاني « لكنت وزيراً له وابن عم » ففي الحقيقة توصل الضحكة التي أثارتها الـ : « يبلغه سلامي» السابقة. والشعر الذي يضاف الى أسعد تبّع ليس بالقليل . ويكفي ان له قصيدة في جدة ذي القرنين تتجاوز الثلاثمئة بيت !! (٥) وله قصيدة يذكر بها هبوطه المدينة وملاقاته اليهوديين وما كان من شأنه في مكة تبلغ ثلاثة وعشرين بيتاً ! (٦) وابياته في كسوته البيت وارتحاله عنه (٧) ..

(١) في الادب الجاهلي ص ١٩١ (٢) البداية والنهاية ص ١٥٨ ج ٢
(٣) الاكليل ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ج ٨ (٤) البداية والنهاية ص ١٦٦ ج ٢
(٥) راجع بعضها في الاكليل ص ٢٢٤ (٦) راجعها في تاريخ الطبري ص ٩٠٨ ج ١ (٧) راجعها في اخبار مكة ص ١٧٤



الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 — Tél. :

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **ألبير أديب**

سكرتير تحرير مكتب القاهرة : **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

ويضيفون الى حسان تبع :

ايها الناس ان رأيي يريني   وهو الرأي طوفة في البلاد
بالعوالي وبالقنابـــل تردى   بالبطاريق مشية العـواد
وبجيش عرمرم عربي   جحفل يستجيب صوت المنادي
من تميم وخنـــدف واياد   والبهاليـــل حمير ومراد
فاذا سرت سارت الناس خلفي   ومعي كالجبال من كل واد
سقني ثم سق حمير بعدي   كأس خمر اولى النهي والعماد (١)

ويعلق العميد الدكتور طه حسين على هذه الابيات بقوله: « فما ترى من هذا الشعر ولا سيما عندما تقيسه الى ماقدمناه لك في الكتاب الثاني من نصوص حميرية ، وتقارن بينه وبين هذه النصوص في اللفظ والنحو والصرف ؟ » (٢) .

اما نحن فنقول ايضاً مع ابي عمرو بن العلاء رحمه الله : « ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » (٣) . ولهذا فكل ما قيل بهذا الخصوص مصطنع لا ريب في ذلك ، على ان هذا لا يمنع الاعتقاد بأن مثل تلك الاساطير كان معروفاً في الجاهلية ومنها تمكنوا في الاسلام من صوغها او من الاشارة الى بعضها شعراً . ولقد اشار لبيد الى ارم وحمير فقال .

او لا ترى ان الحوادث اهلكت   ارمـــا ورامت حـــميرا بعظيم

وكذلك قال عتاهية بن سفيان الكلبي :

ألم تر ان الدهر أدى بتبع   ولم ينجه منه ذو الكتائب حسان
وظن عدي ان غمدان مانع   فاسمله اذ عاين الموت غمدان (٤)

ولا سبيل الى الشك في ان الشعراء الجاهليين قـد عرفوا سليمان وتسخيره الحيوان والجن والرياح لاغراضه ومنشآته. ولم تقف معرفتهم عند هذا الحد ، وانما كانوا على علم بكثير من احداث العهدين القديم والجديد(٥) كحديث التكوين، واسطورة الطوفان ، ورحلات ابراهيم الخليل ، واعمال موسى واخيـــه وشأنها مع فرعون .. ومن ثم مجيء المسيح وحديث العذراء واصحاب الكهف ، وغير ذلك كثير .

ولا نشك ان هذه الاساطير انما دخلت الى الجزيرة عن طريق اليهود والنصارى ، وكان لهم ، كما ذكرنا سابقاً ، مستعمرات ومراكز وبلدان عمروها في العصور الجاهلية سنين عديـــدة قبل الاسلام .

(١) الاغاني ص ٧ ج ٢٠   (٢) في الادب الجاهلي ص ١٩١-١٩٢
(٣) طبقات الشعراء ص٤ - ٥   (٤) حماسة البحتري ص١١٩-١٢٠
(٥) راجع النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، للأب لويس شيخو (القسم الاول) . ص ٢٥٤ - ٢٨٢ . طبعة بيروت ١٩١٢

ومما يذكر سليمان وتسخيره الانس والجن والرياح قول الأعشى بعد وصفه بنات الدهر :

فذاك سليمان الذي سخرت له   مع الانس والجن الرياح المذاكيا
فلو كان شيء خالداً غير ربنا   لكان لها من سائر الناس واليا (١)

وعلى ذكر سليمان والجن نشير الى نقل العفريت عرش بلقيس حينما وفدت زائرة سليمان في بيت المقدس : « لما طلب سليمان من الجن ان يحضروا عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) »(٢). ويأتي العرش بطرفة عين من اقاصي اليمن الى مشارف الشام . ولما جاءت بلقيس سليمان اراد ان يختبر فهمها (فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو) ومن اين لها ان تعرف انه هو وقد غادرته مكانه في سبأ !!

ولا نطيل بهذه الاسطورة وانما نرجع الى الشعر فنذكر فقط قول النابغة وهو يمدح النعمان ويذكر كيف سخّر سليمان الجن في البناء . قال النابغة في « يا دار ميّة » :

فتلــك تبلغني النعمان ان له   فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه   ولا احاشي من الأقوام من أحد
ولا سليمان ... (وتروى)
الا سليمان اذ قـــال المليك له   قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفـــاح والعمد
فمن اطاعـك فانفعه بطاعتـــه   كما اطاعك وادلله على الرشد
ومن عصـــاك فعاقبه معاقبـــة   تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد (٣)

وفي عام الفيل ، تلك الحادثة التي جرت قبيل الاسلام فأرّخ بها العرب ، اشعار كثيرة. رووا لأبي الصلت (وتروى لامية ابنه) قصيدة قال فيها :

ان آيات ربنـــا باقيات   ما يماري فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل   مستبين حســـابه مقدور
ثم يجلو النهار رب كريم   بمهاة شعاعهـــا منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى   ظل يحبو كأنه معقور
لازما حلقه الجران كما قطر   من صخر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة ابطال   ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً   كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور (٤)

ولما وافى ابرهة الى مكة قال عبـــد المطلب وهو آخذ

(١) الحماسة للبحتري ص ١٢٨   (٢) البداية والنهاية ص ٢٣ ج ٢
(٣) العقد الثمين ص ٧   (٤) السيرة ص ٤٠

بحلقة باب الكعبة :

يا رب لا أرجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا
امنعهم ان يخربوا قراكا

وهنالك ابيات اخرى قالها قبل ان يصعد الى الجبل هرباً من الأحباش[1] وينسبون اليه ابياتاً اخرى ، قال :

قلت والأشرم تردى خيله   ان ذا الاشرم غر بالحرم
ان للبيت لربــاً مانعاً   من يرده بأثام يصطــلم
رامه تبع فيا قد مضى   وكذا حمير والحي قدم
هلكت بالبغي فيه جرهم   بعد طسم وجديس وجم
نحن اهل الله في بلدتـه   لم يزل ذاك على عهد ابرهم(٢)

وممن نسبوا اليه ابياتاً ذكر فيها حادثة الفيل ابو القيس بن الأسلت في قصيدة يعظم فيها حرمة البيت وينهى قريشاً فيها عن الحرب وعن قتال الرسول ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل . قال منها :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا   بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق   غداة ابي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمسي ورجلـه   على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم   جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب   الى اهله م الجيش غير عصائب (٣)

وقال عبدالله بن الزبعري في انهزام الاحباش ذاكراً مكة وحرمها :

تنكلوا عن بطن مكة انها   كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت   اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى   فلسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يؤوبوا ارضهم   بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم   والله من فوق العباد يقيمها(٤)

وكما ذكرنا في اشعارهم حادثة الفيل ، كذلك كان للبعض منهم علم بقصة سيف بن ذي يزن ، ذلك الامير الذي يذكره التاريخ شاباً مطماحاً يطلب ملك آبائه من الاحباش فلا يقدر عليه فيستعين عليهم بقوى خارجية . رووا لأبي الصلت (وتروى لابنه امية ايضاً) قصيدة اشار بها الى ذهاب ابن ذي يزن الى قيصر الروم ، ومن هناك الى ملك فارس طالباً النجدة . قال:

ليطلب الوتر امثال ابن ذي يزن   خيم في البحر للأعداء اهوالا
اتى هرقلاً وقد شالت نعامته   فلم يجد عنده النصر الذي قالا
ثم اثنى نحو كسرى بعد سابعة   من السنين لقد ابعدت قلقالا
حتى اتى ببني الأحرار يحملهم   تخالهم فوق متن الارض اجبالا
حملت اسداً على سود الكلاب فقد   اضحى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً   في رأس غمدان داراً منك محلالا
واخطم بالمسك اذ شالت نعامتهم   واسبل اليوم في برديك اسبالا(٥)

وذكر انس بن زنيم الكناني ذا يزن فقال :

وخاف الدهر قبلك ذا رعين   وذا يزن وخاض بذي نواس(٦)

ولعدي بن زيد الحيري ابيات يذكر بها صنعاء ، ويشير الى قصة ذهاب الفرس الى اليمن لطرد الاحباش يقول فيها :

ماذا ترجي النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها
ما بعد صنعاء كان يعمرها   ولاة ملك جزل مواهبها

الى قوله :

ساقت اليها الاسباب جند بني الاحرار فرسانها مواكبها
يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هاربهـا
بعد بني تبع نجاورة   قد اطمأنت بها مرازبها(٧)

ولسنا بحاجة الى التنويه بأن من بين الركاكة التي تسود بعض هذه الاشعار ومن بين الضعف في تركيبها الشعري ، تشتم رائحة التكلف والصنعة ، على ان هذا لا يمنع ان يكون البعض الآخر حقيقياً أصيلاً لا يمت بأدنى سبب الى الانتحال والاختراع .

محمود الحوت

---

(١) تاريخ الطبري ص ٩٤٠ - ٩٤١ ج ١
(٢) تاريخ ابن واضح اليعقوبي ص ٢٩٤ ج ١ (٣) راجع السيرة ص ١٧٨ - ١٨٠ (٤) البداية والنهاية ص ١٧٥ ج ٢ (٥) الحماسة للبحتري ص١٢ .ويوجد اختلاف بالابيات في اخبار مكة ص ٩٩، والسيرة ص٤٤ (٦) الحماسة للبحتري ص١٨٣ (٧) الحماسة للبحتري ص١٢٥

الا تذكرين ؟

✻

الا تذكرين ..
ايا ويل قلبك هل تنكرين !
وماذا يفيد
فقلبك ما زال طفلاً وليد
يحن ويصرخ إني اريد
أريدك خلف ظلام السنين

وما هذه الأدمع الراجفة
بعينيك غير دليل الحنين
حنين قوي عتي عنيد
يئن ويصرخ اني اريد
اريدك خلف الزمان اللعين
وخلف لهيب لظى المجرمين
تعالِ اريدك لا تسكتين
تعال فان يد الظالمين
تكاد تشدك عني بعيد
بعيداً بعيداً لتبقى وحيد

الا تذكرين
ايا ويل قلبك هل تنكرين

وتلك رسائل حب حزين
ظماء الى العطف هل تنكرين
وقلبك فيها تحدى القيود
تحدى سخافات هذا الوجود
بخفقاته الحرة العاتية
وصرخات مجهدة صادية

فهل تنكرين
اذاً فانكري نفسك الظامئه
وموتي على صخرة مارده
وداع يزمجر بالشارده
أثرت على صخرتي الخالده ..!؟
وما ثار قبلك هذا القطيع
اثرت على صخرتي المارده
وانك في قبضتي راقده
فلا درّ درك يا جاحده
وعودي لهذا القطيع الكبير

بغداد — عبد المجيد الراضي

الـرجـوع الى البيت

للكاتب الامريكي وليم سارويان

ترجمة الآنسة سميرة عزام

°°°

هذا الوادي، وهذه الارض المحاطة بالجبال كلها لي، بيتي ، لقد حلمت بها جميعاً ، هو ذا كل شيء باق على حاله لم يتغير ببساطته وحقيقته. وشعر وهو يقطع شارع «الفين» بانه سعيد بالرجوع الى بيته فكل شيء حوله لطيف وعادي وطيب .. رائحة الارض ، رائحة الطعام تنبعث من مطابخ البيوت ، رائحة هواء الصيف في الوادي المحمل بطيب الاعناب والفاكهة واشجار الدفلي .. وكل شيء كل شيء ..

كان الجو حاراً ، ولم يكن قد شعر لسنوات بأن احاسيسه ترتبط هكذا بالارض بل لم يشعر بأنه كان يتنفس براحة وهناء كما يفعل الساعة نفساً يحمل رائحة ارضه الى اعماق رئته .

وكان كل شيء حوله نظيفاً نقياً ، يشعره بعظمة وجوده وعظمة امتلاك اشياء خاصة ، عظمة الاحساس والتفكير . ويشعره ايضاً بنعمة الحياة على هذه الارض .

وسمع وهو يسير رشاش ماء في احد البساتين ورأى رجلاً يحمل خرطوم ماء يتدفق منه الماء ، فقصده والقى التحية ورجاه ان يعطيه ماء ليشرب .

واستدار الرجل فبدا ظله طويلاً على جدار البيت خلفه ، وحدق الى وجه الشاب ثم ناوله الخرطوم وراح يغمغم ان ماءنا اعذب ماء .. لا ادري كيف يستطيع الناس ان يعيشوا في لوس انجلوس ويشربوا ماء له طعم زيت الخروع .

وقال الفتى وهو يهم ان يغب ماء الخرطوم الذي كان بعضه ينصب على الارض باندفاع وقوة فتمتصه هذه بسرعة .

اجل يا عماه ان ماء هذا الوادي اطيب مياه الارض ثم احنى رأسه يشرب ويشرب حتى لم يعد بوسعه ان يتنفس فرفع رأسه قليلاً وقال للشيخ .. نحن محظوظون اهل هذا الوادي، ثم عاد يغب الماء، وكلما شرب ازداد احساساً بطيبه وشعر انه بحاجة الى المزيد. وتعجب الشيخ لقد شرب الفتى ما يزيد على ربعين وكان لا يزال يشرب وهو يستمع الى تمتمة الشيخ فرفع رأسه وأمن على كلامه .. نعم .. تماماً كما تقول .. ليس اطيب من هذا الماء .

ومسح فمه بمنديله وكان لا يزال رافعاً خرطوم الماء وفيه مزيد من رغبة الى الشرب فكأن الصفاء والعبقرية والطيبة والبساطة التي يستشعرها الساعة تتمثل في مياه هذا الوادي الطيب.

وسأل الشيخ مترفقاً .. منذ متى لم تشرب يا ابني ؟

— منذ عامين .. يا سيدي .. اعني انني لم اذق لعامين هذا الماء اذ كنت مغترباً اضرب في الارض.. وقد عدت لتوي.. انني ولدت هنا في حي المهاجرين الروس .. ثم غبت عامين وها أنذا. انني احب هذا المكان وانوي ان استقر فيه واجد لنفسي عملاً .

ودلى رأسه على خرطوم الماء ثانية وراح يغب جرعات اخرى ثم سلم الخرطوم للشيخ الذي تناوله وهو لا يزال يغمغم: انه ظامىء جداً ، ولم ار في حياتي انساناً يقوى على ابتلاع كل هذا .

وتابع الفتى سيره وهو يقول ما اجمل ان اعود .. ولكن كان خطأ مني ان اعود بهذه الطريقة . ولم تكن عودته بهذه الصورة الخطأ الوحيد في حياته .. فحياته كلها سلسلة اخطاء وهذه على الاقل غلطة مستحبة لقد كان عائداً من سان فرنسيسكو



منحدراً الى الجنوب دون ان يفكر في المرور ببلدته وكان يقصد مرسيد ليبقى هناك فترة من الوقت ثم يمضي لا يدري الى أين.. ولكنه لما مر ببلدته.. لم يستطع ان يغالب شوقه لرؤيتها لاستعادة مشاهدها القديمة ولم يجد نفسه الا ورجلاه تمشيان صوبها يطوي اليها الدروب والوقت مساء. ولم تكن البلدة بعيدة ويستطيع من مكانه ان يتبين بنايتين من اعلى بناياتها.. ولمح واحدة جديدة اعلى من الثنتين لعلها اقيمت في غيبته اذ لم يسبق له ان رآها.

وبلغ شارع فولتون وابتدأ يمشي نحو قلب البلدة.. التي بدت من المكان الذي هو فيه لطيفة صغيرة هادئة. مكان يظله الحنان ويسعد المرء ان يجافيه ويستقر ويكون له بيت وزوجة وصغار ووظيفة يمارسها.

هذا كل ما يريده من الحياة شخصياً.

وبدأ كل شيء على حاله القديم، اسماء المحال والناس الماشون في الشوارع والسيارات يقودها فتيان يلوحون للفتيات العابرات كل شيء على حاله لم يتغير.

ورأى اناساً يعبرون الطريق، كان يعرفهم بوجوههم فقط ولم يعرف اسماءهم قط، رأى صديقه القديم توني روكا فوقف منتظراً، وقد لمحه هذا، ان يأتي اليه يحييه وكان لقاءهما اشبه بحلم لا يصدق، طالما حلم بصديقه وهما يلعبان الهوكي او يسبحان او يحضران المسارح المتجولة وهو ذا صديقه امامه بطوله ومشيته الكسولة اللينة، وابتسم لصديقه ومد له يده يصافحه بحرارة ثم راحا يتمازحان كعادتهما قديماً. وقال الفتى لتوني فيما قاله سأذهب الساعة الى بيتي فاهلي لا يعرفون انني هنا. وانا اموت شوقاً لرؤية اخي بول وتابع سيره والابتسامة لا تزال على شفتيه وصوت توني في اذنيه، سيعاودان معاً مرحهما القديم.

ما اعظم ان يعود المرء الى بلدته.

ومر في سيره بالمحال الكبيرة ففكر في ان يشتري لامه هدية قد تسر المرأة العجوز ولكن نقوده كانت قليلة وكل شيء هنا غالي الثمن فيؤجل الفكرة مؤقتاً.

وظل يمشي يقطع الشوارع والميادين، بعد دقائق سيكون في بيته، بيته الصغير القديم، وسيرى كل شيء على حاله، المرأة الشيخة، الوالد العجوز، اخواته الثلاث، واخاه الصغير بول، كلهم في البيت يعيشون حياتهم القديمة البسيطة.

ولمح بيته وهو غير بعيد منه فخفق قلبه ولكنه شعر فجأة بخوف واسى. لقد ثار فيه شيء كاد ينساه عن هذه الحياة، شيء قبيح، شيء تافه، ومع ذلك فقد استمر يمشي ويتباطأ في مشيته كلما اقترب من داره.

وكان سياج الجنينة قد تحطم ولم تمتد يد لاصلاحه وفجأة بدا البيت قبيحاً في عينيه وعجب لابيه لماذا لا يفكر في الانتقال الى بيت جديد. في وسط افضل.

وبرؤيته لبيته تجسمت له حقيقة البيت القديمة وبدأ يفور احساسه بالرغبة في الابتعاد، في الهرب الى مكان يقصيه عن كل هذا. نفس الاحساس، احساسه وهو صبي، بالكراهية للمدينة باسرها، للجو المحيط، للناس البلداء الذين يعيشون اقدارهم بلا تمرد لا يعمر رؤوسهم الا الفراغ.

كم يبغض هذه الحياة وينفر من ان يعود فيحياها. — قد يكون ماء البلدة طيباً ولكن الماء ليس كل شيء.

ومشى باتجاه البيت كغريب لا تربطه بالبيت او ناسه رابطة ما. وخشي ان يخرج بعض اهله فيروه ويضطر هو الى اطلاق ساقيه. اجل انه واثق من انه سيأتي مثل هذه الحماقة مع رغبته الحارة في ان يراهم جميعاً ولكن هذا اكثر مما تحتمله اعصابه.

ووقف عند مصباح الشارع في الزاوية حائراً مشمئزاً وراغباً في الوقت نفسه ان يرى بول ويحادثه ويكتشف ما يعشعش في ذهنه وهو ما زال يدرك كيف احس الحياة عندما كان في مثل سن بول وكان يود لو يساعده بنصيحة، نصيحة صغيرة تعلمه كيف يتمرد بالاحتكاك بافكار الآخرين في الكتب على رتابة الحياة التي تحيط به.

لقد نسي انه لم يذق طعاماً منذ الصباح وانه حلم طويلاً بأكلة لذيذة من صنع امه يتناولها جالساً الى المائدة العتيقة في المطبخ العتيق ويرى امه تروح وتجيء امامه بوجهها الاحمر ونظرتها الغضبى التي لا تخلو من حب.

لقد فقد شهيته للاكل وفكر في ان ينتظر عند الزاوية قليلاً فقد يخرج اخوه من البيت ليشتري شيئاً فيراه ويحاكيه بالروسية لغة اهله. وضايقه السكوت المحيط به وافقده احساسه بالود وجعله يشعر ثانية بتلك الرتابة القاتلة التي هرب منها. مع انه قبل لحظات قليلة كان راغباً في ان يعود الى اهله ويلتصق بهم ويصبح قطعة منهم. أيقرع الباب ويدخل ويضم امه وشقيقاته الى صدره ثم يتجول في البيت او يجلس على الكراسي العتيقة ويحادث اباه الشيخ، غير ان هذا الاحساس قد مات منذ طالعه البيت وثارت



العاشقة

لنفولد فربانه

دعا جب ورد طرداً من النحل الى مائدته؛ فجاءوا وعلى رؤوسهم تيجان صفراء،وفي ارجلهم صنادل ملوّنة فاستقبلوا في غرف حمراء ، مدلوق فيها العطر ، وفي بهو أخضر عمّر حجارته الربيع .

بعد وقت عزموا على العودة الى التفير . فحملوا سلاهم ، وداروا قليلاً في اروقة القصر ،ورجعوا الى خليتهم ؛ ما عدا واحدة لقّبها اخوانها بالعاشقة . فانها لم تعد، وحبست نفسها في غرفة حتى ماتت ؛ فوقعت جثتها على الثرى .

لم يعمل لها اخوانها جنازاً ؛ غير ان مباخر كانت تهرق الطيب في الحي . ولكن في مساء اليوم الثاني اصفرّت اوراق الغرفة التي ماتت فيها ، وسقطت فوق جثتها كأكفان لها . فجاءت الريح وحملتها الى قبر صغير ، ووضعت فوقها التراب .

وامتدت جذور الوردة الام الى القبر ، فتغذت من الجثة ؛ فجرى دم جديد في عروقها . وعندما علّقت اجراساً في قناطرها ، وعمرّت غرفاً جميلة ، عادت فارسلت خدمها ، لتدعو جماعة النحل الى وليمة على مائدتها ،لأنها شعرت بالمحبة تربط بينها .

فيه مشاعر متنافرة قتلت كل حبه لبلدته ، للناس ، لأهله .. وصورت له كل شيء كريها قبيحاً لا يدع له ثمة رغبة في ان يستأنف ما انقطع في هذه الحياة .

ولكنه قفز فوق سياج الحديقة وداس على الارض التي غرستها امه بيديها خضروات ، وكان المطبخ مضاء فمشى اليه آملا ان يرى احد اهله دون ان يمكنهم من رؤيته ، والتصق بالحائط ثم مشى بمحاذاته وتطلع من نافذة المطبخ ورأى اخته مارتا تغسل الصحون ورأى الفرن والمائدة العتيقة .

واثار المنظر شعوره وكآبته فبكى وشعر بالحاجة لسيجارة فاشعل واحدة بعود ثقاب حكه في نعل حذائه ثم تطلع ثانية الى اخته فرآها جزءاً من الرتابة ، جزءاً من الملل والبرود والحزن الذي يسيطر على كل شيء في هذا المكان .

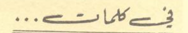
وودلو تدخل امه المطبخ فيلقي عليها نظرة مشوقة ويرى كم غيّر الزمن من ملامحها وهل لا زالت لها تلك النظرة الغضبى وشعر بانه يكره نفسه لانه لم يكن ابناً طيباً ولم يحاول مرة ان يلون قلب هذه الام ببعض السعادة .

ولكن امه لم تدخل بل دخل بول اخوه ليطلب ماء .. وكاد يصيح حين رآه ولكنه تمالك نفسه ، كم يحب بول . وكم يبدو الصغير حائراً ضائعاً . وراحت دموعه تسيل بغزارة وصمت .

ولم تعد ثمة رغبة في ان يرى امه سيغضب حتما لو رآها وقد يأتي عملا اخرق فاستدار ومشى في الحديقة وقفز عن السياج الى الشارع وقد تطاحنت فيه المشاعر ، ولما تأكد من انه غدا بعيداً عن البيت راح يبكي ، كم يحبهم جميعاً بقدر ما يكره رتابة حياتهم وكآبتها ومضى يسير ، يبتعد عن بيته ، يبكي بصوت يخشى ان يمزق هذا السكون السائد .

ولم يكن بوسعه ان يفعل شيئاً الا ان يبكي وهو يسير .

سميرة عزام



● نشرت جمعية مقاومة السرطان الاميركية تقريراً اعلنت فيه ان نسبة وفيات الرجال بهذا المرض الخبيث ستزيد خمسين بالمئة فى العشرين سنة المقبلة .

ويقول التقرير ان السرطان الرئوي هو الداء الذي لم يوجد له بعد العـــلاج الشافي الاكيد .

وان اسباب هذه الزيادة لم تنشر بعد ، الا انها كانت نتيجة ابحاث ودراسات علمية تجري منذ مدة طويلة .

● ابتكرت مؤسسة كاليفورنيا لابحاث السرطان طريقة لاكتشاف السرطان وهو في مراحله الاولى في الجسم وقد اجريت هذه التجارب على نحو ١٠ الاف شخص واعطت نتائج ناجحة مئة بالمئة في نحو ٩٠ بالمئة من الاشخاص .

● اصدرت لجنة الابحاث التابعة لشركة صناعة السجاير بامريكا بلاغاً اعلنت فيه انه ليس هناك اي دليل على وجود علاقة بين السرطان وتدخـــين اللفائف . ومن المعروف ان هذه اللجنة مؤلفة من كبار الاطباء بناء عـــلى طلب اصحاب مصانع اللفائف .

وقد استشهدت اللجنة المذكورة بتصريـــح للدكتور هوبير عضو المؤسسة الوطنية للسرطان نفى فيه وجود اية علاقة بين السرطان والتدخين.

● دعت الحكومة الفرنسية لحضور مؤتمر السرطان الدولي الذي سيعقد في باريس في مطلع شهر يوليو القادم . والغاية من عقد المؤتمر هي بحث تطورات هذا المرض في العالم . والوقوف على الخطوات التي قطعها العلماء في سبيل الوقاية منه بعد ان كثر انتشاره ، وكذلك استعراض التجارب التي اشرف عليها هؤلاء العلماء لمقاومة هذا الداء الوبيل سواء في الانسان او الحيوان .

● ابتكر دواء سويسري جديـــد يدعى ترومكـــان يقال انه ذو أثر كبير في تخفيف كثافة الدم في خلال ٢٤ ساعة في حين أن « لديكو مارل » وهو اكثر الادوية التي تستعمل الان لهذا الغرض ، لا يبدو اثره الا بعد يومين او اكثر. ويرجى ان يقلل هذا الدواء من حظ الاصابات الناجمة عن انسداد شرايين القلب بالجلطة الدموية.

● استنبطت شركة هوفمان - لاروش الكيماوية عقاراً جديداً يدعى ارفوناد قيل انه يمكن الجراحين من ايقاف النزيف عند اجرائهم العمليات الجراحية الصعبة في الرأس والرقبة والصدر ، وهو يخفض ضغط الدم لدرجة قصوى فيمكن الاطباء من اجراء العملية الجراحية وتجنب عملية نقل الدم الخطيرة كما تتلاشى في الوقت ذاته الصدمة التي يشعر بها المريض بعد العملية وذكر اطباء المستشفيات في بريطانية انهم استعملوا الارفوناد بنجاح في ٣٠٠ عملية جراحية .

● اكتشف الدكتور ليون جاكوبس ، احد العلماء بمعهد ابحاث الجراثيم الوطني بماريلاند ، ان احدى الطفيليات الدقيقة المدعوة «توكسوبلازما» تسبب حالات كثيرة من مرض العيون المؤلم المدعو كوريو اوريتينايتس .

ويقول العالم المذكور ان الابحاث في المستقبل قد تؤدي الى اكتشاف عقار فعال غير مؤذ لمكافحة التوكسوبلازما .

واضاف قائلا ان مرض العين هذا الذي كان يسبب العمى في حالات عديدة كان سابقاً يعزى الى اسباب اخرى .

● افاد الدكتور ج راي فان ميترمن جامعة كاليفورنيا بان معالجة المرضى المصابين بخلل نمو العضلات بالمواد البروتينية وبالفيتامينات المختارة قد عاد بالفائدة على الكثيرين وهذا المرض هو تحول الاعصاب المتينة نحو التضخم والبدانة ولا تلبث الضحية بعد ترهل الاعصاب ان تضطر للركون الى كرسي بعجلات ومن بعدها الى السرير وغالباً ما تحين الوفاة قبل اوانها .

وقد لاحظ الطبيب المذكور تحسناً مختلف الدرجات بعد ان عالج عشرة اشخاص من المصابين بهذا المرض بالمواد الغذائية التي استعاض بها عن الاغذية الاعتيادية كما لاحظ استرجاع البعض لقوامهم وشعورهم بالتحسن . اما تركيب الاغذية التي حضرها فيتضمن ٢٢ نوعاً من الاوكسيدات الامينيـــة ومضافاً اليها بعض الفيتامينات الضرورية .

● مضى على الكفاح العلمي لحل مشكلة تضخم الغدة الدرقية المزمن خمسون عاماً . وقد وصف الدكتور دافيد مارين من كلية العلماء الاميركيين كيف بدأ عام ١٩٠٧ في ابحاث علمية ادت الى تخفيف حوادث تضخم الغدة الدرقية المزمن وقال ان افضل طريقة استنبطت بهذا الخصوص هي مزج ملح اليود مع ملح الطعام واشار الدكتور مارين الى ان انعدام اليود في الطعام هو السبب عادة في وقوع التضخم .

● اعلن الدكتور ولتر فيلتر احد اساتذة المعهد الطبي في جامعة سنسناتي ان فيتامين ب ٦ قد اثبت فعالية كبرى عند اخذه مع العلاج الجديد ضد السل ايزونيكو تينك في منع عوارض التسمم.

● افاد طبيبان من شيكاغو في تقرير رفعاه الى الجمعية الطبية الاميركية بان الـ ا. س. ت. ه هرمون الغدة النخامية قد انقذ حياة المرضى المهددين باخطار غالباً مميتة عند حدوث ارتباكات بعد عملية كبرى .

وتحدث هذه الارتباكات بنتيجة التهاب العمود المعروف باسم الغشاء الكاذب المعوي الداخلي ومن خاصياته ارتفاع الحرارة وزيادة الخلايا الدموية البيضاء والنوم العميق ، والآلام المعوية الشديدة ولم يعرف حتى الآن السبب الحقيقي لهذه الحالة. وندرة وقوعها تجعل تشخيصها صعباً ولهذا السبب لم يوفق الاطباء حتى الان في علاجها .

ومع ذلك فقد افاد الطبيبان المذكوران بان ثلاثة مرضى كانت حالتهم في غاية الخطورة قد شفوا مباشرة شفاء تاماً عجيباً عقب تعاطيهم الـ ا. س. ت. ه

● اعلنت جامعة مينيسوتا نبأ كشف علمي خطير الشأن يفتح افاقاً جديدة في طب الجراحة ويفتح ابواب الامل امام الالوف من مرضى القلب ، الذين يهددهم الموت اذا لم يعمل مبضع الجراح في قلوبهم .

يتلخص هذا الكشف الجديد في استخدام قلب شخص سليم في تزويد جسم المريض بالدم وعوامل الحياة بينما يجري الجراح جراحته الخطيرة على القلب المريض وهو متوقف عن العمل تماماً في حين ان جسمه يواصل وظائفه الحيوية ، مستمداً الدم من قلب الشخص السليم. وهذه الطريقة الجديدة تسمح للجراح بان يرى كل صغيرة و كبيرة في القلب المريض وتمكنه من توجيه مبضعه اينما اراد.

وقال رجال الجامعة ان الاطباء اجروا ثلاث عمليات ناجحة لثلاثة اشخاص بواسطة هذه الطريقة بيد ان احد المرضى اصيب بالتهاب رئوي ومات بعد ١١ يوماً من الجراحة اما الاخران فهما يقضيان فترة الاستجمام .

ويقول الاطباء ان الطريقة الجديدة ستمكن المئات من الاطفال الذين يولدون وقلوبهم عليلة من الحياة حياة عادية بدلا من ان يموتـوا او يعيشوا عجزة مهددين .

وملخص الطريقة الجديدة ان يستلقي المريض على طاولة والسليم على طاولة اخرى وبواسطـة انبوبتين من البلاستيك يتم توصيل القلب السليم بجسم المريض عن طريق مضخة تعمل آلياً وبذلك تتم تنقية الدم ، ويحتفظ جسم المريض بعوامـــل الحياة فضلاً عن ان رئتي الشخص السليم تؤديان

عمل رئتي المريض اثناء الجراحة ومع ان قلب المريض يظل في هذه الحالة ينبض نبضاً عادياًفانه لا يبذل اي مجهود ويصبح كاي عضواً آخر يتغذى بالدم فحسب ولا يزود الجسم به .

● يزداد الاقبال على استخدام منتجات الطاقة الذرية في الطب ومن الامثلةعلى ذلك زيادة استعمال الفوسفور والارسنيك المشعين لمساعدة الجراحين على تحديد مكان الخراجات الدماغية .

فان هاتين المادتين المشعتين تميلان الى التركز حول بعض الخراجات الدماغية لدرجة اكبر من تركزها حول الانسجة الدماغية السليمة.فترقان قبل العملية في جسم المريض وسرعان ما تذهبان الى الخراج وتبدآن بارسال اشعاعات تكشف للجراح عن موقع الخراج وحجمه . ويستطيع الطبيب اثناء العملية ان يضع مجساًفي انسجة الدماغ يوصل بعداد فتبدأ الانسجة المصابة بامتصاص المواد الاشعاعية فيساعد ذلك الجراح على اكتشاف اجزاء من الخراج يعجز عن تمييزها بوضوح بدون هذه الواسطة .

● عند التأكد من صحة الاكتشافات الحديثة التي اعلن عنها في اجتماع عقدته مؤخراً الجمعية الكيماوية الاميركية يصبح من الممكن اصلاح الاسنان التلفة واعادتها الى حالتها الاصلية . فقد كشف طبيبان هما الدكتور البرتسويل ومارتين بورغر من احد مشافي بروكلين بانه سيصبح من الممكن ان تحشى التجاويف في المستقبل بمواد تتيح نمو الكلسيوم وكريستال الفوسفات في التجاويف بشكل لا يفرقها عن الاسنان الحقيقية.

ويعتقد القائمان بالابحاث بانهما قد صنعا في انبوبة التجارب المواد الكيماوية التي تتكون منها الاسنان .

● اعلن مختبر ارغون الوطني التابع للجنة الطاقة الذرية الاميركية انه صنع جهازاً صغيراً لاشعة اكس يمكن نقله باليد . ويقول العلماء ان هذا الجهاز الذي يشتغل بتفاعل المواد الاشعاعية سيكون ذا فائدة عظيمة في المناطق المنعزلة .

● نجح الطبيب الايراني كيغوباوكافوسي في اكتشاف طريقة جديدة لمعالجة الامراض النسائية المتعددة وبصورة خاصة العقر النسائي .

فقد سافر الدكتور كافوسي الى الولايات المتحدة للتخصص بالامراض النسائية فاشتغل في عدة مستشفيات وكان دائماً بارزاً في ميدان عمله .

وقد اقامت طريقته الجديدة ثورة في ميدان معالجة الامراض النسائية واصبحت الان تطبق في جميع الولايات المتحدة وفي فرنسا والمانيا.وقد منحته الحكومة الفرنسية وسام استحقاق الشرف.

● انتجت احدى الشركات الاميركية وحدة مدمجة تركب بصنبور الماء وتقتل الجراثيم خلال ثوان قليلة وذلك بتعريض الماء الجاري الى مصباح قوته ٤ واط قاتل للجراثيم يرسل اشعة فوق البنفسجية .

● جاء في تقرير اصدره فرع العلوم الزراعية التابع لمكتب المعلومات الطبية والصيدلانية بوشنطن انه اصبح بالامكان شفاء الابقار التي تصاب بمرض التسمم الدموي او الحيلولة دون حدوثه . وذلك بزرقها بتليغرامين لكل رطل انكليزي من وزنها إما في العضل او في الشرايين ، بمادة التراماسين وذلك بعد اجراء التجارب الناجحة العديدة التي اجريت في هذا السبيل.

● استنبطت جامعة ويسكونسن بامريكا مادة كيماوية جديدة تعرف عادة باسم « ام اتش » وهي تمنع البصل من التفريخ في اثناء تخزينه اذا رش بها . وقد استعملت مادة «ام اتش» بنجاح في حفظ البطاطا بحالة جيدة حين تخزنها وهذه المادة الكيماوية هي عبارة عن مسحوق،ويستعمل بمعدل ٢ كيلو غرام لكل ١٠٠—١٥٠ جالون من الماء لكل فدان مزروع بصلاً قبل جنيه باسبوعين

● سيتيسر للمزارع خلال مدة تتراوح ما بين ثلاث سنوات وستة اعوام ، صنف جديد من الذرة الصفراء الحلوة المستعملة في تغذية البشر ، تساوي حلاوتها اربعة اضعاف حلاوة اي صنف آخر عرف حتى الان ، وسيكون اكلها شهياً ونكهتها دائمة . وقد استنبطها البروفسور جون لوغنان ، العالم النباتي بجامعة ايلينوي . ويقول البروفسور لوغنان ان شدة حلاوة هذا الصنف قد نتجت عن ادخال (جين) يبطىء في عملية النبات في تحويل السكر الى نشاء وان حبوب هذا الصنف الشديد الحلاوة اكثر ضخامة من الاصناف المعروفة الاخرى ، الا انها ما عدا ذلك لا تختلف عنها في مظهرها قطعاً . ويقول البروفسور لوغنان ان ادخال هذا العامل في الاصناف الحالية هو الان قيد التوليد والزراعة ولن تتيسر كميات وافرة للمزارعين الا بعد انقضاء فترة تتراوح ما بين ثلاث سنوات وست .

● اصدرت وزارة الزراعة الامريكية تقريراً جاء فيه انه قد جرى تقدم محسوس في استئصال شأفة الحراشيف التي تعتدي على الفاكهة والثمار اللوزية بكاليفورنيا . ويستعمل التبخير بغاز — الهيدروسيانيك — في خيام لا ينفذ منها الغاز لقتل الحراشيف المذكورة . وهذه الحرشفة ، وهي حشرة تفضل التطفل على اللوز ، والدراق ، والخوخ ، والقراصيا ، والاجاص ، لا توجد الا في كاليفورنيا ،ولكنها اذا ما قيض لها الانتشار فانها ستفر ضرراً فادحاً بفاكهة الولايات المتحدة وثمار الفصيلة اللوزية ، وغيرهما من الاقطار الاخرى. وتعتدي هذه الحراشيف على الاشجار ولكنها توقع افدح الخسائر بالفواكه والثمار .

● يقول علماء نظارة الداخلية في الولايات المتحدة ان تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة بطريقة تجارية رخيصة سيتحقق بالمستقبل القريب. ويؤكد هؤلاء العلماء انه عندما يعلن تحقيق هذا المشروع نهائياً يزداد الامل بامكانية رفع مستوى المعيشة وتحسين الاقتصاديات في مختلف المناطق العالمية.

● اعلن مؤتمر السلامة القومية الاميركي ان شركات النسيج والمواد الكيماوية الاميركية قد تمت صنع منسوجات قطنية قابلة للغسيل وغير قابلة للالتهاب اخذت تستعمل على مقياس متزايد .ولا يمكن للمنسوجات الجديدة ان تلتهب حتى ولو تعرضت لحرارة قد تبلغ ٤٥٠٠ درجة فارنهايت.

وتستعمل المنسوجات لصنع ملابس الوقاية القطنية لعمال مصانع الفولاذ وفي صنع الفراء والستائر وغيرها من الاشياء التي تسبب الحريق عادة في المنازل والاماكن العامة .

● وقعت منظمة التغذية والزراعة مع الحكومة المصرية اتفاقاً يهدف لمكافحة دودة اوراق القطن (اللطع) وقد اوقعت هذه الدودة خسائر فادحة خلال السنوات الماضية بمحصولات القطن المصري ويقضي الاتفاق بان تقدم منظمة التغذية والزراعة زمالتين مجانيتين لتتمكن مصر من دراسة وسائل المكافحة في الاقطار الاخرى بغية تطبيق افضل هذه الوسائل في مصر ، كما ستقدم المنظمة زمالة مجانية ثالثة لدراسة مكافحة ذبابة الفاكهة .

● تسبب الجنادب اضراراً بالزراعة الاميركية تقدر بمبلغ ٥،٥٠٠،٠٠٠ دولار سنوياًويجرب علماء جامعة كاليفورنيا طريقة جديدة مبتكرة للقضاء على تلك الجنادب ، فلقد كانت الجنادب اكبر خطر يهدد محاصيل الشمندر والبندورة والفاصوليا والبطيخ الاصفر في الغرب الاميركي. كما ان تكاليف مكافحتها بالكيماويات مستحيلة تقريباً نسبة لغلائها ولذلك اندفع العلماء للتفتيش عن عدو طبيعي لاستئصال هذه الجنادب الضارة .

وبعد ابحاث استغرقت حوالى السنتين اتضح

لعلماء جامعة كاليفورنيا والخبراء وزارة الزراعة الاميركية ان الحل الافضل لمعالجة مشكلة الجنادب هو الزنابير التي تعيش في بلدان حوض المتوسط فاستوردوا من اسبانيا ومراكش وطرابلس الغرب اربعة انواع منها وربوها في مختبر للتجارب تابع لجامعة كاليفورنيا في وافيس وقد اطلقوا في العام الماضي ١٧٥,٠٠٠ زنبور من نتاج هذه الزنابير في حقول الشمندر بكاليفورنيا .

ويعتبر العلماء ان هذه الطريقة قد ادت الى نجاح الا ان هنالك عائقاً واحداً يثير قلقهم وهو احتمال عدم اعتياد هذه الزنابير العيش في بعض المناطق القاحلة في الغرب الاميركي .

● اذاع راديو موسكو بياناً يؤخذ منه ان الحكومة تعتزم ايفاد بعثة علمية الى القطب الشمالي (المنطقة المتوسطة) لاجراء ابحاث علمية على جانب كبير من الاهمية . وكان العلماء الروس قد اكتشفوا جبالا تحت البحر عالية تصل الى علو ٧,٥٠٠ الى ٩,٠٠٠ قدم تعبر الاوقيانيوس المتجمد الشمالي من جزر سيبيريا الى غرلندا. وجاء من واشنطن ان الحكومة الاميركية طلبت الى الكونغرس الاميركي تخويلها حق ارسال بعثة الى القطب الجنوبي في ديسمبر القادم والغرض من ايفاد البعثة الجديدة الى القطب الجنوبي البحث عن المعادن

● صرح الدكتور بها بها رئيس لجنة ابحاث الطاقة الذرية الهندية ان اللجنة تفكر في انشاء محطة للاشعة الاثيرية في وادي كشمير حيث يطوف منطقة سيرينا غار في زيارة رسمية لانتقاء مقر هذه المحطة التي ستشرف على ادارة اعمالها وابحاثها لجنة الطاقة الذرية الهندية .

● ان حجم الذرات هو من الدقة لدرجة قد تقتضي ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ منها لتغطية رأس دبوس ومع ذلك فكل ذرة تكون نظاماً شمسياً مصغراً او تتكون من نواة مركزية تشبه الشمس يدور حولها عدد من الالكترونات شبه بافلاك النظام الشمسي .

وقوة الذرة التي تطورها الولايات المتحدة وعدد آخر من الدول في العالم للاستعمالات السلمية الصناعية ، موجودة في النواة . وعند انفلاق النواة تنطلق قوتها .

ومع ذلك فان النواة صغيرة الى حد انها لا تزيد على جزء من مليون مليون من حجم الذرة الكاملة . والنواة بالنسبة للذرة تشبه في الحجم تفاحة وضعت في قلب فرنسا .

● تقيم لجنة الطاقة الذرية الاميركية معرضاً في وشنطن بمساعدة نظارة الزراعة لعرض نماذج من امكانيات استخدام الذرة لتحسين التربة والنبات والمساعدة على زيادة المواد الغذائية .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية اعداد برنامج واسع لزيادة استخدام الذرة في الميدان الزراعي .

وقد صرح السيد لويس ستروس رئيس لجنة الطاقة الذرية ان التجارب الذرية في النبات والمواد الغذائية هي من اهم مراحل استخدام الذرة في المنافع السلمية .

● تسافر الى الولايات المتحدة الاميركية بعثة من علماء المانيا الغربية لدراسة نتائج الاختبارات الذرية بعد ان حظيت بموافقة السلطات الاميركية والغربية في اميركا .

● صرح البروفسور ياسوهي نيسيواكي الاستاذ بالقسم الطبي التابع لجامعة اوسكا اليابانية بانه اجرى تجربة على ثلاثين من خيول السباق المستوردة من استراليا فوجدها مصابة بالاشعاع الذري .

ويذكر ان هذه الخيول وصلت على ظهر ناقلة يابانية قبل انها مرت على مسيرة ٨٥٠ ميلا الى الجنوب الغربي من جزيرة بيكني التي اجرت فيها السلطات الاميركية تجربة القنبلة الهيدروجينية

● يقول البروفسور سيسار موريتا من جامعة طوكيو بان الصيادين اليابانيين الثلاثة والعشرين



الذين اصيبوا بالاشعاع الذري اثناء تجربة القنبلة الهيدروجينية في اول مارس الماضي في جزيرة بيكيني قد بدأوا يشعرون بمرض في السلسلة الفقرية وفي النخاع الشوكي .

وقد اكد بان الصيادين قد اصيبوا بمرض يصيب النخاع والاعضاء التي تنتج الدم فيه ، هذا المرض الذي اكتشفه اسرليش عام ١٨٨٨

وقال البروفسور موريتا ، وهو متخصص في امراض الدم ، بان التصريحات التي ادلى بها سفير الولايات المتحدة السيد جون اليسون والقائلة بان الصيادين الذين اصيبوا بالاشعاع الذري لا تدعو حالتهم الى القلق ، هي تصريحات تدعو الى التفاؤل، ولكنها لا ترتكز الى اي اساس .

ومن جهة اخرى يقـــول الدكتور ميتسيو يامانوتو من جامعة اوكاياما ، بان الكحول هي خير علاج للامراض الذرية ، وكان هذا الطبيب قد تحقق بانه من الممكن اطالة عمر الفـــيران المصابة بالاشعاع الذري وذلك بحقنها بالكحول المختلفة الاجناس .

● اعلن البروفسور نيشيواكي الاستاذ بجامعة اوزاكا ان لجنة المعارف بالبرلمان الياباني ذكرت ان بعض السكان في جزر الهند الشرقية يموتون الان من جراء مرض خفي ناتج دون شك عن النشاط الذري الذي يخيم به جو المنطقة .

● اعلنت مؤسسة الابحاث الذرية في جامعة تورين انها ستجري اختبارات على الثلج الذي تساقط لاول مرة على شمال ايطاليا منذ ١٨٣٨ لتعرف اذا كان يحتوي على اشعاعات ذرية سببت هذه الظاهرة الطبيعية النادرة .

وجاء من سانتياغو ـ شيلي ان صحيفة سايجلو قالت ان شيلي بدأت تقاسي من الاثار الاولى للقنبلة الهيدروجينية التي فجرتها الولايات المتحدة في جنوب المحيط الهادي .

وتضيف الجريدة ذاكرة ان جهازاً للتسجيل في احد المستشفيات المحلية قد سجـــل زيادة في الاشعاعات الذرية في الهواء عقب الانفجار .

● وضع ثلاثة من العلماء الامريكيين في جامعة الدولة بلويزيانا طريقة جديدة «للنقش الالكتروني» وهي تتلخص في استخدام اصل مستخدم فيه حبر من نوع جديد ذي اشعاع ذري . وعندما يوضع الاصل على ورقة للتصوير تنقش الرسوم على هذه الورقة بمجرد اللمس .

● لعل احدث تقدم علمي في استخدام الطاقة الذرية للشؤون السلمية هو تسيير القاطرات بالطاقة الذرية ، ولقد وضع عالم الطبيعيات الامريكي الدكتور لابل بورست تصميماً لقاطرة من هذا النوع تستهلك في سنة خدمة ١١ ليبرة (٥,٩٥ غرام) من الاورانيـــوم بينما تزيد قوتها اربعة اضعاف على احدث قاطرة ديزل .

ويقول مصمم القاطرة التي تبلغ قوتها ٧٠٠ الف حصان بانها ستكون اسرع من اية قاطرة كهربائية معروفة وتحصل على قوتها بواسطة البخار الناتج عن الحرارة المتولدة من كمية ضئيلة من كومة ذرية او من فرن ذري فيحرك البخار المولدات الكهربائية وهذه بدورها تسير المحركات الكهربائية

● صنعت المواد والادوات الكيماوية المتخذة من البترول والغاز الطبيعي لاول مرة سنة ١٩١٩ ولكنها اليوم تشمل ربع الانتاج الكيماوي في امريكا بأسرها . ويجد الخبراء مئات التطبيقات في لائحة منتجات صناعية واستهلاكية كبيرة . ويقول العلماء ان امكانيات استصناع البترول ما زالت غزيرة . وهناك اكثر من نصف مليون مادة كيماوية اضافياً هي برسم التركيب من المادة نفسها اذا دعت الحاجة اليها .

وتشتمل الكيماويات البترولية في صنع الياف الاورفلون والداينل والاكريلان التي شاع استعمالها في الاقمشة . والملابس المصنوعة من هذه الخيوط تلتزم اشكالها وتنشف بسرعة وتقاوم نور الشمس والندى ولا تتمدد ولا تتقلص . اضف الى ذلك ان الكيماويات هذه تستخـــدم لتعزيز مقاومة المطاط الاصطناعي للزيت والشحم ولجعل المعجنات اقسى واكثر مقاومة للحرارة . وتستعمل ايضاً في مكيفات التربة وفي عمليات جعل الانسجة اقسى او امرن حسب الحاجة ولاطـــالة عمر الدهان والملصقات .

● عرض في مطار بوسطن مؤخراً جهاز رادار جديد للطقس الرديء يستعمل في المطارات الصغيرة . وقد صمم لاستعماله في الابراج او كوحدة متنقلة ولا يتطلب لادارته سوى عامل واحد . وهو يحتوي على جهاز لسبر الاجواء يخترق العواصف وينقل موقع الطائرة الى دليل ، ومنه يرسل العامل ارشاداته الى قائد الطائرة بواسطة الراديو . وبالامكان تحويل هذه الوحدة من مدرج الى اخر في حالة وقوع تغير في اتجاه الريح في اقل من نصف الساعة .

● يزداد اقبال الصناعة الامريكية على انتاج بودرة الحديد المستخرجة كيماوياً من المعدن الحديدي الخام .

وقد شاع استعمال هذه البودرة حتى اليوم في رفع حرارة اللهب عند تقطيع الصلب . ويزداد استعماله اليوم في انتاج قطع الالات المعدنية الدقيقة خصوصاً في صناعة السيارات .

وتصنع هذه القطع بكبس البودرة الحديدية ضمن قوالب عرضت لضغط هائل ثم حميت لصهر ذرات الحديد في كتلة نوية موحدة . والقطع المصنوعة على هذا الشكل معدة للاستعمال المباشر دون برادة او صقل .

● شهد العلماء الذين يحضرون المؤتمر السنوي لاكاديمية العلوم الوطنية بوشنطن تجربـــة لبطارية جديدة تحول الاشعاعات الشمسية الى قوة كهربائية .

فقد اعلنت شركة بيل تلفون ابتكار هذه البطارية وقالت انها الخطوة العملية الاولى نحو تحويل قوة الشمس بطريقة مباشرة الى كهرباء على نطاق تجاري .

وعلى كل فان البطارية الجديدة ليست جاهزة للاستخدام العام حتى الان بالنظر لنفقاتها الكبيرة وبعض المشكلات الهندسية .

وهذا الجهاز الجديد مصنوع من خيوط مادة سيلكون التي تتأثر لدرجة كبيرة بالنور . ويقول مخترعو البطارية الجديدة ان هذا الاكتشاف الكبير يمكنه ان يحول نحو ٦ بالمئة من قوة نور الشمس الى كهرباء . ويمكن ان يزداد هذا المعدل في المستقبل الى ١٠ بالمئة .

● بدأ العمل في فرن شمسي يقال انه اكبر فرن في الولايات المتحدة وهو بادارة شركة طائرات فولتي ، والمعلوم ان حرارة هذه الوحدة الهائلة التي تستطيع ان تذوب مزلاجاً فولاذياً بظرف بضع ثوان ستساعد في التحريات العلمية حول المواد المعدنية والخزفية . وتتألف هذه الآلة من مرآة مصنوعة من الالومنيوم قطرها عشرة اقدام تعكس اشعة الشمس الى نقطة مركزة واحدة حيث تثبت المواد المطلوب امتحانها في ملزمة معدنية . والجدير بالذكر ان هذا الفرن الشمسي يستطيع ان يولد حرارة تبلـــغ ٨٥٠٠ درجة فارنهايت .

● انتج مكتب المعادن الامريكي نوعاً من البنزين الجيد الصنع المستخرج بعملية هيدروجينية وذلك في احد مصانع العرض .

وتبلغ تكاليف انتاج هذا البنزين بعد ان تباع المنتوجات الكيماوية الاخرى الناتجة عن صناعته بين ٨ الى ١٠ سنت للجالون .



١ ـ شمس الغروب

لمحمد سعيد الجنيدي – ٩٤ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الرواد بدمشق

في العامين الماضيين أصدر الاديب الاردني الشاب محمد سعيد الجنيدي ثلاثة كتب، اولها (همسات الخريف) وهي مجموعة شعرية صغيرة، والثاني (الاشقياء) وهو مجموعة من صور البؤس في المجتمع الشرقي ، على غرار (المعذبون في الارض ـ لطه حسين) ؛ والثالث (شمس الغروب) وهو الكتاب الذي نتناوله الآن بالحديث الخاطف ، ويقع في ٩٤ صفحة من القطع الصغير ، وقد نشرته دار « الرواد » الدمشقية منذ مدة قريبة .

وليس هذا الكتيب قصة ولا هو رواية بالمعنى الفني للرواية والقصة ؛ فالفن الروائي فيه لا وجود له ، على الرغم من ان فصوله الثلاثة عشر تسرد قصة فتى بائس خرج من القرية الاردنية البدائية جداً في حياتها ، وضرب في المدينة يتلقى العلم اولاً ، ثم يعمل في « مدينة الذهب الاسود » بعد ذلك . ولكن هذه الحياة الصغيرة ـ حياة القرية الاردنية ، وحياة الفتى البائس ـ جاءت باسلوب مليء بالخيالات والاحلام والتأملات المتطبة العابسة ، التي لم تشرق الا لحظات ضئيلة في حياة الفتى ، حين يجد ـ عن طريق الصدفة ـ رفيقة تشاركه في جلساته وتأملاته وتفهّمه لمعنى الجمال .

وقد انسجمت الاوصاف في الكتاب كله مع ما تتميز به حياة الفتى ومجتمعه الصغير من مظاهر العبوس والبؤس،فجاءت كلها قاتمة متطبة ؛ حتى اوصاف الشمس كانت كلها تبعث على الانقباض والوحشة الحزينة .

وفتى الرواية الى جانب بؤسه وعبوس حياته ـ او لعله بسبب بؤسه وعبوس حياته ـ ناقم متمرد ؛ يود لو يبدل من حياة الناس غير ما هي لان الظلمة والرطوبة والحرمان والارغفة الجافة التي عاش عليها هو وامثاله من العمال وابناء القرويين التعساء ، يجب ان تتحول الى مثل ما في دنيا السعداء من نور ودفء ورفاهية وجمال، لان الحياة لم توجد ليحياها اناس ويموتها آخرون ، وانما ليحياها جميع الناس بشكل يليق بكرامة انسانيتهم :

« هذه النفوس المتفتحة للحياة ، وهذا الوعي الذي يصرخ في وجه الظلام والظلم « وهذه الكتل المتآلفه التي تطلب الحرية ، تملأ القرى والمدن . ولا شك في ان الشمس ستطلع على الدنيا من جديد ، وستحمل معها نور الحرية ، وضوء الايمان بالحياة . وسيحبو نور الشمس فوق السفوح الخضراء ، ويعانق اشجار البلوط والصنوبر . ولكن هذه الشمس ستطلع على قوم يغمر نفوسهم المتوثبة الايمان بحرية الانسان، والكفر بالجشع والعبودية والسخرة . وستكون خيوط النور اشد صفاء واجمل بهاء . تلك هي نبوءة الفلاح ، رفيق الارض ؛ ان الشمس الجديدة السعيدة ستطلع على ابنائه من الجيل الجديد السعيد القوي ، وهم الذين سيغيرون نظام الحياة واتجاه الشمس » . ص ٢٢و٢٣

إن القرية الاردنية لا تزال موضوعاً بكراً الى اليوم ، لم يشق بدائيتها الروحية والفكرية والاجتماعية اي قلم بمعالجة صريحة قبل هذا الكتاب . وليست حياة القرية الاردنية الا حياة الرجل البدائي ، والمرأة البدائية ، شريكي الحيوان في العمل ونوع الحياة ـ حياة الجهل والخشونة والقذارة والحفاء الدائم . والقصة العربية قد عالجت اوضاعاً كثيرة في المجتمع العربي ، بعيدة عن الاردن وقريته وقروييه ؛ وعالجت اكثر ماعالجت الى اليوم شؤون الحب المترف ، والعواطف المراهقة ، وبيوت الدعارة وبيئات الراقصات والفنانين ، ولكنها لم تصل بعد الى الكهوف المظلمة التي يعيش فيها القروي الاردني بين ابنائه وبهائمه على مستوى واحد من الخشونة والقذارة والبدائية . وسبب ذلك ان الاديب الاردني لم يبرز امكانياته القصصية بعد، اوهو يخجل من الحديث والكتابة في مثل هذا المستوى المنخفض.

وكتاب (شمس الغروب) هو ـ فيما اعرف ـ اول معالجة صريحة جريئة تتوغل في حياة القرية الاردنية، فتصورها صورتها الواقعية الصحيحة ، التي تقذي العيون والنفوس ، لعل رغبة الاصلاح في هذه البيئة البعيدة جداً عن مجتمع القرن العشرين، تجد طريقها الى قلوب من يهمهم الاصلاح وترقية المجتمع الاردني.

والى جانب القرية الاردنية وبدائيتها ، يعالج المؤلف شؤون العمال الكادحين والطبقات المحرومة في المدينة ، فيصور واقعهم المؤلم ، ونضالهم الجاهد لاجل لقمة العيش ، تصويراً لا يخلو من اثارة لعوامل الالم والثورة في النفوس الحساسة التي تدرك واجبها في الخدمة الاصلاحية .

ومن اجمل ما يقوله المؤلف في كتابه هذا :

« لا يمكن ان يكون لي قيمة ما لم يكن للانسان الذي اعيش معه قيمة ايضاً . ولا قيمة لي ايضاً ما لم يكن لقومي ولوطني قيمة . فشعوري بأن ارفع قيمتي يجب ان يحفزني لارفع قيمة القوم الذين اعيش بينهم كي ارتفع بهم . » ص٤٦ .

وايضاً : « لم أر انساناً بائساً الا قلت : هذا ابي . ولم ار امرأة شقية مخددة اليدين ، معروقة الوجه ، حافية القدمين ، الا قلت : هذه امي . ولم اسمع بانسان قتله مرض السل الا قلت بانه شبيه بابي الذي اخذه هذا المرض القاسي . » ص٤٦ .

وايضاً : « آمنت بأن الانسان يخلق قيمته ولو كان عبداً بلا قيمة . فالصراع ضروري لكي يصون حرية الاحياء، والدم ينفع المستعبدين في تطلعهم الى حياة الانسان في استشراف آفاق ذهبية الاصباح والامساء » ص ٤٧ .

ولعل في هذه الفقرات القليلة التي اخترناها هنا من الكتاب ما يكفي للدلالة على الروح العامة التي وضع المؤلف بها كتابه .

٢ ــ مجرمون طيبون

لمهدي عيسى الصقر – مجموعة قصص – ١٢٠ صفحة – حجم صغير
منشورات اسرة الفن المعاصر ببغداد

وهذه مجموعة اقاصيص للاديب العراقي مهدي عيسى الصقر من اعضاء اسرة الفن المعاصر في بغداد . والكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلة منشورات هذه الاسرة الصغيرة النشيطة ، وقد سبقه الى الظهور مجموعة شعرية للشاعر عبد الواحد الصبيحي بعنوان (شاطىء الابد) ، ومطولة شعرية للشاعر المعروف بدر شاكر السياب بعنوان (حفار القبور) .

وتحتوي مجموعة الاديب مهدي الصقر على تسع اقاصيص ، يجمع بينها انها كلها من صور البؤساء وهي صور متنوعة الاشكال والمظاهر ، وابطالها الاشقياء تغلب عليهم الطيبة وسلامة القلب حتى لو ان المؤلف جعل عنوان كتابه (اشقياء طيبون) لكانت هذه التسمية جامعة للاقاصيص كلها . اما العنوان الذي اختاره هو للمجموعة (مجرمون طيبون) فهو عنوان احدى الاقاصيص التي في المجموعة . ولست ادري الدافع الذي دفعه الى اختيار عنوانها للمجموعة كلها مع انها اضعف اقصوصة في المجموعة تقريباً . وتدور هذه القصة على ثلاثة من العمال تجمعهم خيمة واحدة ، احدهم عامل اطفاء له ماض في الدعارة ومطاردة النساء، والثاني سائق سبق ان قتل ببندقيته سبعة رجال في حوادث قبلية — وعامل ثالث ذو ماض في اللصوصية والسطو . ومع ذلك «فقد كانوا ، رغم اجرامهم الذي لا يسنده العلم ، اناساً طيبين .. طيبين جداً .. »

اما الاقاصيص الاخرى فمنها ما يدور على حياة الملاهي ، او حياة العمال والطبقات الفقيرة الكادحة . وهي تتفاوت قوة وضعفاً ؛ فبعضها قوي في حبكته وموضوعه ، وبعضها ينتهي نهايات مؤثرة وبعضها ضعيف في حبكته اوخاتمته . فقصة (علبة الثقاب) مثلاً ، تترك القارىء في حيرة من خاتمتها ؟ وقصة (القطيع القلق) هي تشخيص قوي لحياة العمال الخشنة جداً ، في بعض مظاهرها المؤلمة . اما (عواء الكلاب) فاقوى تأثيراً من سابقتيها ، في سائر مواقفها التي تروي قصة الفقراء المحرومين من كل لذة في الحياة ، وبهيمية المترفين الغارقين في الفواحش الى آذانهم ، وهم يقرفون من اتصال كلابهم بكلبات الفلاحين .

وابلغ من هذه في شدة التعبير عن شقاء الفقراء وحرمانهم قصة (مواطن جديد) التي تروي « مأساة » ولادة طفل جديد في كوخ محروم حتى من النفط القليل لانارة السراج عند ولادته .

وهكذا تمضي الاقاصيص كلها ، اقاصيص الشقاء والفاقة والكدح البائس من جهة ، والترف والفواحش والفجور من جهة اخرى ؛ فتستدر العطف والدموع على اصحاب النصيب الاول وتستثير النقمة والثورة على الآخرين .

اما اجمل الاقاصيص واروعها واعمقها تأثيراً في المجموعة كلها سواء من الناحية الفنية القصصية ، او من حيث الرسالة الاجتماعية التي ترمي اليها ، فهي (بكاء الاطفال) ، وهي قصة رجل كان له علاقات جنسية طويلة بأحدى النساء، ثم هجرها وتزوج وانصرف بكليته الى زوجته وبيته ومسؤولياته العائلية . حتى كان ذات يوم وكان مسافراً مع زوجته وطفله بالقطار ، فاذا فتاته القديمة تظهر له هناك رفيقة في السفر ، وإذا تأثيرها القديم يكاد يطغى عليه فيكاد ينزلق الى صلته بها مرة اخرى ، لولا ان اخذ ابنه يبكي بشدة ، وسمع زوجته تقول له : (الا تحمل ابنك ؟ .)

فعاد الى صوابه . « وكان بكاء الطفل ذلك اليوم لحناً سماوياً ، انقذه من السقوط في الهاوية ، وصده عن حياة الاثم والخطيئة . »

وفي المجموعة ثلاث اقاصيص ضعيفة لا تترك في نفس القارىء اي اثر ، وهي هندال – بجرمون طيبون – علبة الثقاب – واقوى منها قليلاً (الضباب) . اما الاقاصيص الخمس الباقية فكنّ جميعاً على حظ كبير من القوة والبراعة والتأثير، وبعضهن كان ذا تأثير بالغ في ما صوره من الحرمان والشقاء في المجتمع العراقي ؛ وهي صور لها مثيلات عديدة في كل مجتمع عربي ، وجميعها تستثير النفوس الى تغيير الواقع المجرم الذي يضعف من قيمة المجتمع العربي في اعين اهله انفسهم ، وفي اعـين الغرباء اكثر من ذلك .

عمان — عيسى الناعوري

كفاح وحب

لأبو القاسم محمد كرو – شعر منثور – ٩٤ صفحة – منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها ببيروت

الاديب التونسي الحر أبو القاسم محمد كرو من نوابغ ادباء الشباب الناضجين الذين نعتز بآثارهم اعتزازنا بسيرتهم ، وقد جعلوا من سلوكهم ومن إنتاجهم كائناً واحداً نابضاً بالحياة الشريفة .

عرفنا الاستاذ كرّو اول من أرخ للشابي في كتاب، واذا كان اختيار المرء قطعة من عقله – كما يقال – فهو باختياره الترجمة لعبقرية الشابي قد اثبت مناحي ذهنيته هو ، لان الشابي لا يمثل الالمعية الفنية فحسب ، بل القومية النبيلة والانسانية العالية ايضاً فكان الاستاذ كرو بمثابة حواري له ، وجاء كتابه عنه جامعاً بين الاناقة التي اشتهر بها الادب التونسي منـذ ايام ابن رشيق صاحب (العمدة) وبين نضوج الاديب المتـذوق ، والشاعر المتجاوب ، والمعلم الذي يعرف كيف يختار ويعرض ويشرح ويؤثر خير تأثير .

وها نحن نجده في كتابه الممتع (كفاح وحب) الشاعر الناثر الموهوب والانساني الحر الغيور ، والاجتماعي المصلح .

قلنا « الشاعر الناثر الموهوب » لما تضمنه كتابه هذا بل ديوانه من تعابير عاطفية اصيلة جاءت عفو الخاطر ومن نبع القلب مترقرقة متسلسلة ، في اوزان متعددة ليست من اوزان الخليل ولكنها في تسلسلها السمح ذات موسيقى عذبة جذابة .

وقلنا « الانساني الحر الغيور » فجميع شعره يتسم بهذه المزايا ويفيض عنها . وقلنا « الاجتماعي المصلح » لان هذا الطابع الخاص بارز في شعره .

وكثيراً ما قرأنا نماذج من الشعر المنثور على اختلاف موحياته والوانه في لغتنا العربية ومن اقدمه ما جاد بـه المنفلوطي والريحاني ، ولكننا لا نذكر منه ما كان احب الينا واوقع في نفسنا من هذا الشعر النثري الجميل الذي اتحفنا به ابو القاسم محمد كرو . ومن النقاد من يطيق الثرثرة في النظم الخيالي بل ويستملحها ، ومن باب اولى في النثر الشعري الذي من ذلك القبيل ، ولسنا نحن من تلك الفئة ، ولهذا نرتضي الشعر المنثور الذي نفحنا به الاستاذ كرو فجاء متصلاً في اناقة وبعيداً عن الثرثرة بعده عن التكلف والعنجهية ، وهـذا ملحوظ من اول صفحة في الديوان – صفحة الاهداء الشعري الجميل .

يقول المؤلف في تصديره البليغ : « لست اريد ان اقول شيئاً في تقديم هذه المجموعة فهي تقدم نفسها بنفسها الى القارىء بل انه سيتولى تقديمها الى ذهنه وشعوره ، وسوف يحكم لها او عليها حكماً يتوقف – قبل كل شيء – على ذوقه ثم ضميره . اما عقله فيأتي لا متأخراً عنها بل مرافقاً لهما . وعندئذ اكون مطمئناً الى حكمه راضياً به ، إن خيراً وإن شراً. على اني اريد ان اضيء الطريق امامه من الآن فاعلن له ان هذه المجموعة لم تكتب في ظروف واحدة وازمنة متقاربة ، ولم تفرضها شهوة الكتابة على القلم فرضاً ، لا .. ولا دفعني الى نشرها حب الظهور والشهرة . وانما هي طور من حياتي وصور عشت بعضها وشاهدت بعضاً آخر منها واحترقت ببعض ثالث ، اما الرابع فقد خلقته خلقاً . وليس في هذا ما يضير ما دام قد انتزع من الواقـع الكائن ، او الذي يمكن ان يكون حقيقة في واقع الحياة او في واقع الشعور . فان احس القارىء هذه التجارب وتفاعل معها فذاك ما اقصده وارمي اليه ، وان انتهى كمثل ما بدأ فسيغفر لي او اغفر له » .

وفي الديوان سبع عشرة قصيدة من هـذا الشعر النثري المطبوع منوعة العناوين موحدة الروح ؛ وكلها متينة الديباجة بليغة الاداء نبيلة الغاية مؤثرة بعاطفتها وفلسفتها وانسانيتهـا . ومن الصعب الاختيار من بينها للتدليل على براعة المؤلف الفنية ولا نتحدث جزافاً اذا قلنا انه ذو مستوى رفيع فيها جميعاً، ولكننا نميل بطبعنا الى مثل قصيدته الاجتماعية الانسانية الرائعة

« مات الشقاء » التي استهل بها الديوان ، والى قصيدته الوطنية الحارة « لا تجزعي ! » ، ومذهبه مزيج من الرومانسية والواقعية .

وشاعرنا طويل النفس حينما يشاء او بالاحرى حينما تزجيه الدوافع الشعرية ، ونجده يقلب ببراعة موضوعه الشعري على وجوه شتى كما في قصيدته « نجوى الليل » او في قصيدته « إبليس » كما نجده الحالم المتصوف كما في قصيدته « احضان الابد » . واذا كانت في الديوان تجاريب مسبوق اليها — وعلى الأخص في مجال الحب — وتعابير مألوفة ، فهي مع ذلك لها في الغالب طابع شخصي ، عظم ام ضؤل ، وهي شائقة وممتعة .

وبعد ، فهذا مثال من اسلوب الاستاذ كرو الشعري في وصف الصورة القاتمة لليل ، او في وصف بعضهـــا ، نذكره ونكتفي به للتدليل ، من حيث لا يتسع المجال للاقتباس الطويل قال : — « ايها الليل ! ايتها الحياة الصامتة والكون الرهيب ! في جوك الأخرس تلاشت اسرار العصور وتضاربت مطامع الاجيال . وتحت اديم سمائك القاتم انفجرت الزوابع وثارت الاعاصير . وفوق ارضك المستوحشة تحجر قلب البشرية وانتحرت الانسانية في ضمير الوجود ، وفي دياجيك وقعت الفضيلة في ايدي الشياطين فبعثوا بها للجحيم ؛ وقبض الغاصبون على الحرية فارتشفوا دمها بجنون ، والتهموا لحمها بشراهة ففرت روحها الى السموات اما الشرف فعهدي به تائهاً ، ولا ادري اين هو ، ولا كيف يعيش ! »

ولكننا نسمع صوت المستمعين المضمر يابى علينا هـــذا الاكتفاء بعد تذوقهم جمال هذا الشعر ، فلنتم اذن بقية هذا النجوى :

« ايها الليل ! ما انت ؟ وما تكنّ في قلبك من اسرار ؟ وما فيك من غموض ؟ أأنت إلـه ترهبك الكائنات ، ويخشع لك من في الوجود ، وتسجد لعظمتك العوالم ، ويقف الكون امام جبروتك خاشعاً ؟ عند ظهورك تخرس الحيـــاة ويختفي الضجيج ، ولقهرك تستسلم الدنيا في رعب ووجوم . ام انت انفاس الجحيم تتعاقب على الارض باستمرار فتختفي الحياة خوف لهيبك وتخرس الكائنات خشية غضبك ويركع الجميع رهبة من عذابك ورغبة في رحمتك ؟ أم انت زفرات الدهر تملأ الدنيا حينا بعد حين تضجراً من ابناء الارض واشمئزازاً من مآتيهم وسخطا على افعالهم ؟ ايها الليل ! ايها الجبار الخالد والهول الكبير ! انت لست شيئا من ذلك ولا بعضاً منه . انما انت خيـــال الشعراء وتأملات الفلاسفة وانفعالات الكاتبين . انت نور لمن اظلمت امام عينيه في النهار الحياة ! تنفثك الطبيعة في المساء وتسترجعك في الصباح . في ظلامك اجد انس نفسي وراحة ضميري . وفي دياجيك اناجي خيالي واداعب احلامي . وفي سحرك ارى آمالي ماثلة كالجبال قوة والبحار عظمة ! فابتسم للسعـــادة وتبتسم لي ويعانقني الفوز واحتضن النجاح ، ثم تودعني باسما بفجرك الوديع ضاحكا بصبحك المشرق لتعود الى غب الأصيل ، فتغمرني بهيبتك وسكونك ، واهيم بخيالي في اثيرك حبا لك وشوقا اليك ! »

*

تحدثنا قبلاً عن كرو المؤرخ الادبي والناقد الحصيف والكاتب وسرّنا اننا تمكنا من اداء بعض الواجب نحو ألمعيته ونحو نهضة الادب التونسي المعاصر ، ولعلنا بهذا الحديث وفقنا الى التعريف بشاعريته الناضرة .

نيويورك — **احمد زكي ابو شادي**

١ — ليلى العفيفة

لعادل الغضبان — ١٧٦ صفحة — سلسلة اقرأ رقم ١٣٥ — منشورات دار المعارف بمصر

من منا لا تهزه اسمهان وهي تنشد قصيدة :

ليت للبراق عيناً فترى ما اقاسي من بلاء وعناء ؟

واني اذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد قال لي ذات يوم في يافا وقت ان استضاف محطة الشرق الادنى ، انه لا يطرب كثيراً لاصوات المغنيات .. لكنه لا يتردد بالتنازل عن فراغه كله للاستماع الى اسمهان وهي تنشد : ليت للبراق عيناً !.

وجاءت قصة « ليلى العفيفة » للاستاذ عادل الغضبان لتحيي هذه القصة العربية العريقة ، وهي ترفل في حلة قشيبة عطرة . اما القصة بحد ذاتها فلا تحتاج الى تعريف مطول غير ان الكاتب قد نسقها ، ونغاها ووضعها ضمن الاطارات الروائية العصرية ، فاجاد في ذلك كل الاجادة .

فابطال القصة هم : ليلى العفيفة ، وابن عمها البراق ، وابوها لكيز وعمها روحان ، وخالتها ام الاغر والامير عمرو بن ذي صهبان ابن ملك اليمن ، وخاطب يدها الغادر برد بن طريح الايادي وغيرهم .

فليلى بنت لكيز على جانب عظيم من الجمال والذكاء والعفة . احبت ابن عمها البراق فارس بني ربيعة ، فطلب يدهـا برد بن طريح الايادي وردّ طلبه ، ثم طلب يدها الامير عمرو اليمني فقبل ابوها طلبه ، ونزلت الفتاة على رغبة ابيها بالرغم من تعلقها الشديد بالبراق ، وبينما كان القوم يحملونها الى الامير اليمني هاجمهم

برد الايادي واختطف الفتاة تشفياً منها، وحملها الى الامير بلاش ابن ملك فارس ، وهو يعمل في خدمته ، واهانها برد الغادر ، وضربها ضرباً مبرحاً الى ان انشدت تلك القصيدة الشهيرة : ليت للبراق عيناً .. وكانت هذه القصيدة سبباً في اثارة الجزيرة العربية الجاهلية على فارس ، وهب البراق الى نجدة ابن عمه ، وانقذها ، بعد ان ابلى في المعارك بلاء حسناً ، وتم له قتل برد في مبارزة شريفة .

وعاد البراق مع حبيبته ليلى الى قبيلتها ، وعاشا معاً عيشة مسيحية رضية والدليل على ذلك قول المؤلف « وكانت تختلف هي وابن عمها البراق الى الراهب النصراني المقيم باحد اطراف البادية فيأخذان عنه قواعد الدين الجديد ، ويتعلمان منه تلاوة الانجيل » .. ويستدل على ذلك ايضاً من قول ليلى : « لست من عبدة النار ولا من اتباع الكواكب والنجوم لاكون تحت سلطانها وفي متناول نعمتها او نقمتها .. ولست كذلك من عبدة الاوثان والاصنام فالله هداني الى دينه القويم على يد راهب نصراني هو مثال للفضيلة والخلق الكريم . فدين المسيح بن مريم دين السمو والسلام ودين المجوس دين الرباء والفحشاء » .

ولقد توفق الاستاذ الغضبان في تصوير الحياة العربية لذلك العصر تصويراً دقيقاً وكأنه عاشه واختبره ، ففي المآكل يذكر البوبك والبسيسة والسخينة ، والثريد .. وفي الالبسة يتحدث عن الحبرة ، والمرط ، والبردة والدملج . وفي النبات يذكر الشيح ، والقيصوم ، والعرار ، والاقحوان . وفي العادات يتحدث عن اساطير اختلاج العين ، والاحتفاظ بموطىء الارض ومخاطبة البئر ، ونعيق الغراب ، وشجر الخلاف ، ورؤية الكلب الابتر ، وشراب السلوان .. وفي الوصف يأتي بالصور الجميلة الهادئة التي تأسر القلب وتسحره .

وفي القصة عبارات توجيهية لها مغزاها كقوله : وما لنا نحن وامير اليمن ، لئن ظن انه يشترينا بالدر والذهب لقد خاب فألاً ، فالبراق في اعيننا وانفسنا خير من الف امير لا نمت اليه بسبب من اسباب القربى والمحبة » .

و « .. فلا معدى لها عن طاعة ابيها واعداد نفسها لاستقبال حياتها الجديدة وفية مطيعة لزوجها العتيد ، واهبة اياه كل ما تملك من بواعث اسعاده وان كانت لا تملك انتهبه قلبها الجريح »

و « .. ماذا علينا من حرج ، اليس الآباء احراراً في اختيار صهارهم ، اليس من عادات العرب ان يشاوروا بناتهم اذا ما تقدم ألهن الخطاب ؟ . » .

و « .. فانها على وفائها للدولة الفارسية كان صوت الدم العربي يهيب بها الى استنكار الظلم المحيق بليلى » .

هذا وقد كتبت بلغة شعرية مشوقة ، لا نغالي ان قلنا انها تتضمن بعثاً . فالكلمات فيها مختارة ، تعبق منها رائحة الصحراء والعروبة الاصيلة . والحبكة الروائية لا غبار عليها بتاتاً ، ولم يدر بخلدنا ان للاستاذ الغضبان مثل هذه المقدرة في فن الرواية .

اما المآخذ الفنية فيسيرة جداً ، وثانوية لدرجة ما ، كقوله ان البراق بارز احد عشر فارساً مدججين بالسلاح !. او وصفه صدر ليلى ، بنت الصحراء المحرقة ، كأنه قطعة من العاج !.

« ليلى العفيفة » من ابدع قصص الموسم ، وفيها تخليد لاروع قصة من قصص الحب والبطولات العربية .

٢ ـ فلسفة الثورة

للبكباشي جمال عبد الناصر – ٨٠ صفحة – الحلقة الثالثة من « اخترنا لك » – منشورات دار المعارف بمصر

للقارىء حين يقع نظره على عنوان الكتاب انه سيجد بين دفتيه بحثاً فلسفياً معقد الجوانب ، لكنه حين يطالعه يتضح له ان الكتاب هو مجموعة خواطر في السياسة المصرية ، ومستقبلها .

غير ان المؤلف يستعرض آراء لها بعض المساس بالفلسفة الاجتماعية . فالمعروف عن الثورة الفرنسية مثلا انها اطاحت بالنظام الملكي الاقطاعي واقامت بدلاً منه نظاماً « بورجوازيا » . اما الثورة المصرية فقد الغت الملكية ويبدو انها توقفت عند هذه المهمة . وهذا ما يجعل المرء يفكر في معنى كلمة « ثورة » من ناحيتها الفلسفية .. ثم ان الثورة الفرنسية وقعت من « اسفل » بينما الثورة المصرية وقعت من « فوق » . وتلك مهد لها الشعب الفرنسي بحركات شعبية عديدة ، وهذه احيط بها الشعب المصري علماً بعد وقوعها بفترة غير قصيرة .. وهذا ما يحمل المرء ايضاً على التفكير بمعنى « الثورة » تاريخياً وفلسفياً .

والثورة المصرية ، ثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ ، تقتضي حقاً دراسة فلسفية بالرغم من قيام رجال الجيش بها ، فالثورة الانكليزية قادها العسكري كرومويل ، والثورة الامريكية قادها العسكري واشنطن .. اي ان الثورة المصرية ليست انقلاباً عسكرياً عابراً كانقلاب الشيشكلي ، وانما لها اسس ومقومات ، لكنها لا تزال حتى هذه الساعة عرضة للتجارب ،

ويلوح لنا ان المصريين لم يقتنعوا بعد باهداف الثورة الاجتماعية البعيدة ، لكنهم مقتنعون بان النكوص عنها لا يتم بالتفاهم الودي كما حدث في سوريا .

يقول المؤلف : « كنت اتصور دورنا على انه دور طليعة الفدائيين ، وكنت اظن ان دورنا هذا لا يستغرق اكثر من بضع ساعات ، ويأتي بعدنا الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ، بل لقد كان الخيال يشط بي احياناً فيخيل الي اني اسمع صليل الصفوف المتراصة ، واسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم الى الهدف الكبير . ثم فاجأني الواقع بعد ٢٣ يوليو .. وطال الانتظار ! . »

ويستخلص من هذا القول ان الثورة المصرية ليست حاسمة ، ولا تزال عرضة للمحن والتجارب ، وان الاصطراع السياسي في مصر سيطول قبل الشروع بالاصلاح الاجتماعي .

وعلينا ان نقف عند نقطة هامة تحدث عنها البكباشي جمال عبد الناصر وهي قوله : « ليس صحيحاً ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين » .. والواقع ان كل ما حدث في البلاد العربية من تغييرات سياسية : كتقويض العروش ، وتبديل الملوك ، واقامة دكتاتوريات عسكرية ، وفرض الاحكام العرفية هنا وهناك . هي نتائج مباشرة لكارثة فلسطين ، وليس من سياسي في البلاد العربية اليوم لا يضع امام ناظريه « الوتد » الاسرائيلي ، في اية قضية لها مساس بمستقبل بلاده .

والمؤلف نفسه يقول : « كنت اتجول في الجبهة الفلسطينية بين اطلال البيوت والتقي ببعض اطفال اللاجئين الذين سقطوا بين براثن الحصار في الفالوجة ، واذكر بينهم طفلة صغيرة كانت في مثل عمر ابنتي ، وقد خرجت الى الخطر مندفعة امام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش او خرقة قماش .. وكنت دائماً اقول لنفسي : قد يحدث هذا لابنتي ايضاً ؟ . »

فالكارثة الفلسطينية هي التي هزت مصر والعالم العربي ، وهي التي نبهت الناس الى ضرورة استئصال الفساد قبل فوات الاوان !.

ويفترض المؤلف ان لمصر دور البطولة في مستقبل الشرق الادنى . و « نحن وحدنا بحكم المكان نستطيع القيام به » . ولكن أليس من الافضل ان تكون هذه البطولة مشتركة ؟ ..

كتاب « فلسفة الثورة » ممتع حقاً ، وهو يتضمن خواطر حرية بالدرس والمناقشة .

نجاتي صدقي

ظهر حديثاً

- ابو الشوارب – مجموعة قصص – لمحمود تيمور – ١٩٠ صفحة منشورات دار المعارف بمصر .
- مذاهب الادب – لمحمد عبد المنعم خفاجي – ٢٨٨ صفحة – حجم كبير – منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .
- محاكمة مصدق – ٨٠ صفحة – دار منشورات البصري ببغداد
- ابشع جريمة في التاريخ – لحسان الكاشي – ٣٠ صفحة – مطبعة اسعد ببغداد .
- الروم الملكيون في الاسلام – الجزء الاول – لحبيب زيات – ٨٨ صفحة حجم كبير – المطبعة البولسية بحريصا لبنان .
- الانسان ذلك المجهول – تأليف الكسيس كاريل ترجمة شفيق اسعد فريد – ٣٧٦ صفحة منشورات مكتبة المعارف في بيروت .
- حقائق تاريخية عن القضية البارزانية – لمحمد الريفكاني – ٤٢ صفحة – شركة الطبع والنشر الاهلية ببغداد .
- الاناشيد الموصلية للمدارس العربية – نشرها وعلق حواشيها محمد سعيد الجليلي – ٥٦ صفحة – مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل .
- المزيفون – مسرحية مصرية في ستة فصول – نسختان بالفصحى والعامية – لمحمود تيمور – ٢٨٠ صفحة – منشورات مكتبة الآداب بالقاهرة .
- دار المعارف بمصر قائمة مطبوعاتها الثقافية لسنة ١٩٥٤ – ١٥٢ صفحة – وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها عنوان الدار بالقاهرة شارع مسبيرو رقم ٥ وفي بيروت صندوق بريد ٢٦٧٦ .

كما ترسل الدار ايضاً قائمة خاصة بالكتب التي صدرت في سلسلة اقرأ تقع في ٦٤ صفحة ، وقائمة مطبوعاتها لمطالعات الاطفال والناشئة وهي في ٣٠ صفحة .

مؤتمر الدراسات العربية الرابع

في الجامعة الاميركية في بيروت

•

انعقد المؤتمر في الاسبوع الاخير من ابريل ١٩٥٤، وكان باشراف هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية. وقد نظم المؤتمر ورئسه هذا العام الدكتور نقولا زيادة، مدير الدراسات العربية بالنيابة.

والمحاضرون اربعة ممن عرفوا لا بطول الباع في الدرس والتنقيب فحسب، ولكن بأنهم في طليعة العاملين في حقولهم الخاصة. فمخائيل نعيمة، الذي تحدث عن ماهية الادب ومهمته: اديب عرفه قراء العربية منذ اربعين سنة او يزيد يطالعهم بالجيد من الفكر والاختبارات الروحية. ومحمود تيمور تلقف القصة وهي طفلة تحبو، فرافقها حتى بلغت اشدها على يديه وقد تحدث عن القصة في الادب العربي. وابراهيم العريض شاعر قرأه اصدقاء «الاديب» مع غيرهم من آلاف القراء، وعرفوا له مكانته، وكان موضوعه الشعر العربي الحديث وقضيته؛ والدكتور جبرائيل جبور، رئيس دائرة الادب العربي في الجامعة، مارس النقد استاذاً وكاتباً سنوات عدة، فلم يكن غريباً عنه التحدث عن النقد الادبي.

وقد تعرضت كل محاضرة لمناقشة طويلة، اثيرت فيها مشاكل وقضايا عدة. وكان للاساتذة اسحق موسى الحسيني وفؤاد صروف وكمال اليازجي وانيس فريحة وخليل حاوي ومنح خوري وانطون كرم فضل في اثارة القضايا وترتيب مناقشتها.

وننشر فيما يلي خلاصات وافية للمحاضرات. ويجدر بنا ان نضيف هنا بضع ملاحظات نتجت عن المناقشات، لعلها تفيد القراء.

— كانت لهجة المحاضرين عامة، سواء في محاضراتهم او في مناقشاتهم، لهجة الامل القوي والتفاؤل في مستقبل الادب العربي.

— لم يغفل هؤلاء عن الصعوبات التي تعترض حياة الادب والادباء، لكنهم لم يعتبروها مما يقضي بالفشل او يؤدي اليه. فاللغة العربية بحاجة الى معالجة لتصبح سلسلة سهلة القياد.

— كان ثمة اتفاق على ان للادب رسالة. لكن هذه الرسالة ليست للتوجيه او للتوجه. وانما هي رسالة تحيط بغايات الحياة والنفس البشرية، ولعل اسمى غاياتها الحرية بكل ما فيها من معنى.

ماهية الادب ومهمته

لميخائيل نعيمة

✳

التعبير عن النفس هو الحاجة الاولى والأهم في الحياة. فالأكوان بكل ما فيها من منظور وغير منظور ليست سوى تعبير الحياة عن ذاتها لذاتها. ولولاها لكانت الحياة عدماً لا يحس ولا يُحس، ولا يَعرف ولا يُعرف. والتعبير عن النفس ليس حاجة في الانسان وحده، بل في كل ذرّة وجسد من الذرات والاجساد التي منها يتألف الكون.

ولأن الانسان يحارب على جبهات عدة في آن معاً فقد جعل لكل جبهة سجلاً يدون فيه انتصاراته وانكساراته، والعقبات التي ما تزال قائمة في وجهه. فالعلم سجل، وكذلك الدين والفلسفة والفنون على انواعها، والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ الخ، الخ. وهذه كلها بمثابة جداول وانهار تجري الى محيط، ولكنها ليست المحيط، اما المحيط الذي تلتقي فيه فالادب.

وهذا المحيط حدوده حدود الطاقة البشرية التي ترفده. ولأن الطاقة البشرية على التفكير والتمييز والخلق واقتحام المجهول لا حدود لها، فالادب لا حدود له. لذلك اتورع عن تعريفه وتحديده، الا أن احجامي عن تعريفه لا يمنعني من التحدث عنه. مثلما لا يمنعني جهلي لكنه الحياة من أن احياها وان اتحدث عنها ليل نهار.

هكذا يتناول الادب الدين والفلسفة والعلم والتاريخ وكل جهد من الجهود البشرية من غير ان يحصر كل همه في واحد منها، ويتناولها باسلوب يثير فكر القارىء وخياله ووجدانه وارادته ويكشف له نفسه. وقد يوقظ فيه قوى ما كان يعرف انها هاجعة في اعماقه.

ولو انجيشاً من رجال الدين وعلماء النفس واساتذة الاجتماع وأساطين القانون تجمعوا معاً لما استطاعوا ان يؤلفوا لنا «الاخوان كرمازوف». ففي رواية دوستويفسكي تتكشف لنا دنيا شاسعة من الافكار والاحاسيس والاعمال والآمال البشرية في ادق تفاصيلها والوانها ومعانيها. وليس غير الادب يستطيع ان يتناول الانسان في كل حالاته التي لا تقع تحت حصر.

واذن فمهمة الادب هي التعبير عن الانسان وكل حاجاته وحالاته تعبيراً جميلاً، صادقاً من شأنه ان يساعد الانسان على تفهم نفسه وتفهم الغاية من وجوده، وان يمهد له الطريق الى غايته. واذن فللأدب رسالة سامية، وكل من انكر على الادب رسالته كان مارقاً من الادب.

وانه لمن الخير للادب ان تتعدد أساليبه فيختار كل أديب

الاسلوب الذي يوائم ذوقه وطبيعته وميوله. وفي تعدد الاساليب وكثرة الانتاج دليل على حيوية الادب ومرونته ورحابة صدره.

من الادباء من لا يبصر من الانسان الا بطنه ، ولذلك يحاول ان يقصر مهمة الادب على التحدث عن جوع الانسان الى الرغيف . ومنهم من لا يرى فيه غير ظهره . فيحاول ان يحصر همّ الادب في التحدث عن العاطفة الجنسية . ومنهم من يريد ان يحصر مهمة الادب في الانسان من حيث هو وحدة اقتصادية او سياسية او اجتماعية او دينية في جهاز هائل هو الدولة او الوطن او الدين .

ولكن ما من حاجة او حالة بعينها تستطيع ان تستوعب كل طاقة الادب التي هي الطاقة الانسانية .

الا ان الكثير من الادباء ينحرف بالأدب عن غايته السامية فهو عندهم لتسلية القارىء وصرفه عن نفسه ، او لكسب المال والشهرة ، او للبهرجة اللغوية ، بدلاً من ان يكون ولادة وعبادة فالأديب يجب ان يولد ولادة جديدة في كل مايكتب.

وولادته يجب ان تكون عبادة للحياة التي تمشي به من الجهل الى المعرفة ومن العبودية الى الحرية . ومتى نظر الاديب الى ادبه تلك النظرة الجديدة فلا فرق الى اي ناحية من نواحي الحياة يوجه ادبه ، على ان لا يضيق صدره بالذين يوجهون ادبهم الى نواح اخرى . فالمهم ان يخلص الاديب لأدبه ولنفسه ولقارئه، وان تتوهج كلماته حماسة لموضوعه وايماناً بحقه. وانه لمن الخير للأدب ان تتعدد وظائفه ومناهجه كما تتعدد وظائف القائمين بتشييد بناء من الحجر والطين ، وإلا اصيب بشيء من ضيق الصدر والنفس كما هي الحال في دنيا العرب حيث لم يبلغ الادب بعد اشده.

والادب العربي لن يبلغ اشده حتى تتوافر له امور ثلاثة : لغة سلسلة القياد . وأمة لا تعاني مركب النقص . وحرية الكلمة.

القصص في ادب العرب

محمود تيمور

✳

تواطأ نقاد الادب على ان القصة العربية الحديثة انما هي وليدة مراحل متعاقبة في خلال القرن الماضي من الترجمة فالمحاكاة فالابتداع .

انبثق فجر النهضة يوالينا باضواء القصص الغربي في مترجمات فرحبنا به الترحيب كله ، واقبلنا عليه نطعم منه ، ثم حاولناه تقليداً ومحاكاة ، حتى استقام لنا فيه طابع مستقل بعض الاستقلال يجوز لنا ان نسميه لوناً من الابداع . ما سر هذه الحظوة التي لقيها القصص الغربي في بيئتنا .

ان الامة العربية امة قصصية بالطبع . واكاد ازعم ان الامة العربية لا ينافسها غيرها فيما صاغت من قوالب للتعبير عن القص والاشعار به ، فنحن الذين قلنا من غابر الدهر : « قال الراوي » و « يحكى ان » و « زعموا » و « كان ما كان .. »

وهنالك ذلك الميراث الحاشد الممدود على مدار التاريخ من قصص واحاديث ، ومن محاورات واسماء ، ومن خرافات واساطير يتجلى فيها وجه المجتمع العربي ، وتتوضح فيها سماته، وتختلج فيها روحه وحيويته . واتيح لشيء يسير من هذا الميراث ان يجتمع في كتاب فكان « الف ليلة وليلة » مفخرة الادب الشرقي . ان فن القصة في الادب العربي واضح في كل عصر ، تحتويه كتب الثقافة العربية ، وهو يتمثل بهذه القصص التي نسميها « الاخبار » .

ان مؤرخي الادب ونقاده لا يذكرون ذلك التراث القصصي الا لمحاً ، فقد عكفوا على النثر الفني يدرسونه وينقدونه واهملوا القصص ، وانه لأصدق تمثيلا لمشاعر الامة العربية ، وادل على كيانها الاجتماعي ، من كثير من امثلة البيان المستوفي لخصائص النثر الفني ورسومه .

ومنذ استهلال القرن التاسع عشر اقبلت الامة العربية على ادبنا القديم الموروث تتزود به وتجدد ما درس منه ، واتصلت بدنيا الحضارة تستقي منها الوان الثقافات ، تعلما ، وتلقيناً ، وترجمة . وكان للقصص من هذه النهضة اوفى نصيب .

فمن المثقفين من عنوا بترجمة الاقاصيص الاجنبية او الاقتباس منها على انحاء مختلفة . ومن الادباء من حاولوا ان يبعثوا فن « المقامات » في طراز يقرب من الروح العصري ، ومنهم من زاولوا القصص في مظهر يتدانى من روح « الف ليلة » ومنهم زمرة عالجت القصة في صياغتها الفنية ، تلك الصياغة التي انتهى اليها العالم المتحضر في ادبه الحي على اختلاف مذاهبه ومنازعه.

تتميز القصة في الادب العربي بخاصة واضحة كل الوضوح . هي خاصة الروح العربي الساري ، والطابع الشرقي الغالب ، ذلك الروح المتأصل في اعماق النفس ، والطابع الموروث منذ ابعد عصور التاريخ .. هو « القضاء والقدر » عن سلطانه يجري ما يجري في الكون من تصاريف واحداث . واظهر ما يتجلى هذا في القصص الشعبي ، وفي قصص العامة على وجه الاجمال ، ونشهد في الروايات المسرحية والسينمائية من ذلك امثلة واضحة.

وهنالك ظاهرة تستبين في كثير من قصصنا الحديثة هي ظاهرة الاتجاه الى تطبيق عقيدة « القصاص » على نطاق واسع ، تلك العقيدة التي تستمد من الديانات ينبوعها العميق .

وثمة خصلة في قصتنا العربية تلك هي ان كثيراً من الكتاب يؤثرون من القصة ان تنطوي على الموعظة الحسنة ، والعبرة النافعة . وثمة خدعة تدسست الى بعض جوانب ادبنا القصصي الحديث من سوء فهمنا لرسالة القصة ، فقد تناقل النقاد ان القصة رسالتها تهذيب الاخلاق وتربية النفوس ، والتبصير بالمثل العليا في الحياة . فانساق فريق من كتاب القصة وراء هذه الرسالة يحاولون ان يخرجوا قصصهم تتغنى بالفضائل وتنعى الشرور والآثام . واذا كان لهذا القصص شأن عند من يبتغون ظاهراً نصرة العدل والحق والخير ، فهو عند الادباء الفنانين قصص غير فني .

والقصص الفني هو الذي لا يقتصر على الجانب الواعي من حياتنا اليومية ، واللون البادي من مجتمعنا الظاهر . بل يتغلغل فيما وراء الوعي ، وينفذ الى باطن الحياة والمجتمع حتى تتجلى له الطوايا التي هي مرجع الحفز والتوجيه .

وفي كثير من اعمالنا القصصية جنوح الى الاغراق والمبالغة والتهويل . نحن نلزم المرء صفة واحدة لا تنفك عنه ، ولا يملك عنها الفكاك . واكذب ما يكذب به القاص على شخصياته ان يلزم كلا منها وصفاً ثابتاً لا تعدوه ، فليست وحدة الانسان حقاً في الحياة .. فلا يكون المرء خيراً محضاً ، ولا شراً محضاً فهو يستجيب للمؤثرات والملابسات .

ولقد تناول القصص العربي الحديث عاطفة الحب . ولكنه دار بها ، في الغالب ، في مضطرب ضيق محدود ، جعل منها فناً ضحضاحاً . فالطابع النفسي لهذا اللون من القصص مابرح خاضعاً لمؤثرات في حياة الشرق ، واوضاع في مجتمعه الخاص ، يبدو فيها الحب مضطرماً ، فواراً ، يعبر عما في حياة الشرق من كبت وحرمان اساسه الحياء الغالب ، والحجاب المضروب بين الرجل والمرأة .. لا اعني حجاب الوجه فقد اصبح هذا اثراً بعد عين. وانما اعني ذلك الحجاب الكثيف الذي يسدله المجتمع الشرقي على العلاقات بين الرجال والنساء .

ومن كتابنا القصصيين من ارادوا ان يعالجوا مشكلات الحياة الاجتماعية في صورها المألوفة واوقاتها الراهنة ، محاولين بها الترغيب والترهيب ، لا يسبرون بها اغوار المجتمع البشري ، ولا يتصيدون خفايا النفس الانسانية .

لقد اثبت ادبنا القصصي ، في خلال النصف القرن الماضي ، اننا نتدانى رويداً رويداً من النماذج التي بلغتها الاداب الحية عند مختلف الامم . وقد تمخضت تلك الحقبة الماضية من تاريخنا الحديث عن تمثيل صحيح لهاتين النزعتين — اي احياء الادب العربي القديم ، والاقبال على الادب الغربي والنهل منه — او بمازجة بينهما في ادبنا القصصي .

ولما اليوم فان الرأي الادبي العام ، يفصح عن مولد وعي قوي ، وعن شعور جديد ، يطمح الى ان يكون لنا ادب عربي التعبير ، شرقي الطابع ، انساني المنزع ، تتجلى فيها نفسيتنا الخاصة ، وتجربتنا الشخصية .

لابراهيم العريض

✻

الموضوع ذو ثلاث شعب (١) حقيقة الشعر عند الأمم (٢) هل للشعر قضية تختلف اليوم عن سابق قضاياه (٣) شعرنا العربي الحديث .

لقد ذهبت امم الارض منذ القديم مذاهب شتى في تعرف الشعر وتعريفه حسب ما تأتى لها منه ، فكان اليونانيون اول من قسم الشعر الى انواعه الثلاثة المعروفة لان الشعر كما فهموه كان مظهره عندهم على تلك الصورة ، فسايرهم على التقسيم في الارض قوم وعجز عن مسايرتهم فيه آخرون .

فالادب – ادب اية امة – بغض النظر عن قالبه اوفحواه يفترض مقدماً « انا » و « انت » .. الذات التي تسوق الحديث والذات التي يتوجه اليها الحديث ، فهو على تعدد صوره وتباين مذاهبه انما يحتفل بالعلاقات النفسية التي تقوم بين هاتين الذاتين متخذاً اي موضوع سبباً – لا اكثر ولا اقل – للجمع بينهما على مسرح واحد .

ولكن القضية ليست بهذه البساطة ، فالذات التي هي « انا » ليست ذاتا واحدة ، فهي في حقيقتها شيء ، وهي كما اخالها شيء ثانٍ قد لا يمت الى حقيقتها بصلة ، ثم هي كما اقدرها الظهور بين الناس شيء ثالث لا هذا ولا ذاك ، واخيراً هي كما يراها الناس – كل بعينه – شيء آخر او اشياء قد لا تنبيء عن حقيقتها الاولى ولا الثانية ولا الثالثة . كما ان الذات التي هي « انت » المقابلة لها دائماً .. قد تكون ذاتاً مفردة يوجه اليها حوار خاص ولا يكون عندئذ الحديث الا مهموساً ، او تتعدد الى اكثر من ذات من ثنتين فصاعداً الى ما لا حصر له ، تربط الذات المتكلمة بهم رابطة ود او ولاء او عشرة او زمالة او جوار ، فيتنوع لذلك اسلوب الخطاب في داخل جماعة تختلف سعة وامتداداً من الاسرة الى العشيرة الى القبيلة الى الشعب الى الامة الى الانسانية برمتها ، بحيث يعود ملفوظ كلامها الموجه اليهم صادرا في صوت جهوري تتفتح لسماعه الآذان ، وربما عادت ذات الاديب احياناً هي التي يسارّها الاديب بحديثه المهموس فيكون ذلك منه في ذاته نجوى نفسية خالصة هو هذا الشعر الصامت الذي تطور اليه الشعر عند الرمزيين .

والشاعر اذا تحدث عن شؤونه الخاصة التي تتعرض لها حياته كان مدفوعاً بالعامل الواقعي في كل ما له مساس بالصورة التي يخالها لذاته ، ويكون صدقها في ميزان العاطفة على قدر مطابقتها لواقع الحياة ، اذ تنشأ تحت هذا العامل كل العلاقات النفسية التي تنشأ بين الشاعر وذويه .

ولكن العامل المثالي بالاندماج مع العامل الواقعي هو الذي يحفز الشاعر الى التحدث عن الشؤون العامة وما يتصل بحياة الناس الاجتماعية . لا عن شؤون حياته هو باعتباره عضواً في المجتمع يملأ فراغاً فيه ، في كل ما له مساس بتلك الصورة من ذاته التي يود الظهور بها بين الناس ، ويكون صدقها في ميزان العدالة على قدر مطابقتها لما تواطأ عليه الناس من تقاليد واوهام اذ تنشأ تحت هذا العامل جميع الاساطير التي تأخذ بها الامم .

فلكلا العاملين اذن اثر بعيد في عالم الشعر والفنون ، اذ هما يتآوران العمل معاً على خلق كل اثر فني .

فعلى ضوء هذا وحده نستطيع ان ننزل الشعراء منازلهم . فاقل الشعراء في عبقر حظاً ذاك الذي تحفزه واقعيته وتستبد به وتضم هذه الطبقة معظم الشعراء الغنائيين ، واوفر من الشاعر الغنائي نصيباً الذي يعتوره العاملان من الواقعية والمثالية معاً على اختلاف عند هؤلاء في الرجحان بين العاملين ، فهم اقل رهطاً من الغنائيين ولكن اسمى مقاماً ، و اكمل الشعراء حظاً وحظوة من ان تسيطر عليه النزعة المثالية صرفاً في اجرد حالاتها ، فما

عرفت منهم الانسانية في تاريخها الطويـل الا افراداً منهم هومير وشكسبير .

واحذركم هنا من ان تظنوا بان ما ترجم من روائع هؤلاء يستطيع ان ينقل اليكم غير نفح من حقيقتها الشعرية في اسعد الحالات ، لان ملابسة الذوات هي مبدئياً عملية خلق عند الشاعر الاصيل كخلق البارىء لها ولا تظهر ارتعاشاتها الترجمة الا تقليداً .

اما الشعر العربي فقد تبلور عندنا كفن اول ما تبلور على غرار الخطابة ، فكان يلقى به في المحافل والاسواق – كسوق عكاظ وغيرها – ليؤدي مثلها خدمة اجتماعية ، وقد كان هـذا لا بد منه بين اقوام نشأوا على الامية فكل اعتمادهم في تأمين الحياة لانفسهم لا يتجاوز آصرة نسب بين القبائل وقوة السلاح وكل اعتمادهم في صحة قضيتهم لا يتعدى عمل الذاكرة ومـا تتناقله السهنتهم من الاخبار ، فاخذ الشعراء عن الخطباء والكهان مهمتهم ودأبوا يرددون ما توجبه على الاسماع في كل مناسبة ومقام لسهولة حفظ الكلام وروايته اذا جاء منظوماً ، فكان عمل الكل في ترجيعه وتكراره لا يختلف عن عمل الصحافة الحزبية في عصرنا الحديث .

فلما اجتمعت بالاسلام كلمة العرب كأمة ساروا تحت راية القرآن يؤدون رسالته الى امم تعيش من طبقاتها في ظلمات ، فآمنت كرها وهي لا تكاد تفقه سر العربية ، وآمنت على نفسها بالطاعة لتظاهرهم في التفقه باللغة والدين .

تجارب تمر خلال العصور بالعرب ولغتهم كالامواج التي تغشى الشاطىء بهديرها من مد الى مـد . وتنحسر – بعد لأي – الامواج ولسان حال البادية يسأل دائماً : هل استحدث العرب جديداً ؟ حتى كان هذا الجديد – بعد – في اخوانيات العصر العباسي ، وفي شعر ابي تمام الذي لقح الشعر بالثقافة الجديدة والبحتري الذي لحن الشعر بالموسيقى وابن الرومي الذي جود الشعر بفن التصوير .

ثم جاء المتنبي فحاول ان يجعل شعره جماع ما مر باللغة من تجارب قديمة وجديدة كان بعضها في اعتبار اهل عصره شوائب وبعضها عندهم حسنات تختلف في تقييمها معهم الان ، ولكن فطرته العربية كانت اغلب ، فكان بالرغم من كل مآخذ الناس عليه من حق وباطل اصدق صوت عربي اخذ من حضاراتهم السائدة بنصيب بعد ان فطمته روح البادية : وما اروع الحكمة اذا اوتيت منطق الفطرة الواعية .

ولم ينجب بعد المتنبي من يطاوله .. حتى جاء المعري فكان فذاً بلغت فيه الفردية ذروتها من ناحية العقل المجرد في انطلاقه التام ، فتحدث ما شاء بفلسفة الوجود والاديان . وخيم بعده الليل على هذا الادب الى امسنا الاول .

وعصرنا اليوم ما شأنه ؟ لقد بدرت بوادر انبعاثه على ايدي شعراء كانت وجهتهم في اواخر القرن الماضي تجديد العهد بالشعر العربي في المع عصوره محاكاة وتقليداً ، وتخليصه من شوائب الصنعه اللفظية التي كانت تعتبر غاية الغايات عند شيوخهم منـذ عصور الانحطاط ، فكان ذلك التفاتاً منهم بعين الحسرة الى الماضي اكثر من استيعابهم الحاضر كما يجب ان يكون ، حتى جاء شوقي وحافظ ومطران فكانوا حتماً رواد الشعر الحديث . بينما نشأت في المهجر في هذه الفترة مدرسة للشعر جديدة تدعمهـا رابطتان قام على رأس الشمالية منها جبران ، اتخذوا من الفنون الغربية دعائم لنهضتهم واقتبسوا من الشعر الغربي نظرتـه الانسانية الخالصة ، وكذلك جدد شعراء المهجر النهج البالي بتجارب في القريض والتقفية كانت بمثابة بشائر لموكب الشعر الحديث .

ولا ننس مدرسة ابولو فقد حملت مشعلاً انتفع به الشباب كثيراً منهم ابو القاسم الشابي الذي جدد الشعر في المغرب باحلام الشباب .

وهذه المدارس نفسها تؤكد ضمناً ما حاول الغرب تغذيتنا به من مختلف الثقافات في هذه الفترة وما قبلها . اذ كان لبنان منذ عهد باكر مرآة الثقافة الفرنسية بأجلى صورة يتتبع تطور

احوالها بعين بصيرة وقلب واع ، بينما بقيت الشام محتفظة بطابع عروبتها تغذيها وتتأثر بها ، ولم يختلف الحال عنها في العراق كثيراً فقد ظل متمسكاً بأهدافه القومية يعلن عنها على ألسن شعرائه لكل مناسبة تجد ، بينما ظلت مصر تناوىء الانكليز في السياسة وتصافحهم في الادب ، حتى نبغ علي محمود طه بثقافته التي تغلب عليها الصبغة الانكليزية ، وكان علماً من الاعلام في الشعر العربي الحديث .

ثم لم يزل اتصال العالم العربي بالغرب يزداد قوة وشعوره بضعفه ينمو حتى بلغ اشده خلال الحرب العالمية الثانية فما تلاها ، فظهرت بوادر الانقلاب الحديث في الشعر باعلان الشباب ثورته على شيوخه الذين اتهمهم في كل ميدان بالتقصير والجمود وفي الشعر خاصة بالاجترار ، وذلك بعد ان وضعت الحرب اوزارها .

فهذه هي الاطوار التي مر بها شعرنا العربي منذ رضي اهل الجاهلية لأنفسهم مهمة الخطابة والظهور بمظهرها في المحافل والاسواق ، وتلك هي قضيته مبسوطة حتى أمس القريب .

اما ما هي قضيته اليوم فيمكن عرضها في ضوء العوامل الآتية :

(١) المؤثرات التي توجهه هذه الوجهة . (٢) الاسماع التي ينظم لها . (٣) الاحوال التي ينظم فيها . (٤) القوالب التي تسبك لصوغه . (٥) الشؤون التي هي موضع اهتمامه ، وقد استعرضتها في المطولة بما تقتضيه من البيان ، ابداعاً في القلة المختارة وتقليداً محضاً في الجمهرة .

واعتقد ان الثورة على قوالب الشعر القديمة اول الامر كان الدافع اليها نفس الاسباب التي جعلت الجاهلي يصيح :

ما ارانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكرورا

ولكن في ظروف غير ظرفه ، وجعلت الاندلسيين ينظمون الموشحات . ولكني اخشى ان تعود صيحة الجاهلي بعد اليوم اكثر انطباقاً على هذا الغث الذي يتعجله بعضهم اليوم فراراً من عمود الشعر القديم .

وخلاصة الخلاصة ان قضية الشعر اليوم ان اختلفت ظاهراً فهي لا تختلف في الباطن عن كل سابق قضاياه ، فهي ليست بقضية جديدة تلم بالشعر لو نظرنا اليها بمنظار عالمي ، واطواره تدل على ان نبوغ العبقري الفذ في امة هو حكم بخصوبة التربة التي أنبتته وبالموت المحتم على خصب هذه التربة في آن ، لأنه يستنفد امكانياتها كلها ، الى ان يتاح خصب للتربة جديد لنبوغ عبقري فذ ثان .

النقد الادبي

للدكتور جبرائيل جبور

*

الله ليكن نور ، فكان نور . ورأى الله النور انه حسن . » هذا فيما نعلم أول حكم صدر عن ناقد ، نرى فيه عملية الخلق وعملية النظر في الاثر الذي ابدع والحكم عليه . ومنذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا . والنقد تابع للابداع .

اما النقد الادبي فهو ناحية من نواحي النقد العامة تقتصر على النظر والتحسس والتذوق والحكم في الادب .

ولقد مر النقد الادبي عند العرب باطوار كثيرة فكان اول امره بدائياً عاماً دارت اكثر مناحيه على اللفظ والمعنى الجزئي في البيت حتى اذا جاء ابن سلام وابن قتيبة خطا النقد خطوة فاشتمل على ومضات من روح النقد ونظرات خاطفة في فلسفة الجمال . واخذ النقد يتطور بتطور الحياة الادبية حتى بلغ عبد القاهر الجرجاني الذي وجه الى وحدة اللفظ والمعنى في العبارة ووجه الجمال في ائتلافها وذكر ان المعاني اسبق من اللفظ . وان سر الجمال هو في ترتيبها في نسق فني خاص . حتى اذا اديل من سطوة العرب انطوى الادب على نفسه وتضاءل النقد الى ان كانت النهضة الاخيرة . وكان احتكاكنا بالغرب . ولعل الذي

ساعد على رقي النقد في الغرب في العصر الاخير اتصال نهضته بادباء اليونان القدماء وفلاسفتهم من ناحية وتقدم علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة من ناحية ثانية وتقدير رجال النهضة للفن بفروعه كلها .

اما موضوع النقد الادبي فهو الادب بفروعه كلها ، ومهمة الناقد الوصول الى طبيعة هذا الادب والولوج الى صميمه وفهم التجربة الادبية وادراك عملية الخلق التي يجلوها الناقد بدوره كأنما يعيد خلقها . ثم ينقل الناقد اثر ذلك للناس في حكم قويم .

ولما كان الادب تعبيراً عن الحياة في عنصريها الرئيسيين : الانسان والطبيعة ، وبما ان احد هذين العنصرين الانسان وهو على غاية ما يكون من التعقيد ، كان الادب حينما يعبر عنه على غاية ما يكون من التعقيد ، لدى النقد والتحليل . ومن هنا اختلف النقاد واختلفت طرقهم ومناهجهم باختلاف امزجتهم وبيئاتهم .

اما غرض النقد فمن علماء النفس من يزعم أنه التمييز بين تجربة ادبية واخرى وتقييمها ، ومنهم من يجعل غرض النقد تهذيبياً لتوجيه الادباء الى طرق الفن الادبي الصحيحة او الى المثل التي يتطلبها المجتمع ، ومنهم من لا يرى للنقد غير رسالة فنية خالصة : هو الادب منعكس على ذاته ، هو استمتاع شخصي انفعالي . والواقع ان غرض النقد هو الاستمتاع الشخصي بهذه التجربة الفنية وتذوقها اولاً ثم تقييم الاثر والحكم عليه .

واستتبعت طبيعة الادب نفسها والحياة التي يعبر عنها واغراض النقد تعدداً في مناهج النقد : فهناك منهج تاريخي يلتفت فيه الناقد الى درس العصر وصاحب الاثر الفني ، ومنهج سيكولوجي يتناول النقد فيه الاثر الادبي على انه تعبير عن النفس ، ومنهج اصولي يتناول الناقد فيه الادب ويعارضه على الاصول والقواعد ، ومنهج ذوقي يعتمد على ما لعلم الجمال من نظم وما للذوق من اثر في فهم هذه النظم ، ومنهج مثالي يقيس الادب بالنسبة الى الرسالة التي يحملها ، ومنهج الاستسلام الى الاثر الادبي نفسه . وان خير منهج هو الذي يجمع اشتاتها . لا ! ليس هناك منهج في النقد انما المنهج هو الناقد وباطلة هي المناهج كلها والاصول .

ان اثر النقد متصل بغرضه ويظهر اولاً بالمتذوق نفسه يكشف له عالماً جديداً ويرقي ذوقه ويرهف احساسه الفني . ومع اني لا انكر اثر النقد في التوجيه الادبي فاني اريد ان اقرر ان الادب يتأثر بالادب اكثر مما يتأثر بالنقد . ومهما يكن من امر فان النقد لا يمكن ان يكون خالياً من الاثر ولكن ان تفرض على الناقد ان يكون نقده توجيهاً محضاً ، افساد لعمل النقد .

وينتظر من الناقد ان يكون متنبه الذهن ، مرناً غير متغرض ، ملماً بالوان الفنون الادبية ، وبآداب امم اخرى ، وبما للنقد من اصول ونظريات يسترشد بها الناقد الحق هو الذي يستطيع ان ينفذ الى صميم الاثر الادبي والى صميم نفس صاحبه لفهم التجربة الادبية وابرازها وتوضيحها . وللناقد شخصية مزدوجة ، فهو مفكر وفنان : الفكر لتطبيق المقاييس ، والذوق لتقدير الجمال . الذوق ؟ واين الاتفاق بشأن الذوق ؟ ولكن برغم هذا فان النقد الادبي قد خطا في الحقبة الاخيرة خطوات كبيرة ، وقد سلك طريقة الى روح الادب والتغلغل في صميمه وساير ركب الفنون الادبية في جميع فروعها . واخذ النقد العربي يساير ركب الادب العام . واذا كان النقاد لا يزالون قلة فانهم اخذوا ينشئون جيلاً جديداً من الشباب له ذوق وادراك — ومن هنا فاني اؤمن بمستقبل النقد العربي على يد الجيل الجديد لاني اؤمن بمستقبل الادب العربي والشباب العربي والحياة العربية .

حول مؤتمر الدراسات العربية

بقلم حسين مروة

١ ـ وجهة الادب العربي

استطعنا ان نستخلص من تتبع مؤتمر الدراسات العربية الرابع ، ان الادب العربي يتمخض اليوم باتجاه قاصد نحو الحياة العربية من جانبيها الوطني والانساني ، وان الوجهة « الذاتية » المحض في ادبنا ، تتوقع خطراً قريباً يأتيها من هذا الاتجاه ، ولعلها تتوقع ان يهددها هذا الخطر بطارىء جديد من الخذلان .

ولكن هذا الذي استخلصناه من مؤتمر الدراسات العربية لم يقله احد من المحاضرين صراحة ، لا في محاضراتهم ولا في مناقشاتهم طوال ايام المؤتمر ، وانما قالوه ضمناً ولعل ذلك كان اقوى دلالة من الصراحة نفسها .

فقد ألح المحاضرون الاربعة بالتحدث عن قضية الالتزام في

الادب ، وقضية التوجيه في الفن ، سياسياً كان الالتزام والتوجيه ام فكرياً ام اجتماعياً ، وقد الحوا كذلك جميعاً ، في تصريح وفي تلميح ، على القول بان الادب والفن لا يخضعان لشيء من الالتزام ولا التوجيه .

وسواء اكان هذا الرأي صحيحاً ام كان غير صحيح ، فان الالحاح الشديد على هذه القضية ذاتها ، في جميع المحاضرات والمناقشات ، لهو ظاهرة ذات دلالة قوية – كما قلنا – على ان ادبنا العربي اليوم في مخاض ، وان هذا المخاض موشك ان يأتينا بأدب جديد يجعل الحياة العربية موضوعه ومصدر وحيه ، بما تدور عليه هذه الحياة العربية ، في مختلف اقطارها ، من مشكلات وقضايا اجتماعية ، ومن وثبات وطنية تحررية ، ومن اشواق ومطامح تتوثب في نفس الانسان العربي وعقله امام الموجة الكونية الشاملة اليوم .

والحاح المحاضرين الافاضل بالتحدث عن قضية الالتزام والتوجيه هذه ، وتأكيدهم اللجوج ان طبيعة الادب والفن تأبى التقييد والتضييق في اطار ما من اطر الالتزام والتوجيه ، يكشفان عن حذر شديد منهم يؤدي هذا المخاض في ادبنا العربي الى تقييده وحبسه في احد الاطر التوجيهية ، فيختنق ، او تصيبه علة او عاهة !.

ولقد رأينا بعض المحاضرين الافاضل هؤلاء ، يبالغ في الحيطة والحذر ، حتى كان اثر هذه المبالغة ظاهراً في طريقة درسهم لهذه الجوانب من ادبنا العربي التي عهد اليهم المؤتمر ان يدرسوها في محاضراتهم ، فاذا هم يفصلون شؤون الادب عن شؤون الحياة العامة ، ثم يدرسون هذه الشؤون ملتصقة بذات الاديب وحده منفصلاً عن مجتمعه .

فقد رأينا الاستاذ ابراهيم العريض مثلاً ، يحاول ان يدرس « الشعر العربي الحديث » فاذاهو يدرس « ذات » الشاعر ، من حيث هو انسان « فرد » ، واذا الشعر العربي عنده ، مجرد صدى لهذه « الذات » القابعة في نفس « الفرد » ، بعيدة عن مجاري الحياة وتياراتها ومتناقضاتها في دنيانا العربية .

وقد كنا نحاول ان نلمح الحياة العربية : مشكلاتها وقضاياها واشواقها ووثباتها – ظلاً من الظلال في توجيه الشعر العربي الحديث او في اتجاهاته الكثيرة ، او في ملامحه المتعددة ، فلم نستطع ان نلمح شيئاً من ذلك في محاضرة الاستاذ الكريم .

بلى ، لقد سمعنا مقارنات عامة لا علاقة لها بشعرنا العربي وسمعنا اسماء اعلام حرص المحاضر أن يعيدها مرات عدة في ثنايا محاضرته بوصفها « مفردات » متناثرة يتيم كل واحد منها حيث القت به « المصادفات » من زوايا الحياة ، لا تصله بغيره الا صلة واحدة هي الشاعرية ليس غير !.

ونحن نستخلص من هذا الاتفاق العجيب عند المحاضرين جميعاً على هذا الالحاح الشديد في قضية الالتزام والتوجيه بالادب ، ان هذه القضية تكاد تكون اكثر من مخاض لم يلد ، بل هي تكاد تكون حقيقة واقعة في ادبنا العربي ، او موجة عارمة تخيف هؤلاء الافاضل الاعلام ، وتثير فيهم هذا الحذر وهذه الحيطة البالغين .

ترى ، هل في قضية الالتزام والتوجيه بالاصل ما يقتضي كل هذا الخوف والحذر والاحتياط ؟ . هذا ما نحاول ان نقول شيئاً في جوابه في الكلمة التالية :

٢ – مع ميخائيل نعيمة ..

اباح لنا الاستاذ ميخائيل نعيمة ، بمحاضراته عن « ماهية الادب ومهمته » ، ان نتحدث عن العدل وعن الحرية ما نشاء ، ثم اكد هذه الاباحة اثناء مناقشة المحاضرة ، ولكنه اوصانا اذ ذاك ، ثم الح بالوصية الحاحاً يبلغ حد الفرض والالزام ، ان لا نذهب بعيداً في طلب العدل والحرية ، لانهما مطلبان بعيدان عن متناول الكائن البشري ، بل هو يرى ان الحرية مطلب لن تناله البشرية الا يوم تخرج من اهابها الانساني !.

وبالرغم من انه اوصانا ، كذلك ، ان لا نضيق صدراً بما يقول ويكتب غيرنا ، وبالرغم من انه بالغ في الايصاء بهذا الى حد الحرج والثورة وضيق الصدر – لسنا نستطيع الا ان « نضيق صدراً » برأيه هذا في العدل والحرية اذا كان لا بد ان يسمى نقاش الرأي « ضيق صدر » !.

لقد نظر الاستاذ نعيمة الى العدل ، والى الحرية ، نظرته « التجريدية » المعروفة ، ورأى الى الحرية – بخاصة – من زاويته التي لا يرى منها القيم الانسانية الا في دنيا « المطلق » .

اما نحن – معشر البشر – فلسنا نطلب عدلاً ، ولا ننشد حرية الا بما اننا بشر ، اي ليس العدل والحرية اللذان نتحدث

عنها ونسعى اليها ونجاهد مع المجاهدين في طلبها ، الا ماينصل منها بحياتنا الانسانية ووجودنا هذا الذي به نكون بشراً ، لا آلهة ، ولا اثيراً ، ولا خرافة ، ولا وهماً ..

ولسنا نشك في ان الاستاذ نعيمة – بما في قلبه من طيبة ونبالة وشرف قصد – لا يجد حرجاً في صدره ان يطلب الناس العدل والحرية لانفسهم في هذا الحيز من انسانيتهم ، وفي هذا المدى من وجودهم البشري .

ولكن نرجو اليه – وهو قائد من قادة الفكر العربي – ان يرحم انسانيتنا وبشريتنا ، فلا يكلفنا ما ليس يدخل في طاقتنا من العروج الى عالم « التجريد » ودنيا « المطلق » ، ثم ان يرحم انسانيتنا وبشريتنا ، فلا يكلفنا ما قد خرج عن طاقتنا ، في عصرنا هذا ، من الرضا بالظلم والقناعة بالعبودية ، لمجرد انه هو يرى العدل والحرية في عالمها التجريدي المطلق ، ولا يراهما في عالمنا الانساني المتحيز المحدود !.

اننا – يا سيدي – في عصر صارت السرعة والقفز والوثب طابعه الحضاري ، فكيف تريدنا ان نحبو الى العدل والحرية حبو الطفل ولا تريدنا ان ننطلق اليهما ركضاً وقفزاً ووثباً ، وان نركب اليهما متن الريح بل نمتطي اليهما غارب الاعصار ، حتى نحقق لعصرنا الحضاري معناه الانساني الصحيح ، الى معناه الآلي فلا يكون الانسان مجرد آلة لتكديس الربح هنا وتكديس الحرمان هناك ؟.

وما نظن استاذنا الكريم ، يرتضي لنفسه ان يكون من دعاة اليأس والاستسلام والهزيمة ، لمجرد انه يرى العدل والحرية لم يتحققا بعد في دنيا الانسان ، وهو نفسه يرى ان طاقة الانسان اكبر واعظم من ان تكون لها حدود ، كما قال حقاً في محاضرته ، فكيف يرتضي لنفسه – اذن – ان يشيع في صدور الجيل هذه الدعوة الى تقصير خطى القافلة الانسانية عن طلب العدل والحرية ؟ .

٣ – مع محمود تيمور ...

بكفينا من محاضرة الاستاذ محمود تيمور عن « القصة العربية الحديثة » التي استمع اليها حشد من المثقفين الادباء العرب وحشد مثله من شبابنا المتعلم ، انه كشف لهؤلاء وهؤلاء عن باطل هذه « الحكاية » القديمة الراسخة في عقولهم جميعاً رسوخ الحقائق الثابتة والمسلمات البدهية ، اعني الحكاية التي تزعم ان الثقافة العربية والادب العربي ، هما في جدب من القصة ، بحيث لا اثر لها فيهما ولا عرق .

هذا جانب خطير من محاضرة الاستاذ تيمور ، ارى من الواجب الفكري والقومي ان تتكاثر الاقلام على جلائه بمثل الطريقة العلمية التي اضطلع بها المحاضر ، ومن هنا اقترح على مؤتمر الدراسات العربية ان لا يستأثر بهذه المحاضرة ، فيختص بها مجلة جامعية لا يقرؤها من مثقفي العربية وجمهرة الشباب العربي سوى قلة يسيرة .

لقد رأينا الاستاذ تيمور يغور الى اعماق هذا « المنجم » الكبير ، منجم الثقافة العربية الذي استوحشت فيه الحياة من طول ما هجره اهله ، ومن طول ما انقطع عنه العاملون ذوو الدأب والجلد والخبرة ، الذين يحتملون شدائد البحث والاستقصاء من غير يأس او ملل او نكوص .

ثم رأيناه وقد خرج من اغوار هذا المنجم ، وهو يحمل الينا افلاذاً كريمة من جذور القصة العربية ، تدل جيلنا الحاضر ان ثقافتنا القديمة ، في جملة عصورها ، انما هي كسائر ثقافات الامم والشعوب في هذا العالم ، تقوم في كيانها الاصيل جذور مديدة للقصة ، تنبثق من اصول النفس العربية في مختلف شعوب الضاد ومختلف اراضيها الواسعة .

فالقصة في عنصرها الانساني وعنصرها اللغوي المنبثق من ذلك العنصر الاول ذاته ، قائمة في ذات كل شعب ، ولا سيما شعباً منحته طبيعة بيئته وطبيعة اوضاعه التاريخية ، حساً مرهفاً ، وارتباطاً بالحياة على نحو يشبه حياة الشخصيات التي تعيش جو « الدراما » من حيث تواتر الاحداث ومفاجئات العيش ومرونة العلائق الاجتماعية ، وقفزات التاريخ ووثباته في مراحل متقاربة ، او متباعدة ، من الزمن .

ويبقى على الذين ينكرون وجود الخلايا الحية للقصة ، في كيان الادب العربي القديم ، ان يتعمقوا حياة هذا الكيان في كل خلاياه وحجيراته وانسجته وشرايينه ، وان لا يكتفوا بالنظر العابر الى الملامح الظاهرة والخطوط العامة البارزة ، لان هذه لا تصلح وحدها للدلالة على القوى الداخلية والطاقات الفاعلة في الاعماق ، وان لا يطلقوا الاحكام في شمول ، دون ان يكلفوا عقولهم بعض العناء في التغور ، ولو قليلاً ، الى « منجم » الثقافة العربية في مكانه من صعيد التاريخ .

« الحياة »

حسين مروة



٢٤ ابريل ١٩٥٤ - استقبل الجنرال فرنكو رئيس الحكومة الاسبانية السيد عبد الخالق حسونة الامين العام لجامعة الدول العربية .

٢٥ - قطع الاتحاد السوفياتي علاقته الديبلوماسية باستراليا وقد سبب هذه القطيعة زوجان روسيان هما بتروف السكرتير الثاني في السفارة السوفياتية وزوجته فقد سلم نفسه الى السلطات الاسترالية طالباً اعتباره لاجئاً سياسياً وقد اذاعت السلطات الاسترالية ان بتروف قد نقل معه رزمة عظيمة من الوثائق السرية تدور حول نشاط الجاسوسية السوفياتية في استراليا .

٢٦ - القى الرفيق مالنكوف خطابا خطيراً اعلن فيه ان الاتحاد السوفياتي لا يزال مستعداً للانضمام الى الحلف الاطلسي مقابل بعض الشروط واشار الى ان الرأسمالية والاشتراكية يمكنهما ان تعيشا جنباً الى جنب مع التنافس في الحقل الاقتصادي وقال ان المعاهدتين الانجليزية السوفياتية والفرنسية السوفياتية قد وقعتا بالدم ولا يمكن ان تنقضا .

٢٧ - ابلغ المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية مجلس العموم ان حكومته غير مستعدة لان تلزم نفسها باتخاذ اية خطوة عسكرية في الهند الصينية قبل ان تعرف نتائج مؤتمر جنيف .

٢٨ - اذيع في القاهرة بيان اعلن فيه نبأ اعتقال اثني عشر ضابطاً وعدداً من المدنيين بتهمة التآمر مع « الجبهة السياسية المتحدة التي شكلها الوفديون والاشتراكيون والشيوعيون في فبراير الماضي ». وسيحال المتهمون بعد التحقيق الى محكمة الثورة .

٢٩ - الف السيد ارشد العمري الوزارة العراقية الجديدة وقد صدر مرسوم ملكي بحل المجلس النيابي .

- اعترفت فرنسا رسمياً باستقلال دولة الفيتنام التام مع بقاء هذه الدولة ضمن الاتحاد الفرنسي وقد تم التوقيع في باريس على المعاهدة التي تتضمن هذا الاعتراف .

اول مايو ١٩٥٤ - استقال الدكتور فوزي الملقي رئيس الوزارة الاردنية وقد عهد الملك حسين الى السيد توفيق ابو الهدى بتشكيل الحكومة الجديدة .

٢ - اقر مجلس النواب السوري قانوناً يقضي بان يعيد جميع زعماء الدولة والوزراء والنواب السوريين الذين تولوا المناصب خلال مدة حكم الزعيم اديب الشيشكلي جميع المرتبات التي تقاضوها عن هذه المدة لخزينة الدولة .

٣ - صرح البكباشي جمال عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية بان رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب هو مصدر مختلف حركات التمرد في الجيش الذي اعاده للحكم بعد استقالته في ٢٥ فبراير وقال: لكن ذلك لن يتكرر ابداً اذ ان اللواء نجيب في مركز يناسبه وهو مركز رئيس الدولة الرمزي، ولم تعد له اية علاقة بادارة شؤون البلاد العامة .

٤ - وصل الى جنيف وفد حكومة جمهورية الفيت مينه الديمقراطية لحضور المؤتمر المنعقد فيها عند بحثه مشكلة الهند الصينية وايجاد الحل اللازم لها .

٥ - بعد جلسة عقدها مجلس الامن الدولي بشأن حوادث الحدود بين الاردن واسرائيل قرر المجلس اجراء مناقشة عامة لحوادث الحدود دون بحث الشكوى الاردنية من الاعتداء على نحالين او الشكوى الاسرائيلية من حادثة السيارة في النقب .

٦ - اعلنت امانة حلف الاطلسي الشمالي ان الماريشال جوان سيظل في منصبه كقائد قوات منطقة حلف الاطلسي في اوروبا الوسطى وكان من المنتظر انهاء خدمات الماريشال بعد ان وجه اليه لوم شديد لادلائه بتصريح ضد مشروع الجيش الاوروبي مما ينافي سياسة الحلف .

٧ - اعلن المسيو لانيل رئيس الوزارة الفرنسية رسمياً نبأ سقوط قلعة « ديان بيان فو » في ايدي قوات الفيت مينه بالهند الصينية واسر جميع حاميتها وعلى رأسهم الجنرال دي كاستري وذلك بعد قتال عنيف متواصل استمر ٢٠ ساعة وحصار للقلعة دام ٥٦ يوماً .

٨ - سافر الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية في رحلة الى امريكا الجنوبية يزور فيها البرازيل والارجنتين والاوراجواي تلبية لدعوة رسمية من حكوماتها .

- اكد السيد دالز ناظر الخارجية الامريكية بان المساعدة العسكرية الامريكية للعراق هي مساعدة دفاعية لا تشكل خطراً على الدول جارات العراق .

١٠ - استؤنفت في جنيف المباحثات الخاصة لهند الصينية وقد عرض مندوب الفيت منه مقترحاته لتسوية المشكلة على اساس : الاعتراف بسيادة اللاووس وكمبودجيا وفيتينام واستقلالها التام . اجراء انتخابات حرة دون اي تدخل اجنبي . يجب ان يسبق ذلك توقف عام لاطلاق النار ووضع الترتيبات لتبادل الاسرى .

وقد رفض الوفد الفرنسي هذه المقترحات بحجة انها لا تعني سوى انسحاب فرنسا من الهند الصينية .

١٢ - قضت محكمة الاستئناف العسكرية في طهران بتثبيت الحكم على الدكتور مصدق بالسجن ثلاث سنوات وعلى رئيس الاركان السابق الجنرال رياحي ثلاثة اعوام بدلا من عامين ، كما كان الحكم البدائي ، مع الاشغال الشاقة .

١٣ - تتابع قوات الفيت مينه في الهند الصينية ضغطها على الدلتا ولا سيا على الخطوط الحديدية الواقعة بين هانوي وهايفونج .

١٤ - وصلت بغداد بعثة عسكرية امريكية من خمسة ضباط بقيادة الجنرال هاري ميرز . وتدخل اعمال البعثة في نطاق الاتفاق الذي اعلن في الشهر الماضي حول المساعدة العسكرية التي تقدمها الولايات المتحدة للعراق .

- نفى اللواء رفيق عارف رئيس اركان حرب الجيش العراقي خلال عودته الى بغداد قادماً من القاهرة ما قيل من ان مندوب مصر في مؤتمر رؤساء الاركان العرب احتج على المساعدات الامريكية للعراق .

- عادت الملكة اليزابيت الى بريطانيا بعد رحلة استغرقت ستة اشهر زارت خلالها بلدان الكومنولث .

١٥ - يزور الاستاذ عبد الخالق حسونة الامين العام لجامعة الدول العربية البرتغال بصفة شخصية بعد ان قام بزيارة رسمية الى مدريد والمنطقة الخليفية في مراكش .

- فاجأ مولوتوف العالم باقتراح حل حيادي في مؤتمر جنيف. فقد تقدم الاتحاد السوفياتي باقتراح يقضي بان تشرف لجنة مؤلفة من دول حيادية على حل النزاع في الهند الصينية .

١٧ - عاد الى كراتشي السيد ظفر الله خان بعد ان قام بزيارة خاطفة مفاجئة لمصر قابل في خلالها المسؤولين واجرى محادثات لم يعلن عنها .

دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان
تلفون ٢٨٧٥٧